جامعة الإسكندرية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها – واللغات الشرقية وآدابها
شعبة الدراسات الإسلامية

ثقافة المفسر عند الزركشي
من خلال كتابه (البرهان في علوم القرآن)

بحث مقدم من الطالبة

ليلى محمد مسعود عبد المنعم

لنيل درجة الماجستير في الآداب

إشـــراف

د/ محمد بدري عبد الجليل

بسم الله الرحمن الرحيم

التفسير عمل عظيم، وطريق طويل، وحمل ثقيل لا ينال شرفه إلا كل مجيد فى العلوم اللغوية "كالنحو والصرف والاشتقاق".

والعلوم البلاغية "كالبيان والمعانى والبديع".

والعلوم الإسلامية "كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وعلم أصول الفقه، وعلم الفقه، وعلم الحديث، والسيرة النبوية، وتاريخ الأديان".

ومن هنا كان البحث فى ثقافة المفسر هو هدف هذه الدراسة، وقد استعرضت فيه ثقافة المفسر وخصصت الإمام الزركشى "٧٤٥ - ٧٩٤هـ" كى يكون موضوعًا للدراسة لأنه صاحب أول مصنف كامل فى ثقافة المفسر.

وثقافة المفسر قبل الزركشى تشمل :

كتب التفسير : كالتسترى ٢٣٨، والطبرى ٣١٠، والزمخشرى ٥٢٨، والقرطبى ٧٦٠.

وتشمل كذلك أبحاثًا مفردة وقضايا خاصة لأهميتها ومنها : الناسخ والمنسوخ، أو لعلاقتها بالتنزيل ومنها : أسباب النزول وغريب القرآن وإعجازه وإعرابه وبيان أحكامه.

وتشمل كذلك مرحلة المصنفات غير الكاملة. ففى القرن السادس ألف ابن الجوزى كتاب "فنون الأفنان فى علوم القرآن".

وفى القرن السابع ألف السخاوى كتاب "جمال القراء وكمال الإقراء".

أما فى القرن الثامن فطالعنا الزركشى بكتابه البرهان فى علوم القرآن، وأعقبه السيوطى فى القرن العاشر وألف كتاب الإتقان فى علوم القرآن.

وفى العصر الحديث نجد مباحث فى علوم القرآن لصبحى الصالح، والنبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز ومناهل العرفان للزرقانى.

وقد اقتضت طبيعة البحث إلى تقسيمه كما يلى :

الفصل الأول : ثقافة المفسر قبل الزركشى

ويشمل ثلاثة مباحث عن ثقافة المفسر قبل الزركشى من خلال كتب التفسير والقضايا المفردة لعلوم القرآن.

المبحث الأول : الثقافة العامة للمفسر.

المبحث الثانى : الثقافة الخاصة للمفسر.

المبحث الثالث : أدوات التفسير المفردة.

الفصل الثانى

الزركشي وكتابه البرهان فى علوم القرآن

وفيه حديث عن الزركشي وترجمته والتعريف بكتابه، وبيان لثقافة المفسر عنده من خلال ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ترجمة الإمام الزركشي.

المبحث الثانى : التعريف بكتاب البرهان.

المبحث الثالث : ثقافة المفسر عند الزركشي.

الفصل الثالث

أثر الإمام الزركشي

وفيه الحديث عن أثر الإمام الزركشي فى الإمام السيوطى وعرض لكتب التفسير وبيان لمناهجها، وذلك من خلال مبحثين :

المبحث الأول : أثره فى الإمام السيوطى ومن يليه.

المبحث الثانى : كتب التفسير.

الفصل الرابع

ثقافة المفسر عند المحدثين

والحديث فيه عن ثقافة المفسر عند العلماء المحدثين، وذلك من خلال أربعة مباحث:

المبحث الأول : مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى.

المبحث الثانى : النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز.

المبحث الثالث : مباحث فى علوم القرآن لصبحى الصالح.

المبحث الرابع : دراسات فى القرآن للسيد أحمد خليل.

ثم الخاتمة وأهم النتائج.

الفصل الأول

ثقافة المفسر قبل الزركشى

المبحث الأول

الثقافة العامة للمفسر

إن الحديث عن ثقافة المفسر قبل الزركشي يصل بنا إلى طريقين أحدهما: يشمل الحديث عن ثقافة عامة للمفسر اشترك فيها جميع المفسرين، والآخر: يشمل الحديث عن ثقافة خاصة ينفرد بها كل مفسر وفقًا لمذهبه الفكرى. وإذا قصدنا بالحديث الثقافة العامة فيجدر بنا أن نشير إلى ما تشمله هذه الثقافة، فهى تشمل :

- فهم معانى القرآن ومعرفة دلالات ألفاظه والوقوف على معانيه، وقد أشار صاحب المبانى إلى ذلك فى حديثه عن شروط المفسر حيث قال : «يحتاج من تكلم فى تفسير كتاب الله عز وجل إلى عشر خصال، إن أخطأ واحدة منها كان السكوت أولى به. إحداها : أن يكون عالمًا بظاهر التنزيل، عارفًا باختلاف القراءات، وما يختلف به المعنى، وما لا يختلف»[1].

وقد أشار الراغب إلى ذلك فى مقدمته حيث قال : «ما من برهان ولا دلالة وتقسيم وتحديد مبنى على كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به، لكن أورده تعالى على عادة العرب»[2].

ويورد الراغب السبب فى ذلك حيث يقول إن كل رسول قد أنزل بلسان قومه، وأن مخاطبة الله للعباد قد جاءت فى أجل صورة ليفهم منها العامة والخاصة مقصد الآية.

وليست دلالات الألفاظ وفهم القرآن إلا خطوة من الخطوات التى تحدد الطريق أمام المفسر وتليها خطوة هامة لا يتضح معنى النص بدونها -فى كثير من الأحيان- ألا وهى معرفة أسباب النزول : فإن معرفة أسباب النزول تعين على فهم الآية، وقد فطن المفسرون إلى ذلك فوقفوا على هذه الأسباب، وأحاطوا بها وعرفوا لها أهميتها. فذكر صاحب كتاب المبانى أن على المفسر أن يعرف شأن نزول الآيات ليحمل كل آية على ما

---

[1] كتاب المبانى فى نظم المعانى : ص ١٧٤، نشره آرثر جفرى، ضمن (مقدمتان فى علوم القرآن) ط الخانجى، ١٩٥٤م.

[2] الراغب : مقدمة التفسير، ص ٤١٤ بهامش تنزيه القرآن عن المطاعن، ط الجمالية، ١٣٢٩هـ.

تقتضيه قصة نزولها. يقول صاحب المبانى : «عليه أن يعرف الأقاصيص، والأخبار وشأن نزول الآيات ليحمل كل آية على ما يقتضيه قصة نزولها، وليفرق بين الناسخ والمنسوخ بذلك»[١] .

ويذكر الراغب ذلك فى مقدمته ويحرص على أن يكون سبب النزول واضحًا ومشروحًا، بالإضافة إلى ما ذكره للقرون الماضية يقول : «ما يتعلق بالأسباب التى نزلت عندها الآيات وشرح الأقاصيص التى تنطوى عليها السور من ذكر الأنبياء عليهم السلام والقرون الماضية، وهو علم الآثار والأخبار»[٢] .

ولفت أبو حيان الأذهان إلى أن أسباب النزول، حيث يجب الرجوع فى معرفتها إلى النقل الصحيح عن رسول الله، يقول أبو حيان : «تعيين مبهم وتبيين مجمل وسبب نزول ونسخ ويؤخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وذلك من علم الحديث»[٣] .

ولأهمية سبب النزول أشار البغوى[٤] ، والقرطبى[٥] إلى أن تفسيرهما سيتضمن الحديث عن سبب نزول الآيات.

ومن الخطوات التى تحدد الثقافة العامة اللازمة للمفسر أن يكون عالمًا بسيرة الرسول وأن يكون قد وقف على غزواته ووقائعه وأخبار فى حياته العامة والخاصة وفى ذلك كله ما يعين على فهم النص القرآنى. وقد نبه الراغب إلى ذلك فقال إن من الضرورى للمفسر أن يعرف السنن المنقولة عن النبى -صلى الله عليه وسلم- حيث قال : «ذكر السنن المنقولة عن النبى -صلى الله عليه وسلم- وعمن شهد الوحى مما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه مما هو بيان لمجمل أو تفسير لمبهم»[٦] .

---

[١] كتاب المبانى فى نظم المعانى : ص ١٧٤، نشره آرثر جفرى ضمن مقدمتان فى علوم القرآن.

[٢] الراغب : مقدمة التفسير، ص ٤٢٤.

[٣] أبو حيان : البحر المحيط، ج١، ص ٦، ط النصر الحديثة – الرياض.

[٤] البغوى : معالم التنزيل، ج١، ص ٢، ط محروسة المنبئ ١٢٩٩هـ.

[٥] القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص ٣، ط الشعب، ١٩٦٩.

[٦] الراغب : مقدمة التفسير، ص ٤٢٤.

وقد أشار إلى ضرورة ذلك أيضًا صاحب المبانى[١] ، والزمخشرى[٢] .

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره من ثقافات عامة للمفسر يجب أن يكون عالمًا بلغات العرب ولهجاتهم وطريقة النحو والإعراب. وقد أشار إلى ذلك صاحب المبانى إذ يقول فى مقدمة تفسيره : «أن يكون عارفًا بلغة العرب وطريقة النحو والإعراب»[٣] .

ولغة العرب ليست واحدة ولكل قبيلة لهجة قد تباين غيرها. وعلى المفسر أن يكون عالمًا بهذا الاختلاف، وقد أشار ابن عطية إلى ذلك حيث قال : «فليست لغتهم واحدة فى كل شيء، وأيضًا فلو كانت لغتهم واحدة بأن تفرقهم جميعًا من قبيلة واحدة لما كان اختلافهم حجة على من قال : «إن القرآن أنزل على سبع لغات، لأن مناكرتهم لم تكن لأن المنكر سمع ما ليس فى لغته فأنكره. وإنما كانت لأنه سمع خلاف ما قرأه النبى - صلى الله عليه وسلم- وعاه قد أقرأه ما ليس من لغته واستعمال قبيلته»[٤] .

ومن الثقافات الهامة للمفسر أن يكون واقفًا على معانى المفردات وطرائق التعبير ومناحى بلاغته، ويجب على المفسر أن يكون على دراية بكل تلك الأشياء. وقد أشار الطبرى إلى ذلك فى مقدمته وسرد طرائق اللغة ووجوهها حتى ينكشف الطريق أمام المفسر ويعرف ما فى المعنى وما تضمه الآيات من النواحى البلاغية. يقول الطبرى معبرًا عن هذا المعنى : «الواجب أن تكون معانى كتاب الله المنزل على نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- لمعانى كلام العرب موافقة، وظاهره لظاهر كلامها ملائمًا، وأن يكون واصفًا كتاب الله بالفضيلة التى فضل بها سائر الكلام والبيان، بما قد تقدم وصفناه. فإن كان ذلك كذلك فبيّن إذْ كان موجودًا فى كلام العرب الإيجاز والاختصار، والاجتزاء بالإخفاء فى الإظهار، وبالقلة من الإكثار فى بعض الأحوال، واستعمال الإطالة والإكثار، والترداد والتكرار، وإظهار المعانى بالأشياء دون الكناية عنها، والإسرار فى بعض الأوقات، والخبر عن الخاص فى المراد بالعام الظاهر، وعن العام فى المراد بالخاص الظاهر، وعن الكناية والمراد منه المصرح، وعن الصفة والمراد الموصوف، وعن الموصوف والمراد الصفة، وتقديم ما هو

---

[١] كتاب المبانى فى نظم المعانى : ص ١٧٤، تحقيق آرثر جفرى.

[٢] الزمخشرى : الكشاف، ج١، ص ٤١، ط الاستقامة، ١٣٧٣ / ١٩٥٣م.

[٣] كتاب المبانى، ص ١٧٤، نشر مقدمته آرثر جفرى.

[٤] كتاب المبانى، ص ٢٦٩، نشره آرثر جفرى.

فى المعنى مؤخر، وتأخير ما هو فى المعنى مقدم، والاكتفاء ببعض من بعض، وبما يظهر عما يحذف وإظهار ما حظه الحذف - أن يكون ما فى كتاب الله المنزل على نبيه محمد فى ذلك»[1] .

ويضيف الطبرى إلى أن فى القرآن أشياء لا يستطيع الإنسان معرفتها إلا إذا كان عالمًا باللسان الذى نزل به القرآن، يقول : «وأنه منه ما يعلم تأويله كل ذى علم باللسان الذى نزل به القرآن»[2] .

ويشير الراغب إلى ذلك فيرى أن المفسر يجب أن يكون عالمًا بالألفاظ والاشتقاق والتصريف والإعراب، وذلك لأهمية هذا العلم فى الوقوف على مقصد الآية فيقول : «فالأول: معرفة الألفاظ، وهو علم اللغة والثانى : مناسبة بعض الألفاظ إلى بعض، وهو الاشتقاق والثالث: معرفة أحكام ما يعرض للألفاظ من الأبنية والتصاريف والإعراب، وهو النحو»[3] .

ونرى الزمخشرى يلفت الأنظار فى مقدمته إلى شرط المفسر، فيحدد أن يبرع فى مجالات منها: النحو واللغة والمعانى والبيان والإعراب، وأن يكون ذا دراية بأساليب النظم والنثر[4] .

ويلفت ابن عطية إلى أهمية الإعراب فيقول : «إعراب القرآن أصل فى الشريعة لأن بذلك تقوم معانيه التى هى الشرع»[5] .

وعن أهمية الإعراب نرى الطبرسى يعتبره أجل علوم العربية، ويروى حديثًا عن الرسول يحث على تعلم الإعراب فيقول : «وأقول إن الإعراب أجل علوم القرآن، إليه يفتقر كل بيان، وهو الذى يفتح من الألفاظ الأغلاق، ويستخرج من فحواها الأعلاق، إذ الأغراض كامنة فيها فيكون هو المثير لها والباحث عنها والمشير إليها، وهو معيار الكلام الذى لا يبين نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه، ومقياسه الذى لا يميز بين سقيمه

---

(1) الطبرى : جامع البيان فى تأويل القرآن، ج١، ص ٣٢، ٣٣، ط دار الغد العربى، ١٩٩٤م.

(2) الطبرى : جامع البيان، ج١، ص ٦٦.

(3) الراغب : مقدمة التفسير، ص ٤٢٣.

(4) الزمخشرى : الكشاف، ج١، ص ك.

(5) ابن عطية : المحرر الوجيز، ص ٢٦١، نشر آرثر جفرى.

ومستقيمه حتى يرجع إليه، وقد روى عن النبى أنه قال : «اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه»، وإذا كان ظاهر القرآن طبقًا لمعناه فكل من عرف العربية والإعراب عرف فحواه»[١] .

ويلفت البيضاوى إلى شرط التفوق فى صناعات العربية وفنون الأدب بأنواعها لكل من أراد أن يتصدى لعلم التفسير الذى يعتبره رأس العلوم وأساسها[٢] .

بينما نجد أبا حيان يشير إلى وجوه يجب على المفسر معرفتها ويشترط فى الوجه الأول أن يكون عالمًا باللغة، والوجه الثانى أن يكون عالمًا بالنحو، والوجه الثالث أن يكون عالمًا بالبيان والبديع، وينفرد بذكره للمؤلفات التى يرجع إليها لمن أراد أن يتعلم هذه العلوم[٣] .

وتبدو هنا عناية المفسرين بالجانب اللغوى والبلاغى لما لها من أهمية فى كشف طريق معنى الآية أمام المفسر.

ولأهمية هذا الجانب نجد النيسابورى يفرد له حديثًا وتقسيمات فى المقدمة التاسعة من تفسيره فيذكر اللفظ إما أن يعتبر دلالته على تمام مسماه، أو على جزء من مسماه، أو على لازمه الذهنى، ويتحدث عن المجاز ويعتبره نوعًا من التشبيه، ثم يذكر الاستعارة والعموم والخصوص والمطلق والمقيد.

ثم يضيف قائلاً : «وإذا عرفت ما ذكرنا من التقسيمات لا يخفى عليك المقصود من إيرادها، لأن معانى كتاب الله تعالى منها : محكم ومتشابه، ومنها مجمل ومبين، ويندرج فيها المنسوخ والناسخ باعتبار، لأن النسخ بيان انتهاء أمد الحكم الشرعى، ومنها عام وخاص، ومنها مطلق ومقيد، ومنها أمر ونهى، ومنها ظاهر ومؤول، ومنها حقيقة ومجاز ومنها تشبيه وتمثيل، ومنها كناية وتصريح، ومنها الكلى والجزئى، ومنها الخبر والطب بأقسامهما ومنها الأحكام بأصنافها، ولا ريب أن تصور هذه الاصطلاحات وتذكرها فى علم التفسير أمر مهم»[٤] .

ويشير القرطبى إلى أهمية إعراب القرآن والحث عليه وذم اللحن[٥] .

---

[١] الطبرسى : مجمع البيان فى تفسير القرآن، ج١، ص ٢٧، ٢٨، ط دار الحياة، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م.

[٢] البيضاوى : أنوار التنزيل، ج١، ص ٢٩، ط الأهرام ١٤١٨هـ، تحقيق حمزة النشرتى.

[٣] أبو حيان : البحر المحيط، ج١، ص ٦.

[٤] النيسابورى : غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج١، ص ٤٩، ط البابى، ١٣٨١ / ١٩٦٢م.

[٥] القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص ١٩، ط الشعب ١٣٨٩ / ١٩٦٩.

المبحث الثانى

الثقافة الخاصة للمفسر

والطريق الآخر الذى يجب معرفته فى الحديث عن ثقافة المفسر هو الحديث عن الثقافة الخاصة التى اختص بها كل مفسر وفقًا لمذهبه الفكرى، وأولى تلك الثقافات الخاصة هى ثقافة المفسر فى بيئة الرواية، وهى إحدى الطرق فى معرفة التفسير وفيها جانب هام يلتزم به المفسر، وهو الالتزام بما ورد عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- والنهى عن القول بالرأى. ونرى الطبرى يلفت إلى ذلك معبرًا أن فى القرآن ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول، يقول الطبرى:

«إن مما أنزل الله من القرآن على نبيّه ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول وذلك تأويل جميع ما فيه : من وجوه أمره -واجبه وندبه وإرشاده- وصنوف نهيه، ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آية، التى لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله لأمته.

وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه، إلا ببيان رسول الله له وتأويله، بنص منه عليه، أو بدلالة قد نصبها، دالة أمته على تأويله»[(١)].

وهنا نجد الطبرى يرى أنه لا يجوز لأحد القول فى هذا الجانب من تفسير الآى إلا ببيان الرسول وتأويله.

والطبرى يتشدد فى النهى عن القول فى القرآن بالرأى، بل ويذكر حديثًا عن الرسول ينهى عن القول بالرأى ويرى أن من يقول فى القرآن برأيه فغير جائز، يقول الطبرى : «إن النبى قال : «من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»»[(٢)].

ثم يعلق على روايات الحديث السابق قائلاً : «وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا : من أن ما كان من تأويل آى القرآن الذى لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله، أو بنصبه الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القول فيه برأيه»[(٣)].

---

(١) الطبرى : تفسير الطبرى، ج١، ص ٦٥.

(٢) الطبرى : تفسير الطبرى، ج١، ص ٦٨.

(٣) الطبرى : تفسير الطبرى، ج١، ص ٦٩.

وقد يتبادر إلى الذهن أن مفسر القرآن بالمأثور ينتهى عمله عند رصد الروايات وتجميعها حول الآية للوصول إلى مقصدها والحقيقة أن هذا ليس عمل المفسر بالمأثور، بل هو يقف أمام مرويات الآية ويرجح بينها ويستعين بعدة وسائل أخرى سبق ذكرها فى الحديث عن الثقافة العامة للمفسر حتى يصل إلى معنى الآية.

«وفى التفسير المأثور لا يقف عمل المفسر عند ذكر الروايات فقط، ولا تنتهى مهمته عند رصدها فحسب، وإنما تبدو فعاليته فى اتجاهه إلى مرويات بعينها يجمعها حول الآية الواحدة، وفى الترجيح بين هذه المرويات، وتفضيل واحدة منها، أو الحكم بضعفها جميعًا، والقول فى الآية بما يراها فى ضوء الوسائل المعينة على فهم النص القرآنى، كأسباب النزول، أو المألوف من كلام العرب، أو الرجوع إلى الدلالة اللغوية للألفاظ فى عصر النبوة، وغير ذلك مما يعين على القول فى القرآن برأى»[1].

والطبرى عمدة التفسير بالمأثور فى تفسيره نراه يرجح رأيًا معينًا ورواية معينة عن باقى الروايات ويجادل ويقنع ويوضح سبب اختياره لرأيه معتمدًا على سياق الآية وكثير من الوسائل المعينة، يقول الطبرى فى تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

«وأولى هذه التأويلات بالآية تأويل ابن عباس الذى ذكره محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عنه، وإن كان لكل قول مما قاله الذين ذكرنا قولهم فى ذلك مذهب.

فأما مذهب من تأوّل فى ذلك فما قاله الربيع عن أنس فهو أن الله تعالى ذكره لما أخبر عن قوم من أهل الكفر بأنهم لا يؤمنون وأن الإنذار غير نافعهم، ثم كان من الكفار من قد نفعه الله بإنذار النبى إياه لإيمانه بالله وبالنبى وما جاء به من عند الله بعد نزول هذه السورة لم يجز أن تكون الآية إلا فى خاص الكفار.

---

[1] الشحات السيد زغلول : الاتجاهات الفكرية فى التفسير، ص ١٦٢، ط الهيئة العامة للكتاب، ١٣٩٧ / ١٩٧٧، الطبعة الثانية.

[2] سورة البقرة آية (٦).

وإذا كان الأمر كذلك وكانت قادة الأحزاب لاشك أنهم ممن لم ينفعه الله عز وجل بإنذار النبى إياه حتى قتلهم الله تبارك وتعالى بأيدى المؤمنين يوم بدر -علم أنهم ممن عنى الله جل ثناؤه بهذه الآية وأما علتنا فى اختيارنا ما اخترنا من التأويل فى ذلك، فهى قول الله جل ثناؤه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، عقيب خبر الله جل ثناؤه عن مؤمنى أهل الكتاب، وعقيب نعتهم وصفتهم وثنائه عليهم بإيمانهم به وبكتبه ورسله. فأولى الأمور بحكمة الله أن يتلى ذلك الخبر عن كفارهم ونعوتهم وذم أسبابهم وأحوالهم، وإظهار شمتهم والبراءة منهم. لأن مؤمنيهم ومشركيهم -وإن اختلفت أحوالهم فى اختلاف أديانهم- فإن الجنس يجمع جميعهم يدل أنهم بنو إسرائيل»[١].

والرواية وإن كانت طريقًا هامًا فى معرفة معنى الآية إلا أن فريقًا من المفسرين لم يكتفوا بها، بل اشترطوا ثقافة خاصة تابعة لمذهبهم الفكرى -ومن هنا كان الحديث عن ثقافة المفسر فى بيئة الاعتزال، تلك البيئة التى فرضت نفسها ووضعت أسسًا لمناهج تفسيراتهم وإن اختلف المعتزلة.

وانقسموا إلى طوائف تميزت كل طائفة عن أصحابها بمقالة والأصول الخمسة التى وضعها المعتزلة هى : التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وإن أردنا أن نوضح معنى التوحيد الذى يختص بثقافة المعتزلة؛ فنجد أنهم قد حللوا هذا المعنى لأقصى حد حتى ولو اضطروا إلى تأويل معنى الآية، يقول الدكتور مصطفى الجوينى : «اعتقد المسلمون جميعًا بهذا الأصل لكن المعتزلة بلغوا فى تحليله وفلسفته أقصى حد «فالله ليس كمثله شيء" والآى التى يوحى ظاهرها بالجسمية يؤول إلى ما يتفق وتنزيه الله عن الشبه بالخلق. فاستواء الله على العرش كناية عن الملك ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[٢]»[٣].

---

[١] الطبرى : تفسير الطبرى، ج١، ص ١٧٩..

[٢] سورة طه : آية (٥).

[٣] مصطفى الصاوى الجوينى : منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن، ص ١٠٩، ط دار المعارف، ١٩٥٩م، وانظر تفسير الزمخشرى، ج٢، ص ٢٠.

أما ثانى أصول المعتزلة العدل، فقد أثار المعتزلة حوله عدة مسائل كلها نابعة من أفكار فلسفية وأول ما أثير حول العدل أن الله يريد الخير لخلقه فـ «المسلمون جميعًا يعتقدون بعدل الله، ولكن المعتزلة تعمقوا فى فهمه وأثاروا حوله مسائل أولاها أن الله يسير بالخلق إلى غاية وأن الله يريد خير ما يكون لخلقه فغايته فى الدنيا هى الخير، وهذا ما أراده الله. وأما الشر فى الآخرة فمن نتائج تحريف الكفار»[1].

وفى نظرية الصلاح والإصلاح نرى المعتزلة يحددون أن مقصد الله فى أفعاله صلاح العباد «فالله يقصد فى أفعاله إلى صلاح العباد، ومن المعتزلة من قال بأنه يجب على الله أن يعمل ما فيه صلاح لعباده ومنهم من لم يكتف بذلك، بل قال يجب رعاية ما هو الأصلح والزمخشرى المعتزلى نراه مهتمًا بتعليل أفعال الله وتقرير أنها كلها حكمة ومصلحة»[2].

ويرى المعتزلة فى نظرية الحسن والقبح العقليين أنهما ذاتيان فى الأشياء والشرع مخبر عنها لا مثبت لها والعقل مدرك لها إلا أن الشرع يكشف ما غمض على العقل والزمخشرى يقرر هذه المعانى فى تفسيره[3].

أما المسألة الثانية التى اعتقدها المعتزلة فى عدل الله؛ فهى أن الله لا يريد الشر ولا يأمر به وإرادة العباد حرة فى إتيانه «إن الله لا يريد الشر ولا يأمر به؛ فقد أراد ما كان من الأعمال خيرًا أن يكون وما كان شرًا ألا يكون وما لم يكن خيرًا ولا شرًا؛ فهو تعالى لا يريده ويكرهه. وإذا كان الله يريد من عباده الخير؛ فليس هذا الخير، بل إرادتهم حرة طليقة فى إتيانه»[4].

أما المسألة الثالثة من مسائل أصل العدل؛ فهى أن الله لم يخلق أفعال العباد، بل إرادة الإنسان حرة فالإنسان خالق أفعاله. ومن أجل هذا فهو مستحق الخير معاقب على الشر.

---

[1] مصطفى الجوينى : منهج الزمخشرى، ص ١١٤.

[2] مصطفى الجوينى : منهج الزمخشرى، ص ١١٥، وانظر تفسير الزمخشرى، ج٢، ص ٤٣.

[3] انظر تفسير الزمخشرى، ج١، ص ٤١٢.

[4] مصطفى الجوينى : منهج الزمخشرى، ص ١٢١. وانظر الزمخشرى : تفسير الزمخشرى، ج١، ص ٣٨.

ومن الأصول التى اتفقت عليها المعتزلة الوعد والوعيد، فهـم يرون أن «المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض، والتفضل معنى آخر وراء الثواب. وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود فى النار، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار، وسموا هذا النمط وعدًا ووعيدًا»[١].

ومن الأصول التى اتفق عليها المعتزلة المنزلة بين المنزلتين. فحين نزل القرآن كان الناس فريقًا مؤمنًا وآخر مشركًا مرتكبًا لكبيرة الكفر. والزمخشرى يناقش ذلك فى تفسير الآيتين : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٢].

فيقول فإن قلت كيف ذكر المؤمنين بالأبرار والكفار و لم يذكر الفسقة قلت : «كان الناس حينئذ إما مؤمن تقى وإما مشرك، وإنما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك»[٣].

ومن الأصول التى اتفق عليها المعتزلة واضعين إياها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإن اتفق المسلمون جميعًا فى هذا الأصل فهم مختلفون فى مداه.

وتلك الأصول الخمسة تمثل جانبًا من جوانب تفسير القرآن عند المعتزلة، فهى وإن كانت خاصة بهم إلا أن هناك جوانب أخرى معينة لمعرفة معنى الآى كالقراءة واللغة والمعانى والبيان والنحو والأحاديث الموضوعة[٤].

لم تكن ثقافة الاعتزال هى الجانب الفكرى الوحيد فى مجالات التفسير؛ فإننا إن طرقنا هذا الباب نجد أنفسنا أمام بيئة أخرى كان لها أثر فعال فى جمع عدد من المسلمين؛ ألا وهى بيئة الشيعة. ومن هنا كان علينا أن نطرق طريق ثقافة المفسر فى بيئة الشيعة والشيعة «هم الذين شايعوا عليًا رضى الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصًا

---

[١] الشهرستانى : الملل والنحل، ط دار الفكر - بيروت، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م، ص

[٢] سورة الإسراء : آية رقم ٩، ١٠.

[٣] الزمخشرى : تفسير الزمخشرى، ج١، ص ٥٤٣.

[٤] مصطفى الجوينى : منهج الزمخشرى، ص ١٤٠ : ١٥٣.

ووصية إما جليًا، وإما خفيًا. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم أو بتقية من عنده. وقالوا : ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هى قضية أصولية، وهى ركن الدين، لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله»[١].

وتلك مبادئ هامة لا يتنازل عنها الشيعة، ولهم أقوال تجمعهم كالقول بعصمة الأنبياء، يقول الشهرستانى فى ذلك : «ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبًا عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولى والتبرّى قولاً وفعلاً وعقدًا إلا فى حالة التقيّة»[٢].

والطبرسى يظهر فى تفسيره التمسك بالمذهب الشيعى ومحاولته إثبات صحة منهجه بآيات من القرآن فهو «يميل بالآيات القرآنية إلى المعانى التى تتفق ومذهبه، ويحاول بكل قواه الجدلية العنيفة أن يقيم مذهبه على أسس من القرآن الكريم وأن يرد ما يصادمه من ظواهر النصوص ويدفع بها فى وجه خصمه»[٣].

وأول ما سوف نتحدث عنه إمامة على والطبرسى يحاول أن يثبت ذلك فى تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٤].

«وهذه الآية من أوضح الدلالة على صحة إمامة على بعد النبى بلا فضل والوجه فيه : أنه إذا ثبت أن لفظة وليكم فى الآية تفيد من هو أولى بتدبير أموركم. ويجب طاعته عليكم، وثبت أن المراد بالذين آمنوا على ثبت النص عليه بالإمامة ووضح، والذى يدل على الأول هو الرجوع إلى اللغة. فمن تأملها علم أن القوم نصوا على ذلك. وقد ذكرنا قول أهل اللغة فيه، وأن الذى يدل على ذلك على أنها فى الآية تفيد ذلك دون غيره أن

---

[١] الشهرستانى : الملل والنحل، ص ١١٨.

[٢] الشهرستانى : الملل والنحل، ص ١١٨.

[٣] محمد حسين الذهبى:التفسير والمفسرون، ج٢،ط دار الكتب الحديثة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، الطبعة الثانية، ص ١٥٠.

[٤] سورة المائدة : آية (٥٥).

لفظة إنما على ما تقدم ذكره تفيد التخصيص ونفى الحكم عمن عدا المذكور كما يقولون : إنما الفصاحة للجاهلية ويعنون بنفى الفصاحة عن غيرهم. وإذا تكرر هذا لم يجز حمل لفظة الوالى على الموالاة فى الدين والمحبة لأنه لا تخصيص فى هذا المعنى لمؤمن دون مؤمن آخر، والمؤمنون كلهم مشتركون فى هذا كما قال سبحانه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[١]، وإذا لم يجز حمله على ذلك لم يبق إلا الوجه الآخر، وهو التحقيق بالأمور، وما يقتضى على الجمهور؛ لأنه لا يحتمل اللفظ إلا الوجهين، فإذا أبطل أحدهما ثبت الآخر»[٢].

أثبت الطبرسى من خلال تفسيره لمعنى الآية أن المراد منها إمامة على مستدلاً ومستعينًا باللغة والجدل الفكرى حتى يثبت ما يوده وينفى ما يراد نفيه.

والطبرسى يدين بعصمة الأنبياء وشاهد ذلك تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣].

يقول بعد سرد الروايات ومحاولة قصر أهل البيت على النبى وعلى فاطمة والحسن والحسين : «واستدلت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة بأن قالوا إن لفظة إنما محققة لما أثبت بعدها، نافية لما لم يثبت؛ فإن قول القائل إنما لك عندى درهم، وإنما فى الدار زيد، يقتضى أنه ليس عندى سوى الدرهم، وليس فى الدار سوى زيد. وإذا تقرر هذا فلا تخلو الإرادة فى الآية أن تكون هى الإرادة المحضة، أو الإرادة التى يتبعها التطهير وإذهاب الرجس، ولا يجوز الوجه الأول؛ لأن الله تعالى قد أراد من كل مكلف هذه الإرادة المطلقة فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق، ولأن هذا القول يقتضى المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة ولا مدح فى الإرادة المجردة فثبت الوجه الثانى، وفى ثبوته ثبوت عصمة الأئمة بالآية من جميع القبائح. وقد علمنا أن من عدا من ذكرنا من أهل البيت غير مقطوع بعصمته، فثبت أن الآية مختصة بهم لبطلان تعلقها بغيرهم»[٤].

---

[١] سورة التوبة : آية (٧١).

[٢] الطبرسى : تفسير الطبرسى، ج١، ص ٢٣٥، ٢٣٦.

[٣] سورة الأحزاب : آية (٣٣).

[٤] الطبرسى : تفسير الطبرسى، ج١، ص ١٥٠.

وهكذا نرى أن الطبرسى يثبت من خلال الآية وحواره الجدلى واللغوى أن الأئمة معصومون من جميع القبائح كالأنبياء سواء بسواء.

والطبرسى يؤمن بالقول بالرجعة ويعتمد على ذلك فى تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١]، يقول : «واستدل قوم من أصحابنا على جواز الرجعة وقول من قال إن الرجعة لا تجوز إلا فى زمن النبى لتكون معجزة له ودلالة على نبوته باطل؛ لأن عندنا بل عند أكثر الأئمة يجوز إظهار المعجزات على أيدى الأئمة والأولياء والأدلة على ذلك مذكورة فى كتب الأصول»[٢].

والطبرسى يدين بوجود المهدى ويعتقد أنه سيرجع، نجد ذلك فى تفسير قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٣] .

ينتقل إلى ابن مسعود وجماعة فسروا الغيب بما غاب عن العباد عمله ثم يقول : «وهذا أولى لعمومه ويدخل فيه ما رواه أصحابنا من زمن غيبة المهدى ووقت خروجه»[٤].

ولما كان الطبرسى «يذهب بمبدأ التقية؛ فإنا نجده يستطرد فى الكلام عنها ويؤيد مذهبه عندما فسر الآية الثامنة والعشرين من سورة آل عمران»[٥] .

والطبرسى فى تفسيره يتأثر بفقه الإمامية الاثنى عشرية وآرائهم الاجتهادية، فنراه «يستشهد بكثير من الآراء على صحة مذهبه أو يرد استدلال مخالفيه بآيات القرآن على مذاهبهم، وهو فى استدلاله ورده ودفاعه عنيف كل العنف قوى إلى حد بعيد بحيث يخيل لغير المدقق الخبير أن الحق بجانبه والباطل بجانب من يخالفه»[٦].

---

[١] سورة البقرة : آية (٥٦).

[٢] الطبرسى، ج١، ص ٥٠.

[٣] سورة البقرة : آية (٣).

[٤] الطبرسى : تفسير الطبرسى، ج١، ص ١٧.

[٥] محمد حسين الذهبى : التفسير والمفسرون، ج٢، ص ١١١.

[٦] محمد حسين الذهبى : التفسير والمفسرون، ج٢، ص ١١٣. وانظر الطبرسى، ج١، ص ١٥٠.

و لم يكن بحال من الأحوال أن نغفل الحديث عن ثقافة المفسر في بيئة التصوف. فهذا الجانب من التفسير له مذهب وفكر خاص حيث إن للمتصوفة في التفسير اتجاهين؛ أحدهما: نظرى، والآخر: إشارى أو فيضى، «أما المتصوفة فقد كان لهم مذهبان فى التفسير : مذهب نظرى ومذهب إشارى أو فيضى»[١]، ويرى يوسف خليف أن هذين المذهبين ظهرا نتيجة لأن التصوف الإسلامى ظهرت فيه مدرستان إحداهما: نظرية تقوم على البحث والأخرى: عملية تقوم على الزهد والفناء.

بينما نجد أن التفسير الصوفى يقوم على نظرية الفيض : «يقوم التفسير الصوفى على نظرية الفيض، فالصوفى يجاهد نفسه إلى درجة تنكشف له فيها معانى القرآن»[٢].

والصوفى حين يفسر يلجأ إلى التأويل وإلى الخروج باللغة عن دلالاتها المعروفة حتى يحقق هدفه فى الوصول لمعنى الآية، فقد «لجأ المتصوفة إلى التأويل، مما أدى إلى الخروج باللغة عن دلالاتها المعروفة، أو الخروج بالنص القرآنى عن حقيقة معناه، كما اتجهوا إلى نظريات الفلاسفة والطبيعيين فى تفسيرهم لبعض الآيات»[٣]. ويغلب على تفسيرهم الغموض إلا لمن لهم صلة وخبرة بأساليبهم فى الكلام.

يقول التسترى فى مقدمة تفسيره : «ما من آية فى القرآن إلا ولها أربعة معان : ظاهر، وباطن، وحد، ومطلع. فالظاهر: التلاوة، والباطن: الفهم، والحد: حلالها وحرامها، والمطلع: إشراق القلب على المراد بها فقهًا من الله عز وجل»[٤].

ويقول أيضًا : «إن الله ما استولى وليًا من أمة محمد إلا علمه القرآن إما ظاهرًا وإما باطنًا، قيل له إن الظاهر نعرفه، فالباطن فما هو ؟ قال : فهمه»[٥].

ويأخذ الدكتور محمد حسين الذهبى من هاتين العبارتين أن «سهلاً يرى أن الظاهر المعنى اللغوى المجرد والباطن هو المعنى الذى يفهم من اللفظ، كما يأخذ منه أن المعانى

---

[١] يوسف خليف : دراسات فى القرآن والحديث، ط دار غريب للطباعة، ص ١٣٨.

[٢] الشحات زغلول : الاتجاهات الفكرية فى التفسير، ص ٢٣٠.

[٣] يوسف خليف : دراسات فى القرآن والحديث، ص ١٣٨.

[٤] التسترى : تفسير التسترى، ط السعادة، ١٣٢٦، ص ٣.

[٥] التسترى : تفسير التسترى، ص ٧.

الظاهرة أمر عام عليها كل من يعرف اللسان العربى، أما المعانى الباطنة فأمر خاص يعرفه أهل الله»[١].

والتسترى يعرض التفسير بالظاهر ثم الباطن. يقول فى تفسير قوله تعالى : «﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[٢]. أما ظاهرنا فالجار الجنب البعيد الأجنبى، والصاحب بالجنب هو الرفيق فى السفر، وقد قيل الزوجة وابن السبيل الضيف. وأما باطنها فالجار ذو القربى هو القلب، والجار الجنب هو الطبيعة، والصاحب بالجنب هو العقل المقتدى بالشريعة، وابن السبيل هو الجوارح المطيعة لله»[٣].

ويتحدث التسترى عن تزكية النفوس يقول فى تفسير قوله تعالى : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[٤] إبراهيم عليه السلام لما أوجب ولده بطبع البشرية، تداركه من الله فضله وعصمته حتى أمره بذبحه إذا لم يكن المراد منه تحصيل الذبح، وإنما كان المقصود تخليص السر من حب غيره بأبلغ الأسباب فلما خلص السر له، ورجع من عادة الطبع، فداه بذبح عظيم»[٥].

وما دمنا بصدد الحديث عن ثقافة المفسر بقت لدىّ إشارة أردت أن أضيفها إلى الموضوع ألا وهى ثقافة المفسر فى بيئة الفلاسفة. وقد وجدت ذلك واضحًا فى حديث الكندى الذى يصرح بأن كل ما أداه النبى عن الله يمكن فهمه بالمقاييس العقلية. يقول الكندى: «ولعمرى إن قول الصادق محمد وما أدى عن الله عز وجل لموجود جميعًا بالمقاييس العقلية»[٦] .

ونجد تطبيقًا لهذا المنهج فى رسالة الكندى التى ألفها استجابة لسؤال تلميذه الأمير أحمد بن المعتصم الذى طلب منه أن يشرح له آية ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[٧] .

---

[١] محمد حسين الذهبى : التفسير والمفسرون، ج٢، ص ٣٨١.

[٢] سورة النساء : آية ٣٦.

[٣] التسترى : تفسير التسترى، ص ٤٥.

[٤] سورة الصافات : آية ١٠٧.

[٥] التسترى : تفسير التسترى، ص ١٢٠.

[٦] الكندى:رسائل الكندى الفلسفية، تحقيق، محمد عبد الهادى أبو ريدة، ط دار الفكر العربى، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، ص ٢٤٥.

[٧] سورة الرحمن : آية (٦).

وقد سمى هذه الرسالة "رسالة الإبانة عن سجود الجرم الأقصى وطاعته لله عز وجل".

«فالكندى يبين معنى السجود في اللغة حقيقة ومجازًا وينتهى إلى أن سجود النجوم لله -نظرًا لأنه لا يمكن أن يقع منها السجود الحقيقى بحسب الاصطلاح الشرعى- معناه هو أن بجريانها على مجاريها والتزامها حركاتها الثابتة التى تنشأ عن الظواهر الجوية والحوادث الأرضية من كون وفساد وتغيير تحقق إرادة بارئها، وتنتهى إلى أمر، وتؤدى وظيفتها المعنية لها فى نظام العالم، وهذا ما يمكن أن يعبر عنه مجازًا بأنه سجود»[1] .

إن كتب التفسير ومذاهب المفكرين مهما تباعدت أو تقاربت أو تشابهت أو اختلفت أو التقت فى نقطة وافترقت فى الأخرى، وسواء أعلت من قيمة النقل أو سخرت العقل أو تأثرت بمذهب أو فرقة أو رأى سواء أكان دينيًا أو فلسفيًا أم لغويًا؛ فهى فى النهاية تضع نقاطًا عامة ومحددة لثقافة المفسر لا تتخلى عنها أو تستطيع التفسير بدونها، وتلك النقاط العامة هى:

١- فهم القرآن ومعرفة دلالات ألفاظه والوقوف على معانيه.

٢- معرفة أسباب النزول وأوقاته ومواضعه بما فى ذلك من إلقاء الضوء على معانى الآيات.

٣- معرفة سيرة الرسول والإحاطة بوقائعها وما كان بينهم وبين المشركين من غزوات ووقائع.

٤- معرفة لغات العرب.

٥- دراسة اللغة والوقوف على معانى المفردات وطرائق التعبير ومناحى بلاغته.

بالإضافة إلى وجود ثقافة خاصة بكل فرقة أو مذهب عرفها تاريخ التفسير القرآنى، فبيئة الرواية اعتمدت على نقل الأقوال والأحاديث، ولم تخل من إعمال العقل ومحاولات الاستنباط والترجيح اعتمادًا على العقل القائم على النقل.

وفى بيئة الاعتزال نجد الثقافة العقلية والجدل الكلامى اعتمادًا على الأصول

---

[1] الكندى : رسائل الكندى الفلسفية، ص ٥٤.

الخمسة: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فهم يخضعون الآية وما يتفق مع تلك الأصول. ومن هنا كان العقل يتحكم فى فهم النص القرآنى ويؤيد هذا المذهب.

وفى بيئة الشيعة نجد تمسكهم بمذهبهم ودفاعهم عنه حتى ولو اضطروا إلى التأويل والاعتماد على الأحاديث الموضوعة، وقالوا بالإمامة وعصمة الأنبياء والرجعة والتقية والمهدى.

وفى بيئة التصوف نجد القول بالمذهب الإشارى أو الفيضى. ومن أجل تطبيق هذا لجأ المتصوفة إلى الخروج باللغة عن الدلالات المقصودة والخروج بالنص عن المعنى الظاهر واعتمدوا على الزهد والفناء فى طاعة الله ومجاهدة النفس.

وفى بيئة الفلاسفة نجد الكندى يعتمد على المقاييس العقلية ويتعرض للمعنى اللغوى باعتباره عاملاً أساسيًا يسانده.

المبحث الثالث

أدوات التفسير المفردة

تناول المصنفون أبحاثًا مفردة تناولت موضوعات العلوم التى يحتاجها المفسر منفصلة عن بعضها كالحديث عن مجاز القرآن وإعرابه وقراءاته وأسباب نزوله وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وغريبه وأصول استنباط أحكامه وإعجازه ووجوه بلاغته ولغاته.

١- مقدمة ابن تيمية

وابن تيمية فى مقدمة فى أصول التفسير قدم لنا رسالة صغيرة تحدث فيها عن الاختلاف فى التفسير وأحسن طرق التفسير وجمع القراءات.

وذكر فى مقدمته أن الرسول فسر آيات القرآن وأن الصحابة اعتنوا بالتفسير وعن أسباب الخلاف فى التفسير يذكر سببين :

الأول : الاختلاف فى الأسماء، وذلك لتعددها كتعدد أسماء النبى وأسماء الله الحسنى وأسماء القرآن.

الثانى : «أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود فى عمومه وخصوصه، مثل: سائل أعجمى سأل عن مسمى لفظ الخبز فأرى رغيفًا وقيل له : هذا. فالإشارة إلى نوع هذا لا إلى هذا الرغيف وحده»[1].

ومن الواضح من حديث ابن تيمية أنه يشير إلى الخلاف اللغوى ويدخل فى هذا الباب قولهم هذه الآية نزلت فى كذا وعن أهمية سبب النزول يقول : «ومعرفة سبب النزول تعين على فهم الآية، فإن العالم بالسبب يورث العلم بالمسبب»[2].

ويضيف فى الحديث عن أسباب النزول قولاً آخر : «وقد تنازع العلماء فى قول

---

[1] ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير، ص ٥٣، تحقيق محمود محمد نصار، ط دار الجيل.

[2] ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير، ص ٦٠.

الصحابة "نزلت هذه الآية فى كذا" هل يجرى مجرى المسند كما يذكر السبب الذى أنزلت لأجله، أو يجرى مجرى التفسير منه الذى ليس بمسند»[١] .

ويذكر رأيين فى هذا المجال، وهما: رأى البخارى الذى يدخله فى المسند وغيره الذى على خلافه.

ويشير إلى تنازع آخر حينما يكون اللفظ محتملاً للأمرين إما لكونه مشتركًا وإما لكونهم يعبرون عن المعانى بألفاظ متقاربة لا مترادفة.

وترجع أنواع الاختلاف فى التفسير إلى سببين :

الأول : ما يسند إلى النقل.

الثانى : ما يعلم بالاستدلال.

والمنقول قسمان : قسم يمكن معرفة الصحيح والضعيف فيه، وقسم لا يمكن معرفة ذلك به.

«وهذا القسم الثانى من المنقول -وهو ما لا طريق لنا إلى الجزم بالصدق منه- فالبحث عنه مما لا فائدة فيه»[٢]

وعن أعلم الناس بالتفسير يذكر أهل مكة وأصحاب ابن عباس وأهل المدينة.

وعن تعدد روايات الحديث يرى ابن تيمية أن صدق الراوى هو المقياس سواء تعددت جهات المروية أم لم تتعدد.

يقول : «فإذا كان الحديث جاء من جهتين أو جهات وقد علم أن المخبرين لم يتواطئوا على اختلافه وعلم أن مثل ذلك لا تقع الموافقة فيه اتفاقًا بلا قصد علم أنه صحيح»[٣] .

وعن النوع الثانى، وهو طريق الاستدلال يرى أن مفسريه نوعان :

---

[١] ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير، ص ٦٠.

[٢] ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير، ص ٦٨.

[٣] ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير، ص ٧٢.

الأول : قوم راعوا المعنى من غير نظر إلى اللفظ.

الثانى : قوم فسروا القرآن بمجرد الرأى.

وينكر على الفريق الثانى ما فعلوه من تأويلات توافق أهواءهم «ومن هؤلاء فرق الخوارج والروافض والجهمية والمعتزلة والمرجئة وغيرهم»[(١)].

ويتحدث عن المعتزلة وأصولهم الخمسة، ويذكر رأيه فى صاحب الكشاف قائلاً : «ومن هؤلاء من يكون حسن العبادة فصيحًا ويدس البدع فى كلامه وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشاف»[(٢)].

وأما عن رأيه فى تفسير ابن عطية والطبرى فيقول : «وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشرى، فإنه كثيرًا ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبرى، وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدرًا»[(٣)].

وعن أحسن طرق التفسير يرى على وجه الترتيب أن تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة ثم بأقوال التابعين، يقول : «إن أصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل فى مكان فإنه قد فسر فى موضع آخر فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له»[(٤)].

وإن لم يكن فى القرآن أو السنة فالمرجع أقوال الصحابة كالخلفاء الراشدين وابن مسعود. وإن لم يكن فى أقوال الصحابة، فالمرجع إلى أقوال التابعين كمجاهد وابن جبير.

وعن تفسير القرآن بمجرد الرأى يرى أنه حرام، وعن أقرب التفاسير إلى الكتاب والسنة يشير إلى الطبرى والبغوى والواحدى، أما الزمخشرى فتفسيره محشو بالبدعة.

وعن جمع القراءات السبع يقول : «أما جمعها فى الصلاة أو فى التلاوة فهو بدعة

---

(١) ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير، ص ٨٥.

(٢) ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير، ص ٨٧.

(٣) ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير، ص ٨٩، ٩٠.

(٤) ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير، ص ٩٣.

مكروهة، وأما جمعها لأجل الحفظ والدرس فهو من الاجتهاد الذى فعله طوائف فى القراءة»[1] .

وما ذكره ابن تيمية لا غنى لمفسر عنه فمعرفه سببى الخلاف فى التفسير وطرقه هامة وضرورية، وكذلك نهجه فى تفسير القرآن يوضح اتجاهه السنى.

[1] ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير، ص ١١٠.

٢- غريب القرآن

الغريب علم يبحث فى معانى الألفاظ القرآنية، وزادت الحاجة إليه حينما توالت العصور واختلط العرب بالعجم و لم يعد اللفظ المفهوم بالفطرة والسليقة لهم، كما هو وقد حظى الغريب بدراسات كثيرة كان الفضل فيها للغويين.

من ذلك كتاب غريب القرآن للسجستانى، والكتاب مقسم إلى أبواب تبعًا لحروف الهجاء يبدأ فيها بالحرف تبعًا لضبطه. فالمفتوح مقدم على المضموم والمضموم مقدم على المكسور.

وهو يذكر الكلمة ثم مرادفها يقول : «أسلفت : قدمت»[١]، ويذكر شواهد شعرية وقرآنية؛ ويتعرض لذكر الكلمات الأعجمية ويوضحها فيقول : «استبرق هو ثخين الديباج وهو فارسى معرب»[٢].

ويذكر مفرد الكلمة وأصلها يقول : «أسباب وصلات الواحدة سبب وصلة، وأصل السبب الحبل يشد بالشىء فينجذب، ثم جعل كل ما جر شيئًا سببًا»[٣].

ويسير إلى الكلمة التى لها أكثر من مفرد ويوضحه يقول : «آلاء الله» نعم الله واحدها ألى وأَلًى وإِلًى»[٤].

ويشير إلى لغات العرب فيقول : «أيان معناها أى حين، وهو سؤال عن زمان مثل متى وإِيَّان بكسر الهمزة لغة سليم حكاها الفراء وبه قرأ السلمى إِيَّان يبعثون»[٥].

وإن كان اللفظ من الأضداد؛ فنراه يقول : أسروا الندامة أظهروها ويقال كتموها يعنى كتمها العظماء الذين أضلوهم وأسر من الأضداد[٦].

وإن كان اللفظ يحتمل معانى عدة، فقد ذكر للفظ أمة ثمانية وجوه.

---

[١] السجستاني : غريب القرآن، ط مطبعة التوفيق ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م، ص ١٥.

[٢] السجستانى : غريب القرآن، ص ٤٩.

[٣] السجستانى : غريب القرآن، ص ٥.

[٤] السجستانى : غريب القرآن، ص ١٢.

[٥] السجستانى : غريب القرآن، ص ١٣.

[٦] السجستانى : غريب القرآن، ص ٩.

ويشير إلى آراء اللغويين من الكوفة والبصرة وإلى الكلمات واشتقاقاتها وأحكام قراءتها والوقف يقول : «ارهبون خافون، وإنما حذفت الياء لأنها فى رأس آية ورؤوس الآيات ينوى الوقف عليها والوقوف على الياء يستثقل؛ فاستغنوا عنها بالكسر»[1].

وقسم الهروى كتابه قسمين أحدهما: غريب القرآن والآخر: غريب الحديث واتبع فيهما الترتيب على حروف الهجاء، ويذكر الشواهد الشعرية والقرآنية والحديث، يقول : «ومن يفعل ذلك يلق آثامًا : الآثام : جزاء الإثم - يقال أثمهُ يأثمه إذا جازه جزاء إثمه، أنشد ابن الأزهرى :

وهَلْ يَأْثِمَنِّى ا للهُ فى أنْ ذَكَرْتُها

وعلَّلتُ أصحابى بها لَيْلة النفرِ[2]

قال : أراد : هل يجازينى جزاء إثمى ؟

وفى حديث الحسن «ما علمت أحدًا منهم ترك الصلاة على أحد من أهل القبلة تأثمًا» أى تجنبًا[3].

والراغب الأصفهانى فى كتابه مفردات فى غريب القرآن قدم لنا مادة حاشدة بالألفاظ والمعانى والصيغ واستشهادات بالقرآن والشعر ومعانى لغوية ودينية وفلسفية يقول: «يبس : يبس الشىء ييس، واليبس يابس النبات، وهو ما كان فيه ماء فيذهب، قال تعالى : ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾[4]، والأيبسان ما لا لحم عليه من الساقين إلى الكعبين»[5].

ويتضح هنا تناوله لمعنى اللفظ اللغوى ويقول : «حدث الحدوث كون الشىء بعد

---

(1) السجستانى : غريب القرآن، ص ٤٢.

(2) ابن منظور : لسان العرب، ج ١٤، ط بولاق، مصر ١٣٠٢هـ، ص ٢٧٠.

(3) الهروى : الغريبين، ط الأهرام، ص ١٩.

(4) سورة طه : آية ٧٧.

(5) الراغب : مفردات فى غريب القرآن، ط مصطفى الحلبى، ص ٥٥٠.

أن لم يكن عرضًا كان ذلك أو جوهر أو إحداثه وإيجاده وإحداث الجواهر ليس إلا لله والمحدث ما أوجد بعد أن لم يكن، وذلك إما فى ذاته أو إحداثه عند من حصل عنده نحو أحدثت ملكًا»[1] وواضح هنا الإشارة إلى المعنى الفلسفى.

وتتسع المادة عنده ليتحدث عن المعنى اللغوى والفلسفى والدينى والشواهد الشعرية وهذا فى معظم كلمات الكتاب كمادة حكم وعلم، وفى القليل يشير إلى معنى الكلمة وأصلها دون اتساع، يقول : «جهنم اسم لنار الله الموقدة، قيل وأصلها فارسى معرب، وهو جهنام والله أعلم»[2].

ويتضح من خلال هذا أهمية الغريب وأثره فى تفسير القرآن وتطوره كونه علمًا مستقلاً على أيدى العلماء.

---

[1] الراغب : مفردات فى غريب القرآن، ص ١١٠.

[2] الراغب : مفردات فى غريب القرآن، ص ١٠٢.

٣- علم النحو

اهتم علماء التفسير اهتمامًا بالغًا بعلم النحو وألف فيه الكثيرون كالعكبرى والزمخشرى وأبى حيان، ولأن الإعراب يبين المعنى ويميز المعانى ويوقف على أغراض المتكلمين.

يقول العكبرى فى مقدمته : «فأول مبدوء به من ذلك تلقى ألفاظه عن حفاظه ثم تلقى معانيه، وأقوم طريق يسلك فى الوقوف على معناه، ويتوصل به إلى تبين أغراضه ومغزاه، معرفة إعرابه واشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه، والنظر فى وجوه القرآن المنقولة عن الأئمة الأثبات.

أحببت أن أملى كتابًا يصغر حجمه ويكثر علمه، أقتصر منه على ذكر الإعراب ووجوه القراءات فأتيت به على ذلك»[١].

وبدأ كتابه بالحديث عن الاستعاذة والبسملة، وهو فى أثناء حديثه يعرض لرأى الكوفيين والبصريين وأشعار العرب ويشير إلى الاشتقاق والقراءات والآراء المختلفة ويفاضل بينها.

يقول : «الباء فى "بسم" متعلقة بمحذوف، فعند البصريين المحذوف مبتدأ والجار والمجرور خبره، والتقدير ابتدائى بسم الله، أى كائن باسم الله، فالباء متعلقة بالكون. وقال الكوفيون المحذوف فعل تقديره ابتدأت أو أبدأ فالجار والمجرور فى موضع نصب بالمحذوف، وحذفت الألف عن الخط لكثرة الاستعمال، فلو قلت : لاسم الله بركة وباسم الله ربك أثبت الألف فى الخط. وقيل حذفوه على سم وهى لغة من اسم»[٢].

ويقول : «الرحمن الرحيم صفتان مشتقتان من الرحمة والرحمن، من أبنية المبالغة وفى الرحيم مبالغة أيضًا إلا أن فعلان أبلغ من فعيل، وجرهما على الصفة، والعامل فى الصفة هو العامل فى الموصوف. قال الأخفش : العامل فيهما معنوى وهو كونها تبعًا، ويجوز نصبهما على إضمار أعنى، ورفعهما على تقدير هو»[٣].

---

[١] العكبرى : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن، تحقيق إبراهيم عطوة، ط مصطفى البابى الحلبى، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، ص ٣.

[٢] العكبرى : إملاء ما من به الرحمن، ص ٤.

[٣] العكبرى : إملاء ما من به الرحمن، ص ٥.

ويقول : "أأنذرتهم" قرأ ابن محيص بهمزة واحدة على لفظ الخبر، وهمزة الاستفهام مرادة، ولكن حذفوها تخفيفًا، وفى الكلام ما يدل عليها، وهو قوله أم لم لأن أم تعادل الهمزة، وقرأ الأكثرون على لفظ الاستفهام ثم اختلفوا فى كيفية النطق به، فحقق قوم الهمزتين و لم يفصلوا بينهما وهذا هو الأصل، إلا أن الجمع بين الهمزتين مستثقل؛ لأن الهمزة نبرة تخرج من الصدر بكلفة، فالنطق بها يشيمه التهوع، فإذا اجتمعت همزتان كان أثقل على المتكلم، فمن هنا لا يحققها أكثر العرب، ومنهم من يحقق الأولى ويجعل الثانية بين بين : أى بين الهمزة والألف، وهذه فى الحقيقة همزة مليئة وليست ألفًا، ومنهم من يجعل الثانية ألفًا صحيحة كما فعل ذلك فى آدم وآمن، ومنهم من يلين الثانية ويفصل بينهما وبين الأولى بالألف، ومنهم من يحقق الهمزتين ويفصل بينهما بألف، ومن العرب من يبدل الأولى هاء ويحقق الثانية، ومنهم من يلين الثانية مع ذلك، ولا يجوز أن يحقق الأولى ويجعل الثانية ألفًا صحيحة، ويفصل بينهما بألف لأن ذلك جمع بين ألفين، ودخلت همزة الاستفهام هنا للتسوية ويقع بعد ذلك سواء كهذه الآية»[1] .

يعرض العكبرى القراءات فيما سبق ويعبر عن رأيه على الرغم من كثرة الآراء التى يذكرها.

ويعرض رأيى الأخفش وسيبويه ويفاضل بين القراءات ويعتمد على المعنى فى الآيات.

يقول : «﴿أُمِّيُّونَ﴾[2] مبتدأ وما قبله الخبر، ويجوز على مذهب الأخفش أن يرتفع بالظرف. ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾[3] فى موضع رفع صفة لأميين»[4] .

ويقول : «﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾[5] الأحسن القراءة بالباء لأنه يقال، إثم كبير وصغير

---

[1] العكبرى : إملاء ما من به الرحمن، ص ١٤، ١٥.

[2] سورة البقرة : آية (٧٨).

[3] سورة البقرة : آية (٧٨).

[4] العكبرى : إملاء ما من به الرحمن، ص ٤٥.

[5] سورة البقرة : آية (٢١٩).

ويقال فى الفواحش العظام والكبائر، وفيما دون ذلك الصغائر، وقد قرئ بالثاء وهو جيد فى المعنى، لأن الكثرة كبر والكثير كبير، كما أن الصغير يسير وحقير»[١] .

يقول : «﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾[٢] ، فإن قلت : ليس الغرض من استشهاد المرأتين مع الرجل أن تضل إحداهما فكيف يقدر باللام ؟ فالجواب ما قاله سيبويه : إن هذا كلام محمول على المعنى وعادة العرب أن تقدم ما فيه السبب فيجعل فى موضع المسبب ؟ لأنه يصير إليه، ومثله قولك : أعددت هذه الخشبة أن تميل الحائط فأدعمه لها؛ ومعلوم أنك لم تقصد بإعداد الخشبة ميل الحائط، وإنما المعنى لأدعم بها الحائط إذا مال، فكذلك الآية تقديرها : لأن تذكر إحداهما الأخرى إذا ضلت أو لضلالها، ولا يجوز أن يكون التقدير : مخافة أن تضل، لأنه عطف عليه فتذكر؛ فيصير المعنى مخافة أن تذكر إحداهما الأخرى إذا ضلت، وهذا عكس المراد»[٣] .

---

[١] العكبرى : إملاء ما من به الرحمن، ص ٩٣.

[٢] سورة البقرة : آية (٢٨٢).

[٣] العكبرى : إملاء ما من به الرحمن، ص ١١٩.

٤- إعجاز القرآن

القرآن معجز، وهذا ما يتضح فى آياته وكلماته وحروفه ومعانيه ونزوله وأخباره، وفى كل ما يتصل به وتلك قضية طالما شغلت المفكرين قديمًا وحديثًا. يرى الرمانى أن الإعجاز من سبعة وجوه هى : ترك المعارضة والتحدى والصرفة والبلاغة والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية ونقض العادة وقياسه بكل معجز.

ويجعل البلاغة عشرة أقسام هى : الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان. ويفصل الحديث فى هذه الأقسام موضحًا تعريفها وشواهدها من القرآن.

و لم نجد فى رسالته أى إشارة إلى البديع أو نظم التأليف.

أما الخطابى فقد تحدث عن : الصرفة والأخبار المستقبلية والبلاغة ونظم التأليف وتأثيره فى النفوس ويحلل النصوص الشعرية مستخلصًا النتائج يقول «وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور منها : أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التى هى ظروف المعانى والحوامل، ولا تدرك أفهامهم معانى الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظم التى تم ائتلافها وارتباطها بعضها ببعض، فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله»[1].

لم يقسم الخطابى أبوابًا للبلاغة و لم يشر إلى البديع فى رسالته.

أما الباقلانى فقد كان كتابه إعجاز القرآن شاملاً عامًا حيث تناول جوانب القضية كلها.

تحدث عن وجوه الإعجاز وقسمها إلى ثلاثة أقسام :

أ- الإخبار عن الغيوب.

ب- أمية الرسول.

ج- بديع النظم.

---

[1] محمد خلف الله أحمد : ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن، ط دار المعارف، مصر، ص ٢٤.

وتحدث عن نفى الشعر والسجع، وذكر البديع وأبوابه وقسمها إلى ثلاثين نوعًا يذكر فيها الشواهد من القرآن والحديث وأقوال الصحابة والشعر، وقد يعرف النوع قبل ذكر الشواهد كما فعل فى حديثه عن التجنيس والمقابلة والمساواة والإشارة ...، ويقول : «لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذى ادَّعوه فى الشعر ووصفوه فيه؛ وذلك أن هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة، ويخرج عن العرف، بل يمكن استدراكه بالتعلّم والتدرب به، والتصنع له، كقول الشعر، ورصف الخطب وصناعة الرسالة، والحذف فى البلاغة»[1].

وفى كيفية الوقوف على إعجاز القرآن يقول : «قد بينا أنه لا يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية، من العجم والترك وغيرهم، أن يعرفوا إعجاز القرآن، إلا أن يعلموا أن العرب قد عجزوا عن ذلك. فإذا عرفوا هذا بأن علموا أنهم قد تحدوا على أن يأتوا بمثله، وقرعوا على ترك الإتيان بمثله، و لم يأتوا به وتبينوا أنهم عاجزون عنه، وإذا عجز أهل اللسان فهم عنه أعجز»[2].

وفى التحدى يرى أنه ضرورة لإثبات صدق النبى فى دعوته. ويعرض الباقلانى وجوه البلاغة العشرة كما عرضها الرمانى. بالإضافة إلى أن كتابه يحتوى على قصيدة امرئ القيس ولامية البحترى ونقد أدبى لهما.

والجرجانى يعرض فى رسالته عجز العرب وأن القرآن ناقض للعادة وتفاوت الشعراء والصرفة وفى كتابه دلائل الإعجاز يتحدث عن التحدى وعن الاستعارة والنظم وأحكام النحو يدخل فى الإعجاز.

وينفى عن القرآن الألفاظ الغريبة الوحشية، يقول : «ثم إنه لو كان أكثر ألفاظ القرآن غريبًا لكان محالاً أن يدخل ذلك فى الإعجاز وأن يصح التحدى به»[3].

---

[1] الباقلانى : إعجاز القرآن، ط دار الجيل - بيروت، ص ١٦٢.

[2] الباقلانى : إعجاز القرآن، ص ١٦٥.

[3] محمد خلف الله : ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن، ص ١٨٧.

٥ - أسباب النزول

تشمل أسباب النزول الحديث عن المكى والمدنى والنهارى والليلى والصيفى والشتوى وفيمن نزلت الآية وسببها «ولا يحل القول فى أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب»[١].

لم يعن الواحدى بذكر هذه الأنواع -فلم يذكر من المكى والمدنى سوى الفاتحة والبقرة و لم يذكر من النهارى والليلى سوى آية واحدة فى سورة المائدة قائلاً «نزلت هذه الآية وكان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع فى السنة العاشرة، والنبى -صلى الله عليه وسلم- واقفًا بعرفات على ناقته العضباء»[٢].

وذكر الآية وسبب نزولها على ترتيب المصحف وذكر المرويات، «سرد الواحدى الأحاديث والموقوفات والمقطوعات فى مواطنها تارة مسندًا وتارة معلقًا القول لصاحبه كقوله وقال الحسن، وقال عطاء عن ابن عباس. وقال فلان، وربما أبهم بالجمع إن كان هناك اتفاق على القول فيقول : وقال المفسرون وربما قاله و لم يعزه لأحد»[٣].

ويذكر الواحدى أن المرويات فى البخارى ومسلم أو أن الحاكم قد رواها و لم يكن ذلك عامًا فى كل المرويات.

و لم يذكر الواحدى الناسخ والمنسوخ إلا فى موضعين من كتابه فى آخر البقرة بقوله : «نسخت هذه الآية ما قبلها»[٤]، وفى سورة براءة[٥].

و لم تخل المرويات من الإسرائيليات والضعاف فى كتابه فى أكثر من موضع، «قوله تعالى : ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾[٦]، قال ابن عباس : لما

---

[١] الواحدى : أسباب النزول، ط دار الحديث، ص ١٢.

[٢] الواحدى : أسباب النزول، ص ١٥٥.

[٣] الواحدى : أسباب النزول، ص ٧.

[٤] الواحدى : أسباب النزول، ص ٨٣.

[٥] الواحدى : أسباب النزول، ص ٢٠٤.

[٦] سورة يونس : آية (٢).

بعث الله تعالى محمدًا -صلى الله عليه وسلم- رسولاً أنكرت عليه الكفار، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا مثل محمد فأنزل الله تعالى هذه الآية»[1].

ويذكر الواحدى مرويات صحيحة و لم يعلق عليها بقوله أن البخارى أو مسلم قد رواها، فهى صحيحة وتعد حديثًا صحيحًا فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾[2] أخبرنا أبو إسحاق الثعالبى، قال أخبرنا عبد الله بن حامد، قال: أخبرنا مكى بن عبدان ؟ قال: حدثنا عبد الله بن هاشم، قال: حدثنا معاوية عن الأعمش، عن أبى الضحى، عن مسروق، عن خباب أبو معاوية عن الأعمش، عن أبى الضحى، عن مسروق عن خباب بن الأرث قال: كان لى دين على العاص بن وائل، فأتيته أتقاضاه فقال: لا والله حتى تكفر بمحمد، قلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال إنى إذا مت ثم بعثت جئتنى، وسيكون لى ثم مال وولد فأعطيك، فأنزل الله تعالى هذه الآية»[3].

«صحيح البخارى فى كتاب البيوع ومسلم فى كتاب المنافقين والترمذى فى التفسير وقال حسن صحيح والنسائى فى تفسيره»[4].

وتبدو فاعلية أسباب النزول حين توجه إلى معنى الآية وتكشف لنا عن المراد منها ومقصدها وهدفها. ولنرى كيف كان لسبب النزول هذا الأثر من خلال نماذج من تفسيرالطبرى. فسبب النزول طريق معين على فهم الآية وتوضيح المراد منها، مثال ذلك ما يذكره الطبرى فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[5].

---

[1] الواحدى: أسباب النزول، ص ٢٢١.

[2] سورة مريم: آية (٧٧).

[3] الواحدى: أسباب النزول، ص ٢٥٣.

[4] الواحدى: أسباب النزول، ص ٢٥٣.

[5] سورة البقرة: آية (١١٣).

«حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة -وحدثنا أبو كريب قالا، حدثنا يونس بن بكير قال، جميعًا- حدثنا محمد بن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال، حدثني سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس قال : لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال رافع بن حريملة : ما أنتم على شيء ! وكفر بعيسى بن مريم وبالإنجيل. فقال رجل من أهل نجران من النصارى : ما أنتم على شيء! وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة، فأنزل الله عز وجل في ذلك قولهما : (وقالت اليهود ..... الآية)»[1] .

ويذكر الطبري رواية أخرى في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾[2] .

«حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليت شعري ما فعل أبواي؟»، فنزلت : ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾»[3] .

ثم يعلق أبو جعفر قائلاً : «والصواب عندي من القراءة في ذلك قراءة من قرأ بالرفع، على الخبر. لأن الله جل ثناؤه قص قصص أقوام من اليهود والنصارى، وذكر ضلالتهم وكفرهم بالله وجراءتهم على أنبيائه، ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (إنا أرسلناك) يا محمد (بالحق بشيرًا) من آمن لك واتبعك، ممن قصصت عليك أنباءه ومن لم أقصص عليك أنباءه (ونذيرًا) من كفر بك وخالفك. فبلغ رسالتي، فليس عليك من أعمال من كفر بك -بعد إبلاغك إياه رسالتي- تبعة، ولا أنت مسئول عما فعل بعد ذلك. ولم يجر لمسألة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ربه عن أصحاب الجحيم- ذكرٌ، فيكون لقوله (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) وجه يوجه إليه. وإنما الكلام موجه

---

[1] الطبري : تفسير الطبري، ج١، ط دار الغد العربي، ص ٧٢٤.

[2] سورة البقرة : آية (١١٩).

[3] الطبري : تفسير الطبري، ج١، ص ٧٥٤، ٧٥٥.

معناه إلى ما دل عليه ظاهرُه المفهوم، حتى تأتى دلالة بينة تقوم بها الحجة، على أن المراد به غير ما دل عليه ظاهرُه، فيكون حينئذٍ مسلمًا للحجة الثابتة بذلك»[١].

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٢].

قال أبو جعفر : قيل : عنى بالإيمان فى هذا الموضوع : الصلاة حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع وعبيد الله -وحدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا عبيد الله بن موسى- جميعًا، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : لما وُجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى الكعبة فقالوا : كيف من مات من إخواننا قبل ذلك، وهم يصلون نحو بيت المقدس ؟ فأنزل الله جل ثناؤه : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾»[٣].

وهنا سبب النزول وضح مقصد الآية وهدفها ولولاها لاتجه التفسير لرأى آخر، وتبدو هنا أهمية ذكر سبب النزول فلولاه ما عرف أحد من المقصود بالناس.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[٤].

«اللفظ الأول (الناس) هم قومه -فيما ذكر لنا- حيث سألهم أبو سفيان أن يثبطوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الذين خرجوا فى طلبه بعد منصرفه عن أحد إلى حمراء الأسد.

لفظ الناس الثانى، هو أبو سفيان وأصحابه من قريش، الذين كانوا معه بأحد»[٥].

ولننتقل الآن إلى الحديث عن الناسخ والمنسوخ تلك القضية التى تناولت الحديث عنها كثير من الكتب والرسائل قديمًا وحديثًا مما تمثله من أهمية فى فهم الآيات ولما لها من أثر فى تحديد المعنى والمقصد والحكم الشرعى.

---

[١] الطبرى : تفسير الطبرى، ج١، ص ٧٥٤، ٧٥٥.

[٢] سورة البقرة : آية (١٤٣).

[٣] الطبرى: تفسير الطبرى، ج٢، ص ٢٤.

[٤] سورة آل عمران : آية (١٧٣).

[٥] الطبرى : تفسير الطبرى، ج٣، ص ٦٨٠.

٦ - الناسخ والمنسوخ

من القضايا الهامة التى يحتاجها المفسر، والتى تناولها كثير من العلماء وترجع أهميتها إلى باب الاجتهاد وللنسخ شروط : ذكرها ابن حزم أن يكون النسخ بخطاب، أن يكون المنسوخ حكمًا شرعيًا، ألا يكون الحكم السابق مقيدًا بزمان مخصوص، أن يكون الناسخ متراخيًا.

واشترط ابن العربى ستة شروط منها «أن يكون المقتضى بالمنسوخ غير المقتضى بالناسخ حتى لا يكون منه البدل، أن يكون الجمع بين الدليلين غير ممكن»[1].

أضرب النسخ :

قسم ابن حزم النسخ إلى ثلاثة أضرب : نسخ الخط والحكم، ونسخ الخط دون الحكم ونسخ الحكم دون الخط.

و لم يزد ابن سلامة عن ذلك، بينما ذكر ابن العربى نوعًا رابعًا بقوله : «ومنها نسخ ما ليس متلوًا بما ليس متلوًا»[2].

وقسم ابن حزم النسخ فى سور القرآن إلى ثلاثة أقسام :

١- سور لم يدخلها ناسخ ولا منسوخ، وعددها ثلاث وأربعون سورة.

٢- سور فيها ناسخ وليس فيها منسوخ، وعددها أربعون سورة.

٣- وسور فيها ناسخ ومنسوخ، وعددها خمس وعشرون سورة.

ومن الملاحظ على ما ذكره ابن حزم ما يلى :

١- كرر سورة التين فى القسمين الأول والثانى.

٢- عدد السور التى فيها ناسخ ومنسوخ خمس وعشرون لم يذكر سوى أربع وعشرين.

٣- لم يشر إلى ثمانى سور هى: سبأ والفتح والحشر والمنافقون والتغابن والطلاق والأعلى والفيل وبالرجوع إلى كتابه وجدنا أن هذه السور كالآتى، وإن لم تذكر فى بداية الحديث:

---

[1] أبو بكر بن العربى : الناسخ والمنسوخ، ج٢، ط مكتبة الثقافة، ١٩٩٣م، ص ١.

[2] أبو بكر بن العربى : الناسخ والمنسوخ، ج٢، ص ٥.

أ- سورة سبأ فيها آية منسوخة.

ب- سورة الفتح والمنافقين والتغابن والطلاق والأعلى فيها ناسخ، وليس فيها منسوخ.

ج- سورة الحشر ليس فيها منسوخ وفيها ناسخ.

د- الفيل جميعها محكم.

هـ- التين قال ابن حزم : «مكية وجميعها محكم غير آية واحدة، وهى قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ نسخ معناها بآية السيف»[1].

ولم يفصل ابن حزم فى كتابه فى عرض آراء أو مناقشات، ولكنه لم يذكر سورة إلا ذكر أنها مكية أو مدنية لأن ذلك له علاقة هامة بالناسخ فالمنسوخ، وكان موقف النحاس غير مشابه لموقف ابن حزم؛ فقد عرض السور على ترتيب المصحف يقول : «وتذكر الناسخ والمنسوخ على ما فى السور ليقرب حفظه على من أراد تعلمه فإذا كانت السورة فيها ناسخ ومنسوخ ذكرناها وإلا أضربنا عن ذكرها، إلا أننا نذكر إنزالها أكان بمكة أم بالمدينة»[2].

والنحاس يعرض الآراء ويذكر رأيه ويحدد بطلان أحدها على ما يرى.

وقسم ابن سلامة السور إلى أربعة أقسام :

١- سور لم يدخلها ناسخ ولا منسوخ، وعددها ثلاث وأربعون سورة.

٢- سور فيها ناسخ وليس فيها منسوخ، وعددها ست سور.

٣- سور فيها منسوخ و لم يدخلها ناسخ، وعددها أربعون سورة.

٤- سور دخلها ناسخ ومنسوخ، وعددها خمس وعشرون سورة.

ومن الملاحظ على كتاب ابن سلامة :

١- فى القسم الرابع لم يذكر سوى أربع وعشرين سورة.

---

[1] ابن حزم : الناسخ والمنسوخ، ط دار الكتب - بيروت، ص ٦٦.

[2] أبو جعفر النحاس : الناسخ والمنسوخ، ص ١٠.

٢- كرر سورتى الكهف وغافر فى النوعين الثالث والرابع.؟

٣- كرر سورة الكوثر فى النوعين الأول والرابع.

٤- لم يشر فى التقسيم إلى أربع سور هى : النساء - المؤمنون - السجدة - التكوير.

وبالرجوع إلى كتابه وجدنا أن هذه السور كالآتى :

«النساء مدنية تحتوى من المنسوخ على أربع وعشرين آية»[1].

والمؤمنون والسجدة والتكوير يشير إليها بقوله أن بها آيات منسوخة ويذكرها.

سورة الكهف : يذكر أن ليس بها ناسخ ولا منسوخ إلا أية واحدة، فهى على قول السدى منسوخة.

سورة غافر : فيها آيتان منسوختان.

الكوثر : يذكر أن ليس بها ناسخ ولا منسوخ.

أما ابن العربى فيعرض للسور «ويذكر فى مطلع كل سورة عدد آيات النسخ فيها وعدد آيات العموم والخصوص، ويتحدث عن كل نوع على حد يبدأ عادة بآيات النسخ فإن تمييز آيات النسخ من غيرها عنده لا يتم رغم ذلك إلا بعد الدراسة الدقيقة للبحث الذى يعقده لكل آية. لأنه كثيرًا ما يذكر الآية فى جملة آيات النسخ بحسب المشهود بينما هى محكمة عنده»[2].

وللناسخ والمنسوخ أهمية كبيرة فى الوقوف على مقصد الآية كما فى قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

«قال آخرون : بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض على نبيه -صلى الله عليه وسلم- وعلى المؤمنين به، التوجه شطر المسجد الحرام، وإنما أنزلها عليه معلمًا نبيه عليه

---

[1] أبى سلامة : الناسخ والمنسوخ، ١١٠ بهامش أسباب النزول.

[2] ابن العربى : الناسخ والمنسوخ، ج١، ص ٢٣٣.

[3] سورة البقرة : آية (١١٥).

الصلاة والسلام بذلك لأنهم لا يوجهون وجوههم وجهًا من ذلك وناحية، إلا كان جل ثناؤه فى ذلك الوجه وتلك الناحية، لأن لله المشارق والمغارب، وأنه لا يخلو منه مكان، كما قال جل وعز : ﴿وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾[1]، قالوا ثم نسخ ذلك بالفرض الذى فرض عليهم، فى التوجه شطر المسجد الحرام»[2].

وهنا يتضح أهمية معرفة الناسخ إذ يتصل بقضية التشريع وحكم من الأحكام.

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾[3]

«فقال بعضهم : نزلت مرادًا بها تحريم نكاح كل مشركة على كل مسلم من أى أجناس الشرك كانت، عابدة وثنية كانت، أو يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو من غيرهم من أصناف الشرك، ثم نسخ تحريم نكاح أهل الكتاب بقوله : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ إلى ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[4]»[5].

وفى هذه الآية تتضح أهمية الناسخ والمنسوخ ﴿فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[6].

«جائز أن يكون ذلك أذى باللسان أواليد، وجائز أن يكون كان أذى بهما. وليس فى العلم بأى ذلك كان من أى نفع فى دين ولا دنيا، ولا فى الجهل به مضرة، إذ كان جل ثناؤه قد نسخ ذلك من محكمه بما أوجب من الحكم على عباده فيهما وفى اللاتى

---

[1] سورة المجادلة : آية (٧).

[2] الطبرى : تفسير الطبرى، ج١، ص ١١٥.

[3] سورة البقرة : آية (٢٢١).

[4] سورة المائدة : آية (٥،٤).

[5] الطبرى : تفسير الطبرى، ج٢، ص ٢٢١.

[6] سورة النساء : آية (١٦).

قبلهما. فأما الذى أوجب من الحكم عليهم فهما، فما أوجب فى سورة النور بقوله ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[1]، وأما الذى أوجب فى اللاتى قبلهما فالرجم الذى قضى به رسول الله فيهما. وأجمع أهل التأويل جميعًا على أن الله تعالى ذكره قد جعل لأهل الفاحشة من الزناة والزوانى سبيلاً بالحدود التى حكم بها فيهم»[2].

وتبدو هنا أهمية الناسخ والمنسوخ لمعرفة مراد الآية كما فى قوله تعالى : ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[3].

يقول الطبرى: «اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك. فقال بعضهم : هذا أمر من الله بإيتاء الصدقة المفروضة من الثمر والحب»[4].

«وقال آخرون : كان هذا شيئًا أمر الله به المؤمنين قبل أن تفرض عليهم الصدقة المؤقتة ثم نسخته الصدقة المعلومة، فلا فرض فى مال كائنًا ما كان، زرعًا كان أو غرسًا، إلا الصدقة التى فرضها الله»[5].

«قال أبو جعفر : وأولى الأقوال عندى بالصواب، قول من قال : كان ذلك فرضًا فرضه الله على المؤمنين فى طعامهم وثمارهم التى تخرجها زروعهم وغروسهم، ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة، والوظيفة المعلومة من العشر ونصف العشر. وذلك أن الجميع مجمعون لا خلاف بينهم : أن صدقة الحرث لا تؤخذ إلا بعد الدِّياس والتنقية والتذرية، وإن صدقة التمر لا تؤخذ إلا بعد الإجزاز»[6].

وحكى القرطبى أقوالاً عن هذه الآية من ذلك قوله :

---

(1) سورة النور : آية (٢).

(2) الطبرى : تفسير الطبرى، ج٣، ص ٨١٠.

(3) سورة الأنعام : آية (١٤١).

(4) الطبرى : تفسير الطبرى، ج٥، ص ٤٠٤.

(5) الطبرى : تفسير الطبرى، ج٥، ص ٤١٠.

(6) الطبرى : تفسير الطبرى، ج٥، ص ٤١١.

«وهو منسوخ بالزكاة لأن هذه السورة مكية وآية الزكاة لم تنزل إلا بالمدينة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾[1] و﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[2] روى عن ابن عباس وابن حنيفة والحسن وعطية العوفى والنخعى وسعيد بن جبير، وقال سفيان : سألت السدى عن هذه الآية فقال نسخها العشر ونصف العشر، فقلت : عن من؟ قال : عن العلماء»[3] .

---

(1) سورة التوبة : آية (١٠٣).

(2) سورة البقرة : آية (٤٣).

(3) تفسير القرطبى : ج٤، ط دار الريان، ص ٢٥٣٧.

٧ - الآيات المتشابهات

وهذا العلم تأتى فيه الآيات بألفاظ وصور مختلفة بالزيادة والنقصان أو التقديم أو التأخير ولمحمود بن حمزة بن نصر الكرمانى المتوفى ٥٠٥هـ كتاب فى هذا الغرض يقول فى مقدمته : «فإن هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التى تكررت فى القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع فى بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك، مما يوجب اختلافًا بين الآيتين أو الآيات التى تكررت من غير زيادة ولا نقصان وأبين ما السبب فى تكررها والفائدة فى إعادتها وما الوجب للزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والإبدال وما الحكمة فى تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى، وهل كان يصلح ما فى هذه السورة مكان ما فى السورة التى تشاكلها أولاً ليجرى مجرى علامات تزيل إشكالها وتمتاز به عن أشكالها من غير أن أشتغل بتفسيرها وتأويلها»[1].

ويسير الكرمانى فى كتابه على النهج إلا أنه لا يذكر المكى والمدنى لكل سورة ولا يشير إلى مكان نزولها ولا إلى الناسخ والمنسوخ منها. ويبدو هنا أنه إلتزم بنهج واحد وهو هدف الكتاب بالحديث عن الآيات المتشابهات، وحينما يذكر الآية وما يماثلها ويأتى إلى ما يشير إليها فى الآية الأخرى لا يعيد ذكره، وقد يذكر الآية ويشير إلى أنه قد شرحها من قبل دون أن يحدد موضع الشرح وسببه، فيقول فى سورة نون : «قوله ﴿فَأَقْبَلَ﴾[2] بالفاء سبق، قوله ﴿فَاصْبِرْ﴾[3] بالفاء سبق»[4].

وهو يشير إلى الأبيات الشعرية ويذكر التعليلات البلاغية فيقول فى سورة ق : «قوله ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾[5] وفى طه ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[6] لأن فى هذه السورة

---

[1] الكرمانى : البرهان فى توجيه متشابه القرآن، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط دار الكتب العلمية-بيروت، ص ١٩، ٢٠.

[2] سورة نون : الآية ٣٠.

[3] سورة نون : الآية (٤٨).

[4] الكرمانى : البرهان فى توجيه متشابه القرآن، ص ١٨٧.

[5] سورة ق : الآية (٣٩).

[6] سورة طه : الآية (١٣٠).

راعى الفواصل، وفى طه راعى القياس لأن الغروب للشمس كما أن الطلوع لها[١].

وهو يرى أن ما يتعلق بالإعراب ليس من المتشابه يقول : «وما يتعلق بالإعراب لا يعد من المتشابه»[٢].

ويذكر ما اعتبر خطأ من المتشابه فيقول : «فى قوله تعالى : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى﴾[٣] مرفوع وفى الصافات منصوب ذكر فى المتشابه، وليس منه، لأن ما فى هذه السورة مبتدأ أو خبر وما فى الصافات استثناء»[٤].

ومثال ذلك قوله فى سورة البقرة : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾[٥]، وفى يس ﴿وسواء﴾[٦] بزيادة واو لأن ما فى البقرة جملة هى خبر عن اسم إن وما فى يس جملة عطفت بالواو على جملة»[٧].

وحينما يتحدث عن سورة يس لا يشير إلى ما سبق شرحه فى سورة البقرة، حيث إنه يلتزم بترتيب المصحف فى عرضه للآيات.

ويذكر الكرمانى اسمًا آخر للسورة التى يتحدث عنها إذ يقول : «الشمس أيضًا سورة التوديع»[٨].

ويذكر أحيانًا أكثر من رأى فى توضيحه لسبب التشابه دون أن يحدد من قائل هذا الرأى يقول فى شرحه لسورة الناس :

«فى سورة الناس قوله تعالى : ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[٩] ثم كرر خمس مرات قيل : كرر تبجيلاً لهم على ما سبق، وقيل : كرر لانفصال كل آية عن الأخرى»[١٠].

---

[١] الكرمانى : البرهان، ص ١٧٧.

[٢] الكرمانى : البرهان، ص ١٦١.

[٣] سورة الدخان : الآية (٣٥).

[٤] الكرمانى : البرهان، ص ١٧٤.

[٥] سورة البقرة : الآية (٦).

[٦] سورة يس : الآية (١٠).

[٧] الكرمانى : البرهان فى توجيه متشابه القرآن، ص ٢٣.

[٨] الكرمانى : البرهان فى توجيه متشابه القرآن، ص ٢٤.

[٩] سورة الناس : الآية (١).

[١٠] الكرمانى : البرهان، ص ٢٠٥.

ويشير إلىٰ الناحية الصرفية فى شرحه للآيات ويوضحها.

فيقول فى سورة النساء : «قوله ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾[1] بالإظهار فى هذه السورة، وكذلك فى الأنفال[2] وفى الحشر[3] بالإدغام لأن الثانى من المثلين إذا تحرك بحركة لازمة وجب إدغام الأول فى الثانى ألا ترى أنك تقول : أراد له بالإظهار ولا يجوز إرددًا أو أرددوا أو أرددى لأنها تحركت بحركة لازمة والألف واللام فى ا لله لازمتان فصارت حركة القاف لازمة وليس بالألف واللام فى الرسول، كذلك وأما فى الأنفال فالانضمام الرسول إليه فى العطف و لم يدغم فيها لأن التقدير فى القافات قد اتصل بهما، فإن الواو توجب ذلك»[4] .

[1] سورة النساء : الآية (١١٥).

[2] سورة الأنفال : الآية (١٣).

[3] سورة الحشر : الآية (٤).

[4] الكرمانى : البرهان فى توجيه متشابه القرآن، ص ٥٢، ٥٣.

٨ - القراءات

كان الاهتمام بالقراءات واضحًا منذ نزول الوحى وقد قرأ الصحابة القرآن بما تلقوه عن رسول الله وعلمهم إياه، وكان الصحابى لا ينكر على أخيه قراءة تتخالف هى وقراءته لقوله -صلى الله عليه وسلم- أنزل القرآن على سبعة أحرف، ولما تفرق الصحابة فى الأمصار اختلفت القراءة، وأصبح هناك سبب للتأليف فى القراءات من ذلك كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد وهو يقول فى مقدمة كتابه إشارة إلى منهجه، «اختلف الناس فى القراءة كما اختلفوا فى الأحكام ورويت الآثار بالاختلاف عن الصحابة والتابعين توسعة ورحمة للمسلمين، وبعض ذلك قريب من بعض. وحملة القرآن متفاضلون فى حمله، ولنقلة الحروف منازل فى نقل حروفه وأنا ذاكر منازلهم ودال على الأئمة منهم ومخبر عن القراءة التى عليها الناس بالحجاز والعراق والشام وشارح مذاهب أهل القراءة ومبين اختلافهم واتفاقهم إن شاء الله»[1] .

ولم يكن الاهتمام بالقراء فقط، بل كان اهتمامًا بالقراءة نفسها فقد ألف أبو على الفارسى كتابًا أسماه الحجة فى القراءات، وهو فى هذا الكتاب يلتزم نهجًا محددًا، يقول المحقق :

«ويمضى فى نهجه المرسوم : يفسر كلمات الآية، ويصرف ما يحتاج منها إلى تصريف ويعرض ما يكون له اتصال بها من مسائل النحو وأصوله، وقد يتناولها، بالتأويل والإعراب، فإذا قضى من ذلك وطره عاد إلى القراءات التى كان نقلها فاحتج لها ورجع بكل قراءة إلى وجه من وجوه العربية»[2].

والقراءة تؤثر فى معنى الآية، ولهذا نرى الطبرى يتخير إحدى القراءات التى يراها تناسب المعنى والسياق ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[3].

---

[1] ابن مجاهد : كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقى ضيف، ط دار المعارف، ص ٤٥.

[2] الفارسى : الحجة فى علل القراءات، تحقيق على النجدى ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح شلبى، ط الهيئة العامة للكتاب، ص ٣٠.

[3] سورة البقرة : آية (١١٩).

«قال أبو جعفر : قرأت (ولا تُسئلُ عن أصحاب الجحيم) بضم التاء من تسئل ورفع اللام منها على الخبر. بمعنى : يا محمد إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا، فبلغت ما أرسلت به، وإنما عليك البلاغ والإنذار، ولست مسئولاً عمن كفر بما أوتيته به من الحق، وكان من أهل الجحيم.

وقرأ بعض أهل المدينة : (ولا تَسألْ) جزمًا بمعنى النهى، مفتوح "التاء" من "تسأل" وجزم اللام منها. ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء : إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا لتبلغ ما أرسلت به، لا تسأل عن أصحاب الجحيم، فلا تسأل عن حالهم.

والصواب عندى من القراءة فى ذلك قراءة من قرأ بالرفع، على الخبر. لأن الله قص قصص أقوام من اليهود والنصارى، وذكر ضلالتهم وكفرهم بالله وجراءتهم على أنبيائه، ثم قال لنبيه -صلى الله عليه وسلم- : إنا أرسلناك يا محمد (بالحق بشيرًا) من آمن بك واتبعك، ممّن قصصت عليك أنباءه ومن لم أقصص عليك أنباءه (نذيرًا) من كفر بك وخالفك فبلغ رسالتى، فليس عليك من أعمال من كفر بك -بعد إبلاغك إياه رسالتى- تبعة، ولا أنت مسئول عما فعل بعد ذلك»[1].

ونظرًا لاختلاف المعنى يحدد هنا الطبرى القراءة المناسبة.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[2].

«اختلف القراء فى قراءة ذلك. فقرأته جماعة من قرأة الحجاز والعراق : (وما كان لنبى أن يَغُلّ) بمعنى : أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم من أموال أعدائهم. واحتج بعض قارئى هذه القراءة : أن هذه الآية نزلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى قطيفة فقدت من مغانم القوم يوم بدر، فقال بعض من كان مع النبى -صلى الله عليه وسلم- «لعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أخذها !»[3] .

---

[1] الطبرى : تفسير الطبرى، ج١، ص ٧٥٤.

[2] سورة آل عمران : آية (١٦١).

[3] الطبرى : تفسير الطبرى، ج٣، ص ٦٥٦.

«قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى، قراءة من قـرأ : (وما كان لنبى أن يَغُلَّ) بمعنى : ما الغلول من صفات الأنبياء، ولا يكون نبيًا غل»[1] .

والمعنى قد يتفق مع تعدد القراءة كقوله تعالى :

﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾[2] .

«اختلف القراء فى قراءة قوله (مبينة) فقرأ بعضهم : "مُبَيَّنَةٍ" بفتح الياء بمعنى أنه قد بُيِّنت لكم وأعلنت وأظهرت.

وقرأه بعضهم : (مُبَيِّنة) بكسر الياء بمعنى أنها ظاهرة بينة للناس أنها فاحشة.

وهما قراءتان مستفيضتان لقراء أمصار الإسلام. فبأيتهما قرأ القـارئ فمصيب فـى قراءته الصواب لأن الفاحشة إذا أظهرها صاحبها فهى بينة، وإذا ظهرت فبإظهـار صاحبها إياها ظهرت. فلا تكون ظاهرة بيِّنة إلا وهى مبيَّنة ولا مبيَّنة إلا وهى مبيِّنة، فلذلـك رأيت القراءة بأيهما قرأ القارئ صوابًا.

---

[1] الطبرى : تفسير الطبرى، ج٣، ص ٦٥٨.

[2] سورة النساء : آية (١٩).

٩ - نقط المصحف

وقد ألف فيه الداني كتابًا يقول فيه : «هذا كتاب علم نقط المصاحف وكيفيته على صيغ التلاوة ومذاهب القراءة، فيما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه، وعلى ما سنه الماضون، واستعمله الناطقون، وما يوجبه قياس العربية، وتحققه طريق اللغة، مشروحًا ذلك بأصوله وفروعه مبينًا بعلله ووجوهه، مع ذكر السنن الواردة عن السلف الماضين، والأئمة المتقدمين في النقط، ومن ابتدأ به أولاً، ومن كرهه منهم، ومن ترخص فيه، إلى غير ذلك مما ينضاف إليه، ويتصل به من ذكر رسم فواتح السور، ورؤوس الآي والخموس والعشور، ومن أبى ذلك ومن أجازه»[1].

وهذا يدلنا على العناية التامة بكتاب الله حتى أن طريقة رسمه ونقطه يؤلف فيها كتاب منفصل يعرض فيه صاحبه لعلم النقط وكيفيته على صيغ التلاوة ومذاهب القراءة.

---

[1] أبو عمرو الداني : المحكم في نقط المصحف، ص ١، تحقيق عزة حسن، ط دمشق، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.

١٠ - أحكام القرآن

اهتم العلماء بمعرفة أحكام القرآن وأفردوا كتبًا كثيرة من أهمها أحكام القرآن للجصاص، واهتم أنصار الشافعية والمالكية والحنيفية والحنابلة بوضع أساس لمذاهبهم في كتبهم.

والجصاص تناول «ما في القرآن من آيات الأحكام، بتفسير معانيها وبيان جميع ما استنبطه الأئمة المجتهدون من المسائل الأصولية والفروع الفقهية، وما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه وذكر ما احتج به كل واحد منهم لتأييد مذهبه من سائر الأدلة السمعية والعقلية ثم حاكم بين المختلف فيه من أقوالهم، وطرق استدلالهم، وميز بين الراجح منها والمرجوح، والصحيح والمجروح، وأبان الناسخ والمنسوخ من الآيات والأحاديث، وتكلم عن أسباب نزولها وورودها وبسط القول بينها والكشف عن وجوه الاستنباط؛ ليكون المقتضي لمذهبه على بصيرة من أمر دينه علمًا وعملاً، وقد ذكر في غضون كلامه كل ما اقتضاه المقام من تحليل مفردات الألفاظ، وشرح ما أريد بها من حقيقة ومجاز، وما في جملها المركبة من البلاغة والإعجاز والإطناب والمساواة والإيجاز، مع الاستشهاد لذلك بالمنظوم والمنثور من كلام ما يحتج بقوله من قول الشعراء وفحول البلغاء، فلذا كان هذا الكتاب الجليل القدر موردًا عامًا لكل من جاء بعده عن جهابذة الفقهاء، وغيرهم من سائر العلماء والأدباء، ورواة الآثار وحملة الأخبار»[١].

ويقسم الجصاص كتابه إلى أبواب وفصول تحت هذه الأبواب منها باب البسملة ثم فصل في أنها ليست آية وفصل في قراءتها في الصلاة، وعن الجهر بها وهكذا ...

يقول : «في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[٢] مجاز وقد قيل فيه وجوه أحدها على جهة مقابلة الكلام بمثله، وإن لم يكن في معناه كقوله تعالى : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[٣] ، والثانية ليست بسيئة، بل حسنة، ولكنه لما قابل بها السيئة أجرى عليها اسمها

---

[١] الجصاص : أحكام القرآن، ط مطبعة الأوقاف، ١٣٣٥م، ج١، ص ١.

[٢] سورة البقرة : آية (١٥).

[٣] سورة الشورى : آية (٤٠).

وقوله تعالى : ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[١] ، والثانى ليس باعتداء، وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾[٢] ، والأول ليس بعقاب، وإنما هو على مقابلة اللفظ بمثله ومزاوجته لـه وتقـول العرب الجزاء بـالجزاء، والأول ليس بجزاء»[٣] .

ومن الأحكام التى تناولها قوله : «قال أبو بكر لم يختلف الفقهاء أن قاتل العمد لا يرث المقتول إذا كان بالغًا عاقلاً بغير حق، واختلف فى قاتل الخطأ، وقد حدثنا عبد الباقى قال حدثنا أحمد بن محمد بن عنبه بن لقيط الضبى قال حدثنا على بن حجر قال حدثنا إسماعيل بن عياش عن ابن جريج والمثنى ويحيى بن سعيد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ليس للقاتل عن الميراث شىء»[٤] .

وفى باب الربا يذكر المسائل والمعانى اللغوية يقول : «قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[٥] ، قال أبو بكر أصل الربا فى اللغة هو الزيادة، ومنه الرابية لزيادتها على ما حواليها من الأرض، ومنه الربوة من الأرض وهى المرتفعة، ومنه قولهم أربى فلان على فلان فى القول أو الفعل، إذا زاد عليه وهو فى الشرع يقع على معان لم يكن الاسم موضوعًا لها فى اللغة، ويدل على أن النبى -صلى الله عليه وسلم- سمى النساء ربا فى حديث أسامة بن زيد فقال : «إنما الربا فى النسيئة»، وقال عمر بن الخطاب : إن من الربا أبوابًا لا تخفى، منها السلم فى السن يعنى الحيوان وقال عمر أيضًا : إن آية الربا من آخر ما نزل من القرآن، وأن النبى -صلى الله عليه وسلم- قبض قبل أن يبينه لنا فدعوا الربا والريبة، فثبت بذلك أن الربا قد صار اسمًا شرعيًا؛ لأنه لو كان باقيًا على حكمه فى أصل

---

[١] سورة البقرة : آية (١٩٤).

[٢] سورة النحل : آية (١٢٦).

[٣] الجصاص : أحكام القرآن، ص ٢٦.

[٤] الجصاص : أحكام القرآن، ص ٣٦.

[٥] سورة البقرة : آية ٢٧٥.

اللغة والريبة لما خفى على عمر، لأنه كان عالمًا بأسماء اللغة لأنـه مـن أهلها ويدل عليه أن العرب لم تكن تعرف بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة نساء ربا، وهو ربا فى الشرع وإذا كان ذلك على ما وصفنا صار بمنزلة سائر الأسماء المجملة المفتقرة إلى البيان، وهى الأسماء المنقولة من اللغة إلى الشرع لمعان لم يكن الاسم موضوعًا لها فى اللغة نحو الصلاة والصوم والزكاة، فهو مفتقر إلى البيان ولا يصح الاستدلال بعمومه فى تحريم شىء من العقود، إلا فيما قامت دلالته أنه مسمى فى الشرع بذلك. وقد بيّن النبى -صلى الله عليه وسلم- كثيرًا من مراد الله بالآية نصًا وتوقيعًا ومنه ما بينه دليلاً، فلم يخل مراد الله من أن يكون معلومًا عند أهل العلم بالتوقيف والاستدلال»[1].

وعن الربا الذى تعرفه العرب يقول : «والربا الذى كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة على مقدار ما استقرض كان المتعارف المشهور بينهم»[2].

وهو يذكر الآيات التى تحرم الربا، ثم يتحدث عن المعنى الشرعى للربا ويعرض لرأى مالك والشافعى ورأيه بوصفه حنفيًا، يقول : «تعتوره معان أحدها الربا الذى كان عليه أهل الجاهلية، والثانى: التفاضل فى الجنس الواحد من المكيل والموزون على قول أصحابنا ومالك بن أنس يعتبر مع الجنس أن يكون مقتاتًا مدخرًا، والشافعى يعتبر الأكل مع الجنس، فصار الجنس معتبرًا عند الجميع فيما يتعلق به من تحريم التفاضل عند انضمام غيره إليه على ما قدمنا.

والثالث: النساء وهو على ضروب منها فى الجنس الواحد من كل شىء لا يجوز بيع بعضه ببعض نساء سواء أكان من المكيل أم من الموزون، أو من غيره، فلا يجوز عندنا بيع ثوب مروى بثوب مروى نساء؛ لوجود الجنس ومنها وجود المعنى المضموم إليه الجنس فى شريط تحريم التفاضل، وهو الكيل والوزن فى غير الأثمان التى هى الدراهم والدنانير، فلو باع حنطة بجص نساء لم يجز لوجود الكيل، ولو باع حديدًا بصفر نساء لم يجز لوجود الوزن»[3].

---

[1] الجصاص : أحكام القرآن، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

[2] الجصاص : أحكام القرآن، ص ٢٦٥.

[3] الجصاص : أحكام القرآن، ص ٤٦٥.

وتعد القضايا المفردة تمهيدًا للمصنفات غير الكاملة ثم الكاملة ودليلاً على اهتمام العلماء بكل نوع من أنواع العلوم التى يحتاجها المفسر وإفرادهم لها بالتصنيف والتأليف والحفظ والنقل لهذه المصنفات.

الفصل الثانى

الزركشى وكتابه البرهان

المبحث الأول

ترجمة الإمام الزركشي[1]

اسمه : محمد بن بهادر بن عبد الله، وقد اختلفوا في اسم أبيه، فذهب بعضهم إلى أنه محمد بن بهادر بن عبد الله وذهب بعضهم إلى أنه محمد بن عبد الله بن بهادر.

وهذا الاختلاف في اسم أبيه وحده لا يورث اللبس لدى العلماء وطلاب العلم فإن الإمام الزركشي أشهر من نار على علم.

كنيته : فقد يكنى بأبي عبد الله.

لقبه : بدر الدين.

ولقب أيضًا بالألقاب التالية :

١- المصرى : نسبة إلى مصر، فهو مصرى المولد والعرفاة.

٣- التركى : نسبة إلى أصله، فهو من الأتراك.

٣- الشافعي : نسبة إلى مذهب الشافعي محمد بن إدريس الشافعي.

٤- الزركشي : نسبة إلى الزركش، لأنه تعلم صناعة الزركش فى صغره.

٥- المنهاجي : لأنه حفظ منهاج الطالبين للإمام يحيى بن شرف النووى.

٦- المصنف : لكثرة تصانيفه.

ولادته ونشأته :

ولد الإمام الزركشي في مصر سنة ٧٤٥هـ، وكان أبوه من الأتراك، وكان مملوكًا

---

[1] انظر ترجمته فى الكتب التالية : "الأعلام للزركلى : ٦ / ٢٨٦، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ٩ / ١٢١ و١٠/ ٢٠٥، وشذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن عماد الحنبلى : ٦ / ٣٣٥، والدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى : ٤ / ١٧، والنجوم الزاهرة فى أعيان مصر والقاهرة : ١٢ / ٣٤، وطبقات المفسرين للداودى : ٢ / ١٥٧ - ١٥٨، وأنباء الغمر لابن حجر : ١ / ٤٤٦، وحسن المحاضرة للسيوطى : ١ / ٣٤٧، ونزهة النفوس والأبدان للخطيب الجوهرى ١ / ٣٥٤" نقلاً عن كتاب خبايا الزوايا : للإمام الزركشى، تحقيق : عبد القادر عبد الله خلف العانى، ١٤٠٢ / ١٩٨٢م، الطبعة الأولى.

لبعض الأكابر، فتعلم فى صغره صنعة الزركش. ثم بعد أن اشتد عوده تعلق قلبه بالعلوم الشرعية فحفظ منهاج الإمام النووى، كما سبق فى صغره ثم شب على ذلك.

وبدأ يتردد بين المشايخ والعلماء فى مصر فتيمم صوب بلاد الشام حيث المدارس العامرة والمحدثون الكبار فوصل إلى حلب.

والتقى بالشيخ شهاب الدين الأذرعى ثم سافر إلى الشام ثم عاد إلى مصر.

طلبه للعلم :

أحب الزركشى العلم منذ نعومة أضافره، وقد منحه الله حافظةً قويةً وذكاءً حادًا وذهنًا صافيًا. وقد قيض الله لهذا الفتى شيخين جليلين هما الأسنوى والبلقينى فلازمهما، وكانت ملازمته للشيخ السراج البلقينى أشد فحفظ منهاج الطالبين للإمام النووى وهو صغير، فسمى بالمنهاجى.

ثم حفظ غيره من المختصرات والمتون، قال ابن حجر وعنى بالاشتغال من صغره فحفظ كتبًا.

ثم اشتاقت نفسه إلى طلب الحديث الشريف فشد العزم على الرحيل إلى الشام التى كانت تحتضن أكابر المحدثين والعلماء، فالتقى بالشيخ الشهاب الأذرعى ولازمه ثم رحل إلى الشيخ الصلاح بن أبى عمر، والإمام بن أميله، فلازمهما وأفاد منهما.

شيوخه :

١- جمال الدين الأسنوى، ت ٧٧٢هـ.

٢- سراج الدين البلقينى ت ٨٠٥هـ.

٣- شهاب الدين الأذرعى ت ٧٨٣هـ.

٤- الحافظ مغلطاى ت ٧٦٢هـ.

٥- عمر بن أبى أميلة ت ٧٧٨هـ.

٦- الصلاح بن أبى عمر ت ٧٨٠هـ.

٧- ابن كثير ت ٧٧٤هـ.

٨- ابن الحنبلى الشافعى ت ٧٧٤هـ.

تلاميذه :

١- شمس الدين البرماوى ت ٨٣١هـ.

٢- ابن حجى ت ٨٣٠هـ.

٣- الشمنى.

صفاته وأخلاقه :

كان الإمام الزركشى فقيهًا أصوليًا مصنفًا محررًا، وكان أديبًا فاضلاً فى جميع ذلك، فصيح العبارة، شيق الأسلوب، وكان محدثًا.

وكان منقطعًا إلى الانشغال بالعلم لا ينشغل عنه بشىء.

مؤلفاته وتصانيفه :

١- التفسير وعلوم القرآن :

١- البرهان فى علوم القرآن، مطبوع.

٢- تفسير القرآن العظيم وصل فيه إلى سورة مريم.

٣- كشف المعانى فى الكلام على قوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ سورة يوسف.

٢- الحديث ومصطلحه :

١- الذهب الإبريز فى تخريج أحاديث الرافعي الكبير.

٢- التذكرة فى الأحاديث المشتهرة.

٣- التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح، مطبوع.

٤- شرح الأربعين النووية.

٥- شرح البخارى - شرح الجامع الصحيح.

٦- الآلىء المنثورة فى الأحاديث المشهورة.

٧- المختصر الحديث (مطبوع).

٨- المعتبر فى تخريج أحاديث المنهاج والمختصر.

٩- النكت على ابن الصلاح.

١٠- النكت على البخارى.

١١- النكت على عمدة الأحكام.

٣- الفقه

١- إعلام الساجد بأحكام المساجد.

٢- تكملة شرح المنهاج للإمام النووى.

٣- خادم الرافعى والروضة فى الفروع.

٤- خبايا الزوايا.

٥- الديباج فى توضيح المنهاج، (مطبوع).

٦- الزركشية.

٧- زهر العريش فى أحكام الحشيش.

٨- شرح التنبيه المشيرازى.

٩- شرح الوجيز فى الفروع للغزالى.

١٠- الغرر السوافر فيما يحتاج إليه المسافر.

١١- غنية المحتاج فى شرح المنهاج.

١٢- فتاوى الزركشى.

١٣- مجموعة الزركشى فى فقه الشافعية.

٤- أصول الفقه

١- البحر المحيط فى أصول الفقه.

٢- تشنيف المسامع بجمع الجوامع (مطبوع).

٣- سلاسل الذهب فى الأصول.

٥- قواعد الفقه

١- القواعد فى الفروع : المنثور فى ترتيب القواعد الفقهية.

٦- التاريخ والرجال

١- عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان لابن خلكان.

٧- علم البلاغة

تجلى الأفراد فى شرح تلخيص المفتاح

٨- الأدب والمديح

١- ربيع الغزلان.

٢- شرح البردة.

٩- التوحيد وعلم الكلام

١- رسالة فى كلمات التوحيد.

٢- ما لا يسع المكلف جهله.

١٠- أصول وحكمة ومنطق

لقطة العجلان وبلة الظمآن

١١- كتب متفرقة

١- الأزهية فى أحكام الأدعية.

٢- خلاصة الفنون الأربعة.

٣- رسالة فى الطاعون وجواز الفرار منه.

٤- شرح المعتبر.

٥- عمل من طب لمن حب.

٦- فى أحكام التمنى.

وفاتـــه :

توفى يوم الأحد ثالث شهر رجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة.

ودفن بالمقابر (بالمدافن) الصغرى.

المبحث الثانى

التعريف بكتاب البرهان فى علوم القرآن

الكتب السابقة على البرهان :

لم يكن أول من صنف فى الموضوع فقد سبقه ابن الجوزى فى كتابه "فنون الأفنان"، والسخاوى فى كتابه "جمال القراء وكمال الإقراء"، وتميز الزركشى بأن كتابه أول مصنف كامل فى هذا الفن.

تناول ابن الجوزى فى كتابه موضوعات هى : نبذة عن فضائل القرآن، وكونه غير مخلوق، عدد سور القرآن وأجزائه وآياته وبيان السور المكية والمدنية، وبيان اللغات فى القرآن وفى آداب الوقف وعلم المتشابه.

وقد تناول السخاوى موضوعات هى : أول ما نزل المكى والمدنى وأسماء القرآن والسور ومعنى السورة والآية وإعجاز القرآن وفضائل السور والآيات وأجزاء القرآن وعدد آياته والقراءات الشاذة والمنسوخ والناسخ والقراءات والاستعاذة والتسمية وعلم التجويد وعلم الوقف والابتداء، ويغلب على الكتاب الموضوعات المتعلقة بالقراءات ويبدو أن هذا راجع إلى أنه قد تصدى إلى التدريس فى "الإقراء".

* البرهان فى علوم القرآن*

* **اسم الكتاب** : البرهان فى علوم القرآن.

* **قيمة الكتاب** : من أهم الكتب التى تضم صفوة الآراء وخلاصة الأقوال فى علوم القرآن.

* موضوعه : يدور حول سبعة وأربعين نوعًا من علوم القرآن. «ولما كانت علوم القرآن لا تنحصر ومعانيه لا تستقصى وجبت العناية بالقدر الممكن، ونظرًا لما أغفله المتقدمون؛ حيث إنهم لم يضعوا كتابًا يشتمل على أنواع علوم القرآن، كما وضع الناس ذلك إلى علم الحديث؛ فاستخرت الله تعالى فى وضع كتاب فى ذلك جامع لما تكلم الناس

فى فنونه وخاضوا فى نكته وعيونه وضمنته من المعانى الأنيقة والحكم الرشيقة، ما يهز القلوب طربًا ويبهر العقول عجبًا؛ ليكون مفتاحًا لأبوابه، عنوانًا على كتابه؛ معينًا للمفسر على حقائقه»[1].

* **سبب تأليفه الكتاب** : يتضح لنا فى مقدمته سبب التأليف، وهو أن المتقدمين قد أغفلوا وضع كتاب يشمل أنواع علوم القرآن، بالإضافة إلى أن هذا الكتاب معين للمفسّر، ونضيف سببًا آخر، وهو أن طبيعة العصر (حيث كان هذا العصر فى أعقاب الحروب الصليبية وحروب المغول) قد دفع العلماء ومنهم الزركشى إلى الاتجاه إلى الكتابة الموسوعية.

* **منهج الزركشى فى الكتاب** :

يبدأ الزركشى حديثه بتحديد النوع الذى يريد الحديث عنه، ثم يشير إلى العلماء الذين ألفوا فى هذا النوع، وإن كان النوع الذى يتحدث عنه لم يؤلف فيه أحد يتحدث مباشرة فيه كما فعل فى النوع الثامن "فى خواتم السور"، والنوع التاسع "معرفة المكى والمدنى".

وهو يقتصر من كل نوع على أصوله والرمز إلى بعض فصوله. فكل نوع يصلح أن يفرد له كتاب خاص.

ويستشهد بأقوال العلماء السابقين والمعاصرين له، ويثير الآراء الفقهية إن كان الأمر يحتاج إلى ذلك.

ويذكر نوعًا جديدًا من علوم القرآن لم يعتبره العلماء من قبل داخلاً فى علومه، وهو النوع الحادى والعشرون "معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن فأفصح".

ويكرر الحديث فى المسائل التى لها اتصال بنوعين من العلوم. مثال ذلك فى النوع الثامن والعشرين "معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص" تحدث عن القراءة الشاذة هل تجوز القراءة بها ؟ وكرره فى النوع التاسع والعشرين "فى آداب التلاوة وكيفيتها" مسألة فى علوم جواز القراءة بالشواذ.

---

[1] الزركشى : البرهان فى علوم القرآن، ط دار الجيل - بيروت، ج١، ص ٩.

أما ترتيبه للأنواع فلم يكن متصلاً؛ فأحيانًا يكون النوعان متقاربين ويبعدهما مثل النوع الأول معرفة أسباب النزول والنوع التاسع معرفة المكى والمدنى.

واقتراح الترتيب على النحو التالى :

أولاً : المسائل اللغوية، وتشمل : معرفة الوجوه والنظائر معرفة على كم لغة نزل، معرفة ما وقع فيه من غير لغة الحجاز، معرفة ما فيه من لغة العرب، معرفة غريبة، معرفة التصريف، ومعرفة الأحكام، ومعرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص، فى الكناية والتعريض، فى أقسام المعنى، فى ذكر ما تيسر من أساليب القرآن، فى معرفة الأدوات.

ثانيًا : المسائل البلاغية، وتشمل : معرفة المناسبات بين الآيات، ومعرفة الفواصل، فى أسرار الفواتح، فى خواتم السور، معرفة كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح، معرفة إعجازه، بيان حقيقته ومجازه.

ثالثًا : المسائل الشرعية، معرفة سبب النزول، وعلم المتشابه، وعلم المبهمات، فى معرفة المكى والمدنى، فى كيفية إنزاله، فى بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة، معرفة تقسيمه، ومعرفة أسمائله، ومعرفة توجيه القراءات، ومعرفة الوقف والابتداء، وعلم مرسوم الخط، ومعرفة فضائله، ومعرفة خواصه، هل فى القرآن شيء أفضل من شيء، فى آداب تلاوته، فى أنه هل يجوز فى التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن.

معرفة الأمثال الكائنة فيه، ومعرفة أحكامه، ومعرفة جدله، ومعرفة ناسخه ومنسوخه، ومعرفة توهم المختلف فى معرفة المحكم والمتشابه، فى حكم الآيات المتشابهات الواردة فى الصفات، ومعرفة وجوب تواتره، وفى بيان معاضدة السنة للكتاب، ومعرفة تفسيره، معرفة وجوب المخاطبات.

وبالرغم من ثناء العلماء على كتاب البرهان وصنيع الزركشى إلا أننا لا نعدم من يوجه النقد له حيث يقول السيد أحمد خليل : «غير أن ما يذكره الزركشى لا يكاد يتجاوز تحديد العلوم والثقافات التى تعين المفسر على دقة عمله، وتضمن له السلامة فى استنباط المعانى من النص دون أن يعرض عملية التفسير نفسها وكيف تتم»[1].

---

[1] السيد أحمد خليل : دراسات فى القرآن، ط دار المعارف، ص ١٣٣.

والزركشي كان محدد الغرض منذ بداية التأليف وهو تحديد العلوم وتوضيحها دون أن يكون الغرض فيه توضيح طريقة التفسير، وقد أحسن الزركشي في عرضه للعلوم إذا جاء عرضًا كافيًا، وكلها علوم خاصة بثقافات المفسر. بالإضافة إلى أن البرهان ليس كتاب تفسير، بل كتابًا لعلوم القرآن.

* والزركشي في مقدمته يعرض بعض المسائل والفصول التي يمهد بها لأنواع علوم القرآن، مثل :

فصل في علم التفسير يعرفه ويعطي نبذة عن أنواعه والداعي إلى التفسير من وجهة نظره أمور منها :

«كمال فضيلة المصنف، فإنه لقوته العلمية يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز؛ فربما تعسر فهم مراده؛ فقصد بالشرح ظهور تلك المعاني»[1] .

ثانيها : «حذف بعض مقدمات الأقيسة أو أغفل فيها شروطًا اعتمادًا على وضوحها أو لأنها من علم آخر، فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه»[2] .

ثالثها : «احتمال اللفظ لمعان ثلاثة، كما في المجاز والاشتراك ودلالة الالتزام؛ فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه»[3] .

ويشير الزركشي إلى أن الحاجة إلى التفسير تتفاوت لأن القرآن قد أنزل بلسان العرب وفي زمن كانوا يعلمون ظواهره وأحكامه إلا أن الصحابة أيضًا احتاجوا إلى السؤال كسؤالهم لما نزل ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[4] .

«فقالوا : إينا لم يظلم نفسه ! ففسره النبي -صلى الله عليه وسلم- بالشرك واستدل عليه بقوله تعالى : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[5] »[6] .

---

[1] الزركشي : البرهان، ط دار التراث، ج١، ص ١٤.

[2] الزركشي : البرهان، ج١، ص ١٤.

[3] الزركشي : البرهان، ج١، ص ١٤.

[4] سورة الأنعام : آية (٨٢).

[5] سورة لقمان : آية (١٣).

[6] الزركشي : البرهان، ج١، ص ١٤.

ويعلق على ذلك بقوله : «فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه، وزيادة على ما لم يكونوا محتاجين إليه من أحكام الظواهر، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد الناس احتياجًا إلى التفسير»[١] .

ويعقد فصلاً عن علوم القرآن ذكر فيه قول القاضى أبى بكر بن العربى أن علوم القرآن خمسون علمًا وأربعمائة وسبعة آلاف علم، وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة فى أربعة،

وأم علوم القرآن : توحيد وتذكير وأحكام.

وقال أبو الحكم بن برجان : علوم القرآن ثلاثة : علم أسماء الله وصفاته، وعلم النبوة، وعلم التكليف.

وقال غيره : أربعة أنواع : أمر ونهى وخبر واستخبار وقيل ستة وزاد وعد ووعيد.

وقال الطبرى : يشمل ثلاثة أشياء : توحيد وأخبار وديانات.

وقال على بن عيسى : «القرآن يشمل على ثلاثين شيئًا : الإعلام، والتنبيه، والأمر، والنهى، والوعد، والوعيد، ووصف الجنة، والنار، وتعليم الإقرار باسم الله، وصفاته، وأفعاله، وتعليم الاعتراف بإنعامه، والاحتجاج على المخالفين، والرد على الملحدين، والبيان عن الرغبة، والرهبة، والخير، والشر، والحسن والقبيح، ونعت الحكمة، وفضل المعرفة، ومدح الأبرار، وذم الفجار، والتسليم والتحسين، والتوكيد والتفريع، والبيان عن ذم الإخلاف، وشرف الأداء»[٢].

وأما رأى القاضى أبو المعالى عزيزى : فيرى أن القرآن لا تحصى غرائبه وعجائبه.

ويذكر رأيًا آخر عن ألفاظ علوم القرآن؛ فهى أربعة : الإعراب وهو الخبر، والنظم وهو القصد، التصريف فى الكلمة، والاعتبار وهو معيار الأنحاء الثلاثة، وبه يكون الاستنباط والاستدلال.

قصد الزركشى من هذه المقدمة التى ذكر فيها سبعة آراء تتحدث عن علوم القرآن التمهيد لما سيتحدث عنه، وذكر ما توصلت إليه الأذهان من آراء قبله فى ثقافة المفسر.

---

[١] الزركشى : البرهان، ج١، ص ١٥.

[٢] الزركشى : البرهان، ج١، ص ١٨.

المبحث الثالث

ثقافة المفسر عند الزركشي من خلال كتابه البرهان

النوع الأول

معرفة أسباب النزول

تناول أسباب النزول من عدة نواح بعد حديثه عن تعريفه وفائدته ومن ألف فيه،

١-آيات تتعدى إلى أسبابها يقول : «وقد جاءت آيات فى مواضع اتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها؛ كنزول آية الظهار فى سلمة بنت صخر، وآية اللعان فى شأن هلال بن أمية، ونزول حد القذف فى رماة عائشة رضى الله عنها، ثم تعدى إلى غيرهم»[١].

٢-نزول الآيات ووضعها فى النظم، يقول : «وقد تنزل الآيات على الأسباب خاصة، وتوضع كل واحدة منها مع ما يناسبها من الآى رعاية لنظم القرآن وحسن السياق»[٢].

٣-فيما نزل مكررًا، يقول : «وقد ينزل الشيء مرتين تعظيمًا لشأنه، وتذكيرًا به عند حدوث سببه خوف نسيانه؛ وهذا كما قيل فى الفاتحة نزلت مرتين : مرة بمكة، وأخرى بالمدينة»[٣].

ويرى أن الحكمة من ذلك حدوث حادثة ثم نزول الآية وقد تحدث حادثة أخرى فتنزل الآية تذكيرًا للنبى ويعلل بما سبق ما يذكره المفسرون من أسباب متعددة ويرى أن ما يروى فى هذا الصدد يعد فى رأى المحدثين من المرفوع المسند.

٤- خصوص السبب وعموم الصيغة، يقول : «وقد يكون السبب خاصًا والصيغة عامة؛ لينبه على أن العبرة بعموم اللفظ»[٤].

وهذه النقطة يناقشها الزركشى فى فصل خاص بها.

---

[١] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٢٤.

[٢] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٢٥.

[٣] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣٠.

[٤] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣٢.

٥- تقدم نزول الآية على الحكم، يقول : «واعلم أنه قد يكون النزول سابقًا علـى الحكـم؛ وهذا لقوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾[1]. فإنه يستدل بها على زكـاة الفطـر؛ روى البيهقى بسنده إلى ابن عمر أنها نزلت فى زكاة رمضان؛ ثم أسند مرفوعًا نحوه. وقـال بعضهم : لا أدرى ما وجه هذا التاويل ! لأن هذه السورة مكية، و لم يكـن بمكـة عيـد ولا زكاة، وأجاب البغـوى فـى تفسـيره بأنـه لا يجـوز أن يكـون الـنزول سـابقًا علـى الحكم»[2].

٦- البدء بسبب النزول، يرى أن عادة المفسرين جرت على أن يبدءوا بذكر السـبب وعـن علاقة ذلك بالمناسبة، يقول : «والتحقيق التفصيل؛ بيِّن أن يكون وجه المناسـبة متوقفًـا على سبب النزول كالآية السابقة فى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[3] فهذا ينبغى فيه تقديم ذكر السبب؛ لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد؛ وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجه المناسبة»[4] .

كان هذا عرضًا موجزًا وشاملاً لقضية أسباب النزول عرض فيها الزركشى النـوع، وذكر الأمثلة ومهد للنوع التالى، وهو علم المناسبة فى نهاية حديثه ليربط بين سبب الـنزول وعلم المناسبة.

وإن لم يكـن للزركشـى فضـل ولا رأى هـان سـوى أنـه جمـع هـذه الآراء دون أن يرفض أحدها أو يرجح قولاً على قول، إلا أنه وقـف مدافعًـا عـن المفسـرين حـين يـوردون آيات نزلت بأكثر من سبب تحت عنوان فصل فيما نزل مكررًا.

---

[1] سورة الأعلى : آية (١٤).

[2] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣٣.

[3] سورة النساء : آية (٥٨).

[4] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣٤.

النوع الثانى

معرفة المناسبات بين الآيات

يقول الزركشى عن هذا العلم : «وهو مبنى على أن ترتيب السور توقيفى؛ وهذا الراجح كما سيأتى، وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته فى غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها؛ ثم هو يخفى تارة ويظهر تارة أخرى؛ كافتتاح سورة الأنعام بالحمد، فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء»[1].

ويعطى أمثلة لهذه المناسبة بين السور، ويرى أن ارتباط الآى بعضها ببعض نوعان إما أن يكون ظاهرًا فى الكلام وإما ألا يظهر الارتباط، والنوع الثانى قسمان أن تكون معطوفة أو غير معطوفة. فإن كانت معطوفة بحرف من حروف العطف المشترك فى الحكم كانت بينهما جهة جامعة كقوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[2]، وقوله : ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3]، وفائدة العطف «جعلهما كالنظيرين والشريكين»[4].

وقد تكون العلاقة تضادًا كذكر الرحمة بعد ذكر العذاب وقد يشكل وجه الارتباط ونراه فى هذه الحالة يعطى أمثلة ويشرح وجه ارتباطها فيقول عن أحكام الأهلة وإتيان البيوت من أبوابها أن الرابط من وجوه : أحدها أنهم يفعلون ما ليس ببر والثانى من باب الاستطراد والثالث من قبيل التمثيل.

«والقسم الثانى ألا تكون معطوفة، فلابد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهى قرائن معنوية مؤذنة بالربط؛ والأول مزج لفظى؛ وهذا مزج معنوى، تنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثانى، وله أسباب أحدها التنظير»[5]، ويعطى أمثلة له والمضادة والاستطراد والانتقال من حديث إلى آخر.

---

[1] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣٨.

[2] سورة الحديد : آية (٤).

[3] سورة البقرة : آية (٢٤٥).

[4] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٤٠.

[5] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٤٦.

ويشير إلى اتصال اللفظ والمعنى على خلافه، فيقول : «قد يكون اللفظ متصلاً بالآخر والمعنى على خلافه كقوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾[1]، فقوله (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) منظوم بقوله : ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ﴾[2] لأنه موضع الشماتة»[3].

وهناك ما يحتمل الاتصال والانقطاع، وهناك ما يكون منقطعًا، وهذه الجزئية يناقشها الزركشي فى فصل خاص.

وقد عرض هذا النوع عرضًا شاملاً للأمثلة مناقشًا للآراء موضحًا لها فى تركيز ودون أن يطيل أو يقصر.

---

[1] سورة النساء : آية (٧٣).

[2] سورة النساء : آية (٧٢).

[3] الزركشي : البرهان، ج١، ص ٥٠.

النوع الثالث

معرفة الفواصل ورؤوس الآى

يعرفها الزركشى بقوله :

«هى كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع»[١] .

وعن تفريق الدانى بين الفواصل ورؤوس الآى يقول :

«وفرق الإمام أبو عمرو الدانى بين الفواصل ورؤوس الآى، وقال : أما الفاصلة فهى الكلام المنفصل مما بعده. والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس، وكذلك الفواصل يكن رؤوس آى وغيره. وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية»[٢] .

«وتقع الفاصلة عند الاستراحة فى الخطاب لتحسين الكلام بها؛ وهى الطريقة التى يباين القرآن بها سائر الكلام»[٣] .

ويناقش الزركشى نفى السجع عن القرآن مستعرضًا رأى البلاغيين، ثم يسرد أمثلة للخروج عن نظم الكلام لأجل الفاصلة فى اثنى عشر نوعًا من ذلك زيادة حرف لأجلها فى قوله تعالى : ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[٤] .

ثم ست تفريعات تتعلق بالفواصل :

١- ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك.

٢- الفواصل مبنية على الوقف.

٣- المحافظة على الفواصل لحسن النظم والتئامه ويشترط فيه عدم إهمال المعانى والاهتمام بتحسين اللفظ وحده.

---

[١] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٥٣.

[٢] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٥٣.

[٣] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٥٤.

[٤] سورة الأحزاب : آية (١٠).

٤- تقسيم الفواصل باعتبار المتماثل والمتقارب فى الحروف إن كان سهلاً تابعًا للمعنى؛ كان فصيحًا، وإن كان متكلفًا يتبعه المعنى فهو مذموم. ويرى أن فواصل القرآن لا تخرج عن هذين النوعين، ويستدل الزركشى على صحة مذهب الشافعى فى اعتبار الفاتحة سبع آيات مع البسملة «وذلك لأن الشافعى المثبت لها فى القرآن قال : صراط الذين ... السورة آية واحدة وأبو حنيفة لما أسقط البسملة من الفاتحة قال : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[1] آية ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[2] ومذهب الشافعى أولى لأن فاصلة قوله «صراط الذين أنعمت عليهم لا تشابه فاصلة الآيات المتقدمة، ورعاية التشابه فى الفواصل لازم»[3].

وهنا يرجح الزركشى رأى الشافعى معتمدًا على تقسيم الفواصل.

٥- تقسيم الفواصل باعتبار المتوازى والمتوازن والمطرف.

فالمتوازى : المتفق فى الوزن وحروف السجع.

المطرف : الاتفاق فى حروف السجع لا الوزن.

المتوازن : المراعاة فى مقاطع الكلام بالوزن فقط.

٦- ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام. فواصل القرآن لا تخرج عن مناسبة المعنى المذكور؛ فمنها ما يكون ظاهرًا ومنها ما يستخرج بالتأمل، وهى منحصرة فى أربعة أشياء : التمكين والتوشيح والإيغال والتصدير، مع توضيح لكل نوع منها -كان ذلك نهج الزركشى دائمًا- ثم يشير إلى اجتماع الفواصل فى موضع واحد والمخالفة بينهما مثل أوائل سورة النحل، وهذا فى فصل خاص به.

ومن بديع المخالفة فى سورتى إبراهيم والنحل.

وقد تتفق الفاصلتان والمحدث واحد.

---

[1] سورة الفاتحة : آية (٧).

[2] سورة الفاتحة : آية (٧).

[3] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٧٥.

وقد تكون الفاصلة لا نظير لها فى القرآن.

وفى ضابط الفواصل يرسم طريقين أحدهما : توقيفى بحديث عن عائشة للرسول كان يقطع قراءته آية آية، والآخر : قياس، وهذا يعرضه الزركشى فى تنبيه خاص ويكرر ما سبق.

«وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص، لمناسب. ولا محذور فى ذلك؛ لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان؛ وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل»[1].

وما يذكر من عيوب القافية ليس بعيب فى الفاصلة، يتضح من خلال هذا الباب شمولية الحديث عن الفواصل وتعريفها ودقة فى العرض والمناقشة وترجيح الزركشى للآراء واستيفاؤه للأمثلة.

---

[1] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٩٨.

النوع الرابع

فى جمع الوجوه والنظائر

يعرف الوجوه والنظائر حيث يقول :

«فالوجوه اللفظ المشترك الذى يستعمل فى عدة معان، كلفظ "الأمة"، والنظائر كالألفاظ المتواطئة، وقيل النظائر فى اللفظ والوجوه فى المعانى»[1].

ويذكر أمثلة من القرآن على هذه المعانى المختلفة؛ فيذكر للهدى سبعة عشر حرفًا ويطرح واحدًا وأربعين مثالاً من كتاب الأفراد لابن فارس، يقول : «وكل شىء فى القرآن من "زور" فهو الكذب؛ ويراد به الشرك؛ غير التى فى المجادلة : ﴿مُنكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾[2] فإنه كذب غير شرك[3].

و لم يزد شيئًا عن ذكره الأمثلة التى تصل إلى الواحد والأربعين مثالاً من القرآن، ويبدو لنا هنا واضحًا اعتماد الزركشى على ما سبقه من كتب واعتماده على طريقة السرد رغبة منه فى جعل الكتاب شاملاً لكل ما قيل فى هذا الموضوع غير مقصر فيه.

---

[1] الزركشى : البرهان، ج١، ص ١٠٢.

[2] سورة المجادلة : آية (٢).

[3] الزركشى : البرهان، ج١، ص ١٠٧.

النوع الخامس

علم المتشابه

يعرفه الزركشي بقوله :

«وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة. ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب؛ ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك ...»[1].

ويقسم الزركشي المتشابه إلى خمسة عشر فصلاً ويبدأ بالمتشابه باعتبار الأفراد وهو ثمانية أنواع :

١- أن يكون في موضع على نظم وفي آخر على عكسه في البقرة ﴿وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ﴾[2] وفي الحج ﴿وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ﴾[3].

٢- «ما يشتبه الزيادة والنقصان ففي البقرة ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[4] وفي يس ﴿وسواء﴾ بزيادة "واو" لأن ما في البقرة جملة هي خبر عن اسم إن، وما في يس جملة عطفت بالواو على جملة»[5].

٣- التقديم والتأخير.

٤- التعريف والتنكير.

٥-الجمع والإفراد.

٦- إبدال حرف بحرف آخر.

---

[1] الزركشي : البرهان، ج١، ص ١١٢.

[2] سورة البقرة :آية (١٢).

[3] سورة الحج : آية (١٧).

[4] سورة البقرة : آية (٦).

[5] الزركشي : البرهان، ج١، ص ١١٥.

٧- إبدال كلمة بأخرى.

٨- الإدغام وتركه.

الفصل الثانى ما جاء على حرفين :

(لعلكم تتفكرون) فى القرآن اثنان فى البقرة[1].

الفصل الثالث ما جاء على ثلاثة أحرف، أما الفصل الحادى عشر بترتيب الأعداد، وفى الفصل الثانى عشر ما جاء على خمسة عشر وجهًا.

وفى الفصل الثالث عشر ما جاء على ثمانية عشر وجهًا.

وفى الفصل الرابع عشر ما جاء على عشرين وجهًا.

وفى الفصل الخامس عشر ما جاء على ثلاثة وعشرين حرفًا،

تتبع الزركشى فى هذا التقسيم الاعتماد على الآية و لم يعتمد على الحرف أو الكلمة اللفظية أو الفصل، ولكنه استوفى الأمثلة عرضًا تحت عناوين الفصول.

---

[1] الزركشى : البرهان، ج١، ص ١٣٣، والآيتان رقم ٢١٩، ٢٦٦.

النوع السادس

علم المبهمات

يقول عن تعريفها :

«وهو المبهمات المصنفة فى علوم الحديث، وكان من السلف من يعنى به. قال عكرمة : سألت الذى خرج فى بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة»[١].

وله أسباب ويذكر سبع نقاط فيها وشواهد لكل نوع.

فالأول : «أن يكون أبهم فى موضع استغناء ببيانه فى آخر سياق الآية كقوله ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٢] بينه بقول : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾[٣] الآية»[٤].

«والثانى : أن يتعين لاشتهاره، كقوله : ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[٥] و لم يقل حواء لأنه ليس غيرها»[٦].

والثالث : «قصد الستر عليه ليكون أبلغ فى استعطافه، كقوله تعالى : ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾[٧] قيل هو مالك بن الصيف»[٨].

والرابع : ألا يكون فى تعينه كثير فائدة؛ كقوله تعالى : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾[٩] والمراد بها بيت المقدس»[١٠].

---

[١] الزركشى : البرهان، ج١، ص ١٥٥.

[٢] سورة الفاتحة : آية رقم (٤).

[٣] سورة الانفطار : آية (١٧).

[٤] الزركشى : البرهان، ج١، ص ١٥٦.

[٥] سورة البقرة : آية (٣٥).

[٦] الزركشى : البرهان، ج١، ص ١٥٦.

[٧] سورة البقرة : آية (١٠٠).

[٨] الزركشى : البرهان، ج١، ص ١٥٨.

[٩] سورة البقرة : آية (٢٥٩).

[١٠] الزركشى : البرهان، ج١، ص ١٥٩.

«الخامس : التنبيه على التعميم، وهو غير خاص بخلاف ما لو عين كقوله تعالى : ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[١]، قال عكرمة : أقمت أربع عشرة سنة أسأل عنه حتى عرفته، هو ضمرة بن العيص»[٢].

«السادس : تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم كقوله : ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾[٣] والمراد الصديق»[٤].

«السابع : تحقيره بالوصف الناقص كقوله : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[٥] والمراد فيها العاص بن وائل السهمى»[٦].

ويشير الزركشى إلى تنبيهات تتعلق بالمبهمات أحدها قد يكون للشخص اسمان، فيقتصر على أحدهما دون الآخر رجالاً كثيرين والثانى المبالغة فى الصفات للتنبيه على إنسان بعينه والثالث لم يذكر اسم امرأة إلا مريم، والرابع ذكر رجالاً كثيرين.

ولا تخفى علاقة هذا الباب بأسباب النزول وكان الأجدر مناقشته فيما يتعلق بأسباب النزول من قضايا.

---

[١] سورة النساء : آية (١٠٠).

[٢] الزركشى : البرهان، ج١، ص ١٥٩.

[٣] سورة النور : آية (٢٢).

[٤] الزركشى : البرهان، ج١، ص ١٦٠.

[٥] سورة الكوثر : آية (٣).

[٦] الزركشى : البرهان، ج١، ص ١٦٠.

النوع السابع

فى أسرار الفواتح والسور

يستعرض فى هذا النوع استفتاح كل سور القرآن، وضم ما تشابه فى نوع مع بعضهم وذكره وذكر عدد السور.

فالنوع الأول الافتتاح بالثناء وعدد سوره أربع عشرة سورة، والثانى التهجى، وذلك فى تسع وعشرين سورة.

ويشير إلى الإعجاز فى حروف التهجى ورأى البصريين والكوفيين فى اعتبارها آية أو لا وإعراب هذه الحروف وتأويلات فى معانى هذه الحروف.

والثالث : الاستفتاح بالنداء فى عشر سور ويعرض لرأى الزمخشرى.

والرابع : الجمل الخبرية فى ثلاث وعشرين سورة.

والخامس : القسم فى خمس عشرة سورة.

والسادس : الشرط فى سبع سور.

والسابع : الأمر فى ست سور.

والثامن : الاستفهام ست سور.

والتاسع : الدعاء ثلاث سور.

والعاشر : التعليل سورة واحدة.

وبهذا العرض لم ينقص واحدة من سور القرآن.

ولم يشر الزركشى هنا إلى من ألف فى هذا العلم. «وقد ألف فيه عبد العظيم بن عبد الواحد المعروف بابن أبى الإصبع كتابًا سماه : (الخواطر والسوانح فى أسرار الفواتح) ذكره صاحب كشف الظنون، ونقل عنه السيوطى فى الاتقان»[1].

---

[1] الزركشى : البرهان فى علوم القرآن، ج١، ص ١٦٤.

النوع الثامن

فى خواتـم السـور

للخواتم صور متعددة ذكر الزركشى نصف مـا فـى القـرآن وتـرك البقيـة، يقـول : «ولأنها بين أدعيـة ووصايـا وفرائـض ومواعـظ وتحميـد وتهليـل، ووعـد ووعيـد، إلى غـير ذلك»[1].

«وكالدعاء الذى اشتملت عليه الآيتـان مـن أخـر سـورة البقـرة، وكالوصايـا التـى ختمت بها سورة آل عمران»[2].

وفى فصل :

يشير إلى مناسبة فواتح السور وخواتمها بقوله : «ومن أسراره مناسبة فواتح السـور وخواتمها. وتأمل سورة القصص، وبدايتها بقصة مبدأ أمر موسى ونصرته، وقولـه : ﴿فلن أكون ظهيرًا للمجرمين﴾[3] وخروجه من وطنه وإسعافه بالمكالمة، وختمها بـأمر النبـى -صلـى الله عليه وسلم- بألا يكون ظهيرًا للكافرين»[4].

ولقد سبق أن أشار الزركشى إلى هذا فـى حديثـه عـن المناسبة وكـان الأجـدر أن يشير إلى الفواتح والخواتيم قبل حديثه عن علم المناسبة الذى جعله النوع الثانى فى كتابه.

---

(1) الزركشى : البرهان، ج١، ص ١٨٢.

(2) الزركشى : البرهان، ج١، ص ١٨٣.

(3) سورة القصص : آية (١٧).

(4) الزركشى : البرهان، ج١، ص ١٨٥.

النوع التاسع

معرفة المكى والمدنى

من فوائده معرفة الناسخ والمنسوخ ويذكر له ثلاثة تعريفات. فالمكى :

١- نزل بمكة.

٢- نزل قبل الهجرة.

٣- ما وقع خطابًا لأهل مكة.

والمدنى :

١- ما نزل بالمدينة.

٢- ما نزل بعد الهجرة.

٣- ما وقع خطابًا لأهل المدينة.

وعلامات المكى :

١- كل سورة فيها (يا أيها الناس) وفى الحج اختلاف.

٢- كل سورة فيها كلا.

٣- كل سورة أولها حروف المعجم إلا البقرة وآل عمران وفى الرعد خلاف.

٤- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس ما عدا البقرة.

٥- ما كان فيها ذكر القرون الماضية.

٦- ما نزل فى طريق المدينة.

٧- ما كان من ذكر الأمم والعذاب.

علامات المدنى :

١- كل سورة ذكر فيها المنافقون سوى العنكبوت.

٢- كل سورة ذكر فيها الحدود والفرائض.

٣- ما نزل فى أسفار النبى بعدما قدم المدينة.

٤- كل سورة فيها (يا أيها الذين آمنوا).

وطرق معرفته اثنان سماعى، وهو النقل وقياسى، وهو ما يعتمد على العلامات السابقة.

ثم يعقب الزركشى على ذلك بأن السور المكية فيها "يا أيها الناس" والمدنية فيها "يا أيها الذين آمنوا" ويقول إن كان مراد المفسرين الغالب، فهو صحيح والسبيل إلى هذا الرجوع للنقل.

و لم يرو الزركشى عن الرسول حديثًا صحيحًا عن تحديد السور المكية أو المدنية، ولكن معرفته هامة وضرورية يقول : «من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم فى كتاب الله تعالى»[1].

ثم يسرد الزركشى السور وترتيبها ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة وما نزل بمكة وحكمه مدنى والعكس وما يشبه تنزيل المدينة فى السور المكية والعكس وما نزل بالجحفة والمقدس والطائف والحديبية وما نزل ليلاً وما نزل مشيعًا والآيات المدنية فى السور المكية والعكس وما حمل من مكة إلى المدينة وما حمل من المدينة إلى الحبشة.

ويشير إلى الخلاف فى السور، و لم يرجح أى الآراء فيها.

ويناقش فى فصل هل نص النبى -صلى الله عليه وسلم- على بيان السور المكيه أم المدنية ؟ ويذكر رأى القاضى أبو بكر فى الانتصار إلى أن هذا راجع لحفظ الصحابة والتابعين.

---

[1] الزركشى : البرهان، ج١، ص ١٩٢.

النوع العاشر

معرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل

نهج الزركشى طريق النقل وذكر الروايات المختلفة حول هذا الموضوع وحاول التوفيق بين الروايات فقال : «وجمع بعضهم بينهما بأن جابرًا سمع النبى -صلى الله عليه وسلم- يذكر قصة بدء الوحى فسمع آخرها، و لم يسمع أولها، فتوهم أنها أول ما نزلت؛ وليس كذلك، نعم هى أول ما نزل بعد اقرأ وفترة الوحى؛ لما ثبت فى الصحيحين»[١].

وعن آخر ما نزل أيضًا يروى الزركشى آراء مختلفة صحيحة السند ويعقب على ذلك بقوله «ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى اليوم الذى مات فيه، أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك، وإن لم يسمعه هو لمفارقته له، ويحتمل أيضًا أن تنزل الآية، التى هى آخر آية تلاها الرسول -صلى الله عليه وسلم- مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم ما نزل معها وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخرًا وتلاوته فيظن سامع ذلك أنه آخر ما نزل فى الترتيب»[٢].

كان الأجدر بالزركشى أن يبدأ بهذا الباب، وهو فى تعليله الأول من عدم سماع الصحابى للرسول لمفارقته؛ فإن عائشة لم تفارقه وكان الأجدر هنا أن يقدم روايتها.

النوع الحادى عشر

معرفة عدد لغات النزول

يستهل الزركشى حديثه برواية عن ابن عباس «أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : «أقرأنى جبريل على حرف فراجعته، ثم لم أزل أستزيده فيزيدنى، حتى انتهى إلى سبعة أحرف»[1].

ويذكر عدة مرويات عن طرق مختلفة فى معنى الحديث السابق وبعدها يذكر تفسيرات للأحرف السبعة.

١- أنه من المشكل الذى لا يدرى معناه.

٢- رأى ضعيف أن المراد سبع قراءات.

٣- «سبعة أنواع، كل نوع منها جزء من أجزاء القرآن بخلاف غيره من أمحائه، فبعضها أمر ونهى، ووعد ووعيد، وقصص، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال، وغيره»[2].

٤- أن المراد سبع لغات لسبع قبائل من العرب.

٥- المراد سبعة أوجه من المعانى المتفقة بالألفاظ.

٦- بعض الآيات تقرأ على سبعة أوجه بالنصب والجر والرفع وكل وجه التنوين وغيره وسابعها الجزم.

٧- هذه الأحرف ضبطت واستفاضت عن الرسول.

٨- كانت الأحرف السيئة لضرورة ثم ارتفع حكمها.

٩- المراد سبعة علوم للقرآن.

١٠- المراد : المطلق والمقيد والعام والخاص والنص والمؤول، والناسخ والمنسوخ، و المجمل والمفسر، والاستثناء وأقسامه.

---

[1] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٢١١.

[2] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٢١٦.

١١- المراد : الحذف والصلة والتقديم والتأخير والقلب والاستعارة والتكرار والكناية والحقيقة والمجاز والمجمل والمفسر والظاهر والغريب.

١٢- التذكير والتأنيث، والشرط والجزاء، والتصريف والإعراب، والأقسام وجوابها، والجمع والتفريق، والتصغير والتعظيم واختلاف الأدوات.

١٣- طرق التلاوة وكيفية النطق.

١٤- سبعة أنواع من المبادلات والمعاملات.

ثم يعلق على ذلك بقوله : «قال ابن حيان : قيل أقرب الأقوال إلى الصحة أن المراد به سبع لغات، والسر فى إنزاله على سبع لغات تسهيله على الناس»[1].

---

[1] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٢٢٦.

النوع الثانى عشر

فى كيفية إنزاله

ويعرض الحديث فيها من عدة نقاط : فى كيفية إنزاله وطرقه وفى المنزل وزمن إنزاله.

أ- فى كيفية إنزاله ثلاثة آراء أشهرها وأصحها الأول :

١- نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة ثم بعد ذلك منجمًا.

٢- نزل إلى السماء الدنيا فى عشرين ليلة قدر من عشرين سنة.

٣- ابتدئ إنزاله فى ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجمًا.

وفى معنى الإنزال يقول : «قيل : معناه إظهار القرآن، وقيل : إن الله أفهم كلامه جبريل وهو فى السماء، وهو عال من المكان وعلمه قراءته، ثم جبريل أداه فى الأرض وهو يهبط فى المكان»[1].

طريق التنزيل :

١- أن الرسول انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملائكة وأخذه من جبريل.

٢- أن الملك انخلع من البشرية حتى يأخذ الرسول منه.

المنزل حكى فيه ثلاثة أقوال :

١- أنه اللفظ والمعنى وأن جبريل حفظ القرآن ونزل به.

٢- نزل جبريل على النبى بالمعانى الخاصة والرسول علم تلك المعانى بلغة العرب.

٣- جبريل ألقى المعنى والرسول عبر بلغة العرب.

وعن سر إنزاله جملة إلى السماء الدنيا يقول إنه تفخيم له، وزمن نزول القرآن جملة إلى السماء محتمل قبل النبوة أو بعدها.

---

[1] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٢٢٩.

والسر فى نزوله منجمًا لتقوية قلب الرسول وتجدد الحوادث و لم ينزل دفعة واحدة لأن به أسئلة عن أجوبة وبعضه ناسخ وبعضه منسوخ، «وكان بين أول نزول القرآن وآخره عشرون أو ثلاث وعشرون أو خمس وعشرون سنة»[1].

ويبدو واضحًا من خلال عرضه أن الموضوع متعلق بالغيبيات، و لم يرد فيه نص واضح وأن هذه الآراء اجتهادات للعلماء.

---

[1] الزركشي : البرهان، ج١، ص ٢٣٢.

النوع الثالث عشر

فى بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة رضى الله عنهم

يستهل الباب بذكر حادثة جمع القرآن المروية عن زيد بن ثابت وأن القرآن قد تم جمعه فى عهد أبى بكر.

وعن دور عثمان فى نسخ المصاحف يقول : «اعلم أنه قد اشتهر أن عثمان هو أول من جمع المصاحف؛ وليس كذلك لما بيناه، بل أول من جمعها فى مصحف واحد الصديق، ثم أمر عثمان حين خاف الاختلاف فى القراءة بتحويله منها إلى المصاحف»[1].

وينفى الزركشى ما روى من إحراق المصاحف ويرى أن عثمان لو فعلها فلذلك لضرورة وعدد مصاحف عثمان أربعة، أرسل واحدًا إلى الكوفة والبصرة والشام وترك واحدًا عنده.

وعن الصحابة الذين حفظوا القرآن يذكر روايتين ويرجح الرواية الأولى.

يقول : «وفى البخارى عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك : من جمع القرآن على عهد الرسول ؟ قال : أربعة كلهم من الأنصار : أبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.

وفى رواية : مات النبى -صلى الله عليه وسلم- ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت وأبو زيد»[2].

---

[1] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٢٣٥.

[2] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٢٤١.

النوع الرابع عشر

معرفة تقسيمه بحسب سوره

وترتيب السور والآيات وعددها

يُقسم القرآن تبعًا لحديث أخرجه أبو عبيدة إلى :

١- الطول : أولها البقرة وآخرها براءة.

٢- المئون : ما ولى السبع الطول.

٣- المثانى : ما ولى المئين.

٤- المفصل : ما يلى المثانى من قصار السور واختلف فيها على اثنى عشر قولاً واختار الزركشى أن أوله "ق".

وفى فصل يناقش عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه، وفى عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة، أما الآيات والكلمات والحروف ففيها خلاف، «وعدد آياته على قول على رضى الله عنه : ستة آلاف ومائتان وثمانى عشرة»[1].

وسبب الخلاف أن النبى كان يقف على رؤوس الآى للتوقيف، ونزول البسملة مع السور التى فى الأحرف السبعة، «وسبب خلاف الكلمة أن لها حقيقة ومجازًا ورسمًا واعتبار كل منها جائز»[2].

ويشير إلى أنصافه بالكلمات والآيات وعدد السور، وإلى ترتيب وضع السور فى المصحف وهو توقيفى. وسقوط البسملة من براءة لأن ليس فيها أمان وعن معنى السورة والآية فى اللغة والاصطلاح وتعدد أسماء السور وذكر أمثلة لذلك؛ يذكر هذه المسائل تحت عنوان فائدة.

---

[1] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٢٥١.

[2] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٢٥٢.

النوع الخامس عشر

معرفة أسمائه واشتقاقاتها

يذكر خمسة وخمسين اسمًا وصفة للقرآن مستشهدًا بالآيات ثم يوضح معانى هذه الأسماء ومناقشة لبعضها يقول :

«فأما الكتاب؛ فهو مصدر كتب يكتب كتابة، وأصلها الجمع، وسميت الكتابة لجمعها الحروف؛ فاشتق الكتاب لذلك؛ لأنه يجمع أنواعًا من القصص والآيات والأحكام والأخبار على أوجه مخصوصة»(١).

«وأما القرآن فقد اختلفوا فيه؛ فقيل : هو اسم مشتق من شيء؛ بل هو اسم خاص بكلام الله؛ وقيل : مشتق من القرى، وهو الجمع؛ ومنه قريت الماء فى الحوض أى جمعته»(٢).

«وأما النور؛ فلأنه يدرك به غوامض الحلال والحرام»(٣).

وفى فائدة يذكر اختلاف الصحابة بعد جمع القرآن فيما يسمونه ثم استقرارهم على تسميته المصحف.

النوع السادس عشر

معرفة ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز من قبائل العرب

نزل القرآن على العموم بلغة قريش «وقال الشيخ جمال الدين بن مالك : أنـزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلاً؛ فإنه نزل بلغة التميميين؛ فمن القليل إدغـام : ﴿وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ﴾[1] فى الحشر ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾[2] فـى قـراءة غـير نـافع وابـن عمـر، فـإن الإدغام فى المجزوم والاسم المضاعف لغـة تميـم، ولهـذا قـلّ والفـك لغـة أهـل الحجـاز ولهـذا كثر»[3].

---

(١) سورة الحشر : آية (٤).

(٢) سورة البقرة : آية (٢١٧).

(٣) الزركشى : البرهان، ج١، ص ٢٨٥.

النوع السابع عشر

معرفة ما فيه من غير لغة العرب

القرآن عربى نفى عنه الزركشى أن فيه غير العربية، ويذكر ما فيه بغير لغة العرب: «فمن ذلك "الطور" جبل بالسريانية. "وطفقا" أى قصدا بالرومية. والقسط والقسطاس العدل بالرومية. ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[١] تبنا بالعبرانية، والسجل الكتاب بالفارسية»[٢].

ثم يحكى أقوالاً عن استعمال العرب لهذه الألفاظ كاستعمالهم للغتهم ويتفق مع أبى عبيدة فى قوله : «والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين جميعًا؛ وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، إلا أنها سقطت إلى العرب فعربتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال أعجمية فصادق»[٣].

وذكر الزركشى سبع وعشرين لفظة دون أن يراعى ترتيب المعجم.

---

[١] سورة الأعراف : آية (١٥٦).

[٢] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٢٨٨.

[٣] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٢٩٠.

النوع الثامن عشر

معرفة غريبه

«ومعرفة هذا الفن للمفسر ضرورية، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى. قال يحيى بن نضلة المدينى : سمعت مالك بن أنس يقول : لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً»[١].

ويزيد الزركشى حديثًا عن أهمية هذا النوع الذى يسبب عدم معرفته الوقوع فى الخطأ بقوله : «واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شىء من كلام الله، ولا يكفى فى حقه تعلم اليسير منها؛ فقد يكون اللفظ مشتركًا، وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر؛ وهذا أبو بكر وعمر رضى الله عنهما من أفصح قريش سئل أبو بكر عن الأب فقال أبو بكر، أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إذا قلت فى كلام الله ما لا أعلم!»[٢].

ولأهمية هذا العلم كان الأجدر بالزركشى أن يستفيض فى عرض الأمثلة إلا أنه لم يكثر فيها.

---

[١] الزركشى : البرهان فى علوم القرآن، ج١، ص ٢٩٢.

[٢] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٢٩٥.

النوع التاسع عشر

معرفة التصريف

يعرفه الزركشي ويقسم أنواعه ويشير إلى فائدته وأهميته وأمثلة لتوضيح أهميته في تغير معنى الكلمة.

وتعريفه هو ما يلحق الكلمة ببنيتها، وأقسامه اثنان أحدها جعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب المعاني والثاني تغيير الكلمة لمعنى طارئ عليها، وفائدته : «حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد، فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعريف اللغة، وهو من العلوم التي يحتاج إليه المفسر»[١].

وقال تعالى : «﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[٢] وقال تعالى : ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٣] فانظر كيف تحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل»[٤].

وذلك يكون في الأسماء والأفعال.

ولم تكن أمثلة الزركشي هنا كثيرة.

---

[١] الزركشي : ابرهان، ج١، ص ٢٩٧.

[٢] سورة الجن : آية (١٥).

[٣] سورة الحجرات : آية (٩).

[٤] الزركشي : البرهان، ج١، ص ٢٩٨.

النوع العشرون

معرفة الأحكام من جهة إفرادها وتركيبها

وطريق ذلك علم النحو، والإعراب يبين المعنى، ويجب مراعاة عدة أمور حددها الزركشى :

١- أن يفهم المعنى قبل الإعراب ومثال ذلك «تقاة فى قوله تعالى : ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[1] فى نصبها ثلاثة أوجه مبنية على تفسيرها. فإن كانت بمعنى الاتقاء فهى مصدر، وإن كانت بمعنى المفعول أى أمرًا يجب اتقاؤه، فهى نصب على المفعول به، وإن كانت جمعًا كرامٍ ورماة، فهى نصب على الحال»[2].

٢- تجنب الأعاريب الشاذة.

٣- تجنب لفظ الزائد فى كتاب الله.

٤- تجنب الأعاريب المنافية لنظم الكلام.

٥- تجنب التقارير البعيدة.

٦- البحث على الأصلى والزائد وما تقتضيه الصناعة فى التقدير «ولا يؤخذ بالظاهر، ففى نحو قوله تعالى ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾[3] يتبادر إلى الذهن أن مرحبًا نصب، اسم لا، وهو فاسد، لأن شرط عملها فى الاسم ألا يكون معمولاً لغيرها، وإنما نصب بفعل مضمر يجب إضماره»[4].

وينبه على أن المعنى يؤدى لصحة الإعراب، ومرتبة العمدة قبل مرتبة الفضلة.

كان ضروريًا أن يشير الزركشى إلى هذا العلم.

---

[1] سورة آل عمران : آية (٢٨).

[2] الزركشى : البرهان؛ ج١، ص ٣٠٣.

[3] سورة ص: آية (٥٩).

[4] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣٠٧.

النوع الحادى والعشرون

معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح

طريقة علم البيان والبديع، وعن تفسير الزركشى لاعتباره أن هذا العلم من علوم القرآن يقول : «إنما سكت الأولون عنه لأن القصد من إنزال القرآن تعليم الحلال والحرام، وتعريف شرائع الإسلام وقواعد الإيمان، و لم يقصد منه تعليم طرق الفصاحة، وإنما جاءت لتكون معجزة، وما قصد به الإعجاز لا سبيل إلى معرفة طريقه، فلم يكن الخوض فيه مسوغًا، إذ البلاغة ليست مقصودة فيه أصلاً»[(١)].

ومن المعانى التى يهتم بها هذا العلم ويثبتها الزركشى : تحقيق العقائد الإلهية : كقوله سبحانه ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾[(٢)] بعد ذكره النطفة ومتعلقها فى مراتب الوجود»[(٣)] ومنها بيان الحق فى الأمور المشكلة غير العقائد، «ومنها تمكين الانفعالات النفسانية فى النفوس مثل : الاستعطاف والإعراض، والإرضاء، والإغضاب، والتشجيع والتخويف»[(٤)].

وينبه الزركشى على أهمية هذا العلم وليكن محط نظر المفسر

---

(١) الزركشى : البرهان، ج١،ص ٣١٢.

(٢) سورة القيامة : آية (٤٠).

(٣) الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣١٣.

(٤) الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣١٣.

النوع الثاني والعشرون

معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إثبات لفظ بدل آخر

وطريق ذلك القراءة، «والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبه الحروف وكيفيتها، من تخفيف وتثقيل وغيرهما»[١].

وفي القراءات أمور ذكرها :

أحدها : تواتر القراءات السبع عند الجمهور.

الثاني : «استثنى الشيخ أبو عمرو بن الحاجب قولنا : إن القراءات السبع متواترة ما ليس من قبيل الأداء، ومثله بالمد والإمالة وتخفيف الهمزة، يعني فإنها ليست متواترة. وهذا ضعيف»[٢]، ويرى أن المد والإمالة متواتر ثم يتحدث عن المد وأنواعه وتخفيف الهمزة وأنواعه.

الثالث : أن القراءات توفيقية «ومثل ما حكى عن الأصمعي ويعقوب الحضرمي أن خطئوا حمزة في قراءته ﴿وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾[٣] بكسر الياء المشددة، وكذا أنكروا على أبي عمرو إدغامه الراء عند اللام في ﴿يغفلكم﴾[٤]»[٥].

الرابع : أن التيسير والشاطبية لم يحويا جميع القراءات لأن مصر لم تكن بها روايات متسعة وأن ما بها قدر قليل.

الخامس : اختلاف القراءة يؤدى إلى اختلاف الحكم «ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءات في "لمستم" و"لامستم"»[٦].

---

[١] الزركشي : البرهان، ج١، ص ٣١٨.

[٢] الزركشي : البرهان، ج١، ص ٣١٩.

[٣] سورة إبراهيم : آية (٢٢).

[٤] سورة نوح : آية (٤).

[٥] الزركشي : البرهان، ج١، ص ٣٢٢.

[٦] الزركشي : البرهان، ج١، ص ٣٢٦.

ويرى الزركشى أن صحة القراءتين بمعنى واحد فليقرأ بلغة قريش.

والسادس : لم تتميز القراءات إلا فى القرن الرابع، جمعها أبو بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، ثم يذكر الأئمة السبعة : عبد الله بن كثير ونافع بن عبد الرحمن وعبد الله بن عامر وأبو عمرو بن العلاء وعاصم بن أبى النجود وحمزة بن حبيب بن غمارة والكسائى.

وعن القراءة الصحيحة يقول : «قال مكى : وقد اختار الناس بعد ذلك، وأكثر اختياراتهم إنما هو فى الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء : قوة وجه العربية، وموافقته للمصحف، واجتماع العامة عليه»[1] .

ويرى أن القراءة الشاذة لا تجوز أن يقرأ بها فى الصلاة.

والسابع : الاختلاف يرجع إلى سبع أوجه : الإعراب، تبديل حروف الكلمة، تغيير صورة الكتابة، الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتهما فى الخط، الاختلاف بالتقديم والتأخير والاختلاف بالزيادة والنقص.

والثامن : هدف القراءة الشاذة تفسير القرآن «كقراءة عائشة وحفصة : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[2] »[3] . صلاة العصر.

---

[1] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣٣١.

[2] سورة البقرة : آية (٢٣٨).

[3] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣٣٦.

النوع الثالث والعشرون

معرفة توجيه القراءات وتبين وجه ما ذهب إليه كل قارئ

«وهو فن جليل، وبه تعرف جلالة المعانى وجزالتها»[1] .

ويرى الزركشى فى هذا النوع أن القراءتين المتواترتين لا ينبغى ترجيح إحداهما عن الأخرى.

وفى توجيه القراءات الشاذة يذكر تأويل العكبرى، «كقراءة : ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾[2] . على بناء الفعل الأول للمفعول دون الثاني، وتأويل الضمير فى (وهو) راجع إلى الولى»[3].

ما سبق استكمال للنوع السابق وقد أفرد له الزركشى نوعًا مستقلاً لأهميته.

---

[1] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣٣٩.

[2] سورة الأنعام : آية (١٤).

[3] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣٤١.

النوع الرابع والعشرون

معرفة الوقف والابتداء

«وهو فن جليل، وبه يعرف كيف أداء القرآن. ويترتب على ذلك فوائد كثيرة؛ واستنباطات غزيرة. وبه تتبين معانى الآيات ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات»[١].

وهذا العلم يحتاج إلى النحو والقراءة والتفسير والقصص واللغة التى نزل بها القرآن والفقه.

والوقف ثلاثة أقسام : تام، وحسن، وقبيح.

التام : «هو الذى لا يتعلق بشيء مما بعده، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده كقوله تعالى : ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢] وأكثر ما يوجد عند رؤوس الآى»[٣].

وأيضًا يوجد قبل انقضاء الفاصلة وآخر كل قصة وآخر كل سورة والأحزاب والأنصاف حتى تقسيمات القرآن.

الحسن : «هو الذى يحسن الوقوف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده، لتعلقه به فى اللفظ والمعنى»[٤].

القبيح : «هو الذى لا يفهم منه المراد نحو (الحمد) فلا يوقف عليه، ولا على الموصوف دون الصفة، ولا على البدل دون المبدل منه، ولا على المعطوف دون العطف عليه»[٥].

ويناقش عدة مسائل متعلقة بالوقف منها أن الصفة إن كانت للاختصاص امتنع الوقف وإن كانت للمدح فيجوز.

---

[١] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣٤٢.

[٢] سورة البقرة : آية (٥).

[٣] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣٥١.

[٤] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣٥٢.

[٥] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣٥٢.

٢- والمستثنى إن كان متصلاً تسامح فى الوقف، وإن كان منقطعًا اختلف فيه.

٣- وعن الجملة الندائية قال إنه جائز الوقف.

٤- الذى والذين يجوز الوصل بما قبله إلا فى سبعة مواضع وذكرها.

٥- ويتابع الحديث عن الوقف ويذكر ضربين أحدهما: اضطرارى، والآخر : اختيارى.

فالاضطرارى ما يدعو إليه انقطاع النفس، والاختيارى : «هو الذى لا يكون باعتبار انفصال ما بين جزئى القول»[1].

وله أقسام : تام وناقص وأنقص واستعرض هذه الأقسام.

٦- كلا فى القرآن ولها ثلاثة أحكام من حيث الوقف : ما يجوز الوقف والابتداء ما لا يوقف عيه ولا يبدأ به وما يبدأ به ولا يجوز الوقف وبين شواهدها فى القرآن.

٧- بلى لها ثلاثة أحكام : الوقف، لا يجوز الوقف، جواز الوقف، والأحسن المنع وبين شواهدها.

٨- نعم لها أربعة مواضع الأول فى البقرة والمختار فيه الوقف، والثانى فى الأعراف، والثالث فى الشعراء، والرابع فى الصافات، والمختار ألا يوقف على نعم فيها.

---

[1] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣٦٠.

النوع الخامس والعشرون

علم مرسوم الخط

«وقال أبو البقاء فى كتاب اللباب : «ذهب جماعة من أهل اللغة إلى كتابة الكلمة على لفظها إلا فى خط المصحف، فإنهم اتبعوا فى ذلك ما وجدوه فى الإمام، والعمل على الأول»[1].

والخط ثلاثة أقسام : رسم المصحف ورسم العروض وخط النحوى ويروى أن أول من كتب آدابه وأول من كتب العربية إسماعيل إلا أن مذهبه فى هذا أن الخط توقيفى.

وعن كتابة القرآن بغير الخط العربى يرى الجواز والأقرب المنع لامتناع القراءة بغير العربية.

وعن اختلاف رسم الكلمات فى المصحف يرى أن الحكمة من ذلك اختلاف معانى الكلمات.

وعن الزائد فى الرسم يتحدث عن زيادة الألف فى أول الكلمة أو آخرها أو وسطها.

والزائد الثانى الواو، «زيدت للدلالة على ظهور معنى الكلمة فى الوجود فى أعظم رتبة فى العيان، مثل ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[2]»[3].

والثالث زيادة الياء، «زيدت لاختصاص ملكوتى باطن»[4].

وعن الناقص يتحدث عن حذف الألف ومواصفه وحذف الواو قصدًا للتخفيف وحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وحذف النون.

---

[1] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣٧٦.

[2] سورة الأعراف : آية (١٤٥).

[3] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣٨٦.

[4] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٣٨٦.

وفى حروف متقاربة تختلف فى اللفظ لاختلاف المعنـى، مثـل : ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[١]، ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾[٢] فبالسين السعة الجزئية كذلك علة التقييـد وبالصـاد السعة الكلية؛ بدليل علو معنى الإطلاق، وعلو الصاد مع الجهارة والإطباق»[٣] .

وفى كتابة فواتح السور موصولاً لأنها ليست هجاء لاسم معـروف، وإنمـا حـروف فيها معنى.

---

[١] سورة الرعد : آية (٢٦).

[٢] سورة البقرة : آية (٢٤٥).

[٣] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٤٢٩.

النوع السادس والعشرون

معرفة فضائله

ينبه الزركشي إلى أحاديث وضعت في فضائل السور وعن فضله يقول : «وقد روى البخاري -رحمه الله- حديث «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وروى أصحاب السنن في حديث إلهي : «من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»[1].

كان الأجدر بالزركشي أن يبدأ بهذا النوع لا يؤخره.

---

[1] الزركشي : البرهان، ج١، ص ٢٤٢.

النوع السابع والعشرون

معرفة خواصه

وهو يتعلق بالناحية الوجدانية ويعطى أمثلة لنفعها. يقول «وروى ابن قتيبة قال : كان رجل من الصالحين يحب الصلاة بالليل وتثقل عليه فشكا ذلك لبعض الصالحين، فقال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾[1] إلى قوله "مددًا"، ثم أضمر. فى أى وقت أضمرت، فإنك تقوم فيه، قال : ففعلت فقمت فى الوقت المعين»[2].

وينبه إلى أن هذا الأمر لا يتأتى إلا من أخلص قلبه وتدبر الكتاب وأعمل جوارحه، يبدو أن الزركشى لم يكن يريد أن يتسع فى هذا النوع، ولهذا اقتصر على عدد محدود من الأمثلة، ولكنه أشار إليه لما سمعه من نفع الصالحين به وحتى لا يكون قد حجب علمًا.

---

[1] سورة الكهف : آية (١٠٩).

[2] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٤٣٥.

النوع الثامن والعشرون

هل فى القرآن شىء أفضل من شىء

يذكر الزركشى أن القوم قد اختلفوا فيه :

١- فأبو الحسن الأشعرى والقاضى أبو بكر وأبو حاتم بن حبان يرون أنه لا فضل لبعض على بعض.

٢- وإسحاق بن راهوية وغيره يرون التفضيل.

٣- توسط الشيخ عز الدين فقال : «كلام الله فى الله أفضل من كلام الله فى غيره»[١].

وعن القول بأن هناك سورة أفضل من سورة يقول : «إن سورة أفضل من سورة؛ لأن الله تعالى اعتد قراءتها كقراءة أضعافها مما سواها، وأوجب بها من الثواب ما لم يوجب بغيرها، وإن كان المعنى الذى لأجله بلغ بها هذا المقدار لا يظهر لنا»[٢].

ثم يتحدث فى فصل عن أعظمية آية الكرسى، ويتحدث فى أى آية فى القرآن أرجى، ويذكر بضعة عشر قولاً منها : «آية الدين ومأخذه أن الله تعالى أرشده عباده إلى مصالحهم الدنيوية حتى انتهت العناية بمصالحهم إلى أن أمرهم بكتابة الدين الكبير والحقير، فبمقتضى ذلك يرجى عفو الله تعالى عنهم لظهور أمر العناية العظيمة بهم، حتى فى مصلحتهم الحقيرة»[٣] .

---

[١] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٤٣٩.

[٢] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٤٤٢.

[٣] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٤٤٦.

النوع التاسع والعشرون

فى آداب تلاوته وكيفيتها

ويوضح فيها مكانة القرآن وفضله ويقسم الناس فى تلاوة القرآن إلى ثلاثة مقامات: مقام العارفين ومقام لعموم المقربين ومقام لخصوص أصحاب اليمين، ويتحدث فى فصل عن كراهة قراءة القرآن بلا تدبر وفصل فى الحث على تعليم القرآن وعن أخذ الأجر على تعليم القرآن يقول : «التعليم على ثلاثة أوجه : أحدها للحسبة ولا يأخذ به عوضًا. والثانى أن يعلم بالأجرة، والثالث أن يعلم بغير شرط، فإذا أهدى إليه قبل»[1]. فالأول للأنبياء، والثانى قيل لا يجوز وقيل يجوز، والثالث فيجوز لقبول النبى، وكان معلمًا الهداية.

وفصل آخر فى الحث على تلاوته بعد تعلمه.

وتناول عدة مسائل فى هذا الباب فى استحباب الاستياك والتطهر للقراءة والتوضؤ وجواز القراءة للمحدث، ويستحب التعوذ وإن قطعه وترك جدد ولابد من البسملة أول كل سورة.

ويأخذ القرآن من أهل الإتقان.

وفى القراءة من المصحف أو القلب ثلاثة أقوال :

١- المصحف أفضل لأنه النظر فيه عبادة.

٢- ظهر القلب أفضل لأنه يجمع فيه الجارحتين.

٣- إن استويا التدبر من القلب والمصحف فالمصحف أولى.

ويستحب الجهر بالقراءة.

ويكره قطع القرآن لمكالمة الناس.

ولا تجوز قراءة القرآن بالعجمية فى الصلاة وخارجها.

ولا تجوز قراءته بالشواذ.

---

[1] الزركشى: البرهان، ج١، ص ٤٥٧.

ويستحب قراءته بالتفخيم والإعراب.

وتفصل كل سورة عما قبلها إما بالوقف أو بالتسمية.

ويترك خلط سورة بسورة لأن ترتيب القرآن توقيفى.

ويستحب استيفاء كل حرف أثبته القارئ.

ويستحب ختم القرآن كل أسبوع.

ويسن ختمه فى الشتاء أول الليل والصيف أول النهار.

يستحب التكبير من أول الضحى إلى أن يختم.

جرت العادة على تكرير سورة الإخلاص قبل الختم.

وإذا ختم تقرأ الفاتحة وخمس آيات من البقرة.

ومن الآداب الاستماع للقرآن والحث عليه.

يمنع أن يشرب شيئًا كتب من القرآن.

القيام للمصاحف بدعة.

يجوز إحراق الأوراق البالية من المصحف كما أحرق عثمان مصاحف فيها آيات وقراءات منسوخة.

يستحب تطيب المصحف ويجوز تحليته بالفضة.

ويحرم توسد المصحف.

النوع الثلاثون

فى أنه هل يجوز فى التصانيف والرسائل والخط استعمال بعض آيات القرآن

وهل يقتبس منه فى شعر ويغير نظمه بتقديم وتأخير وحركة إعراب

وأحكام هذا النوع استكمالاً ما عرضه فى آداب التلاوة «جوز ذلك بعضهم للمتمكن من العربية؛ وسئل الشيخ عز الدين فقال : ورد عنه -صلى الله عليه وسلم-: "وجهت وجهى" والتلاوة ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾[1]»[2].

وعن الاقتباس منه فى الشعر يقول : «ذكر القاضى أبو بكر الباقلانى أن تضمين القرآن فى الشعر مكروه، وأئمة البيان جوزوه وجعلوه من أنواع البديع وسماه القدماء تضمينًا والمتأخرون اقتباسًا»[3].

وفى تنبيه يقول :

ولا يجوز تعدى أمثلة القرآن؛ «ولذلك أنكر على الحريرى فى قوله فى مقامته الخامسة عشرة «فأدخلنى بيتًا أحرج من التابوت، وأوهى من بيت العنكبوت»[4].

---

[1] سورة الأنعام : آية (٧٩).

[2] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٤٨١.

[3] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٤٨٣.

[4] الزركشى : البرهان، ج١، ص ٤٨٤.

النوع الحادى والثلاثون

معرفة الأمثال الكائنة فيه

«وقد عده الشافعى مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن، فقال : ثـم معرفـة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال علـى طاعتـه، المثبتـة لاجتنـاب معصيتـه، وتـرك الغفلـة عـن الحفظ والازدياد من نوافل الفضل»[1].

وأقسامه أربعة أوجه :

١- إخراج ما لا يقع عليه الحس إلى ما يقع عليه.

٢- إخراج ما لا يعلم ببديهة العقل إلى ما يعلم البديهة.

٣- إخراج ما لم تجريه العادة إلى ما جرت به العادة.

٤- إخراج ما لا قوة له من الصفة إلى ما له قوة.

ومن فوائده : التذكير، الوعظ، الحث، الزجر، الاعتبار.

ومن حكمته «تعليم البيان؛ وهو من خصائص هذه الشريعة، والمثل أعون شىء على البيان»[2].

والمثل هو المستغرب ولذلك «استعير لفظ المثل للحال أو الصفة، أو القصة، إذا كان لها شأن وفيه غرابة»[3].

ويوضح الزركشى المعنى اللغوى للمثل، ويعطى نماذج مختلفة للأمثال من القرآن.

---

(١) الزركشى : البرهان، ج١، ص ٤٨٦.

(٢) الزركشى : البرهان، ج١، ص ٤٨٧.

(٣) الزركشى : البرهان، ج١، ص ٤٨٨.

النوع الثانى والثلاثون

معرفة أحكامه

آيات الأحكام يذكر أنها خمسمائة آية، وهذا ذكره الغزالى وتستنبط كذلك من آيات القصص والأمثال وغيرها، وهو قسمان :

١- قسم مصرح به وهو كثير فى البقرة والنساء والمائدة.

٢- قسم يؤخذ بطريق الاستنباط. ثم هو على قسمين :

أ- أحدهما: ما يستنبط من غير ضميمة إلى آية أخرى : «كاستنباط صحة أنكحة الكفار من قوله تعالى : ﴿امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾[١] و﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾[٢] ونحوه»[٣] .

ب- والثانى: ما يستنبط مع ضميمة آية أخرى، «كاستنباط على وابن عباس رضى الله عنهما أن أقل الحمل ستة أشهر من قوله تعالى : ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[٤] مع قوله : ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾[٥] وعليه جرى الشافعى»[٦] .

ولأهمية هذا النوع يقول : «ولابد من معرفة قواعد أصول الفقه؛ فإنه من أعظم الطرق فى استثمار الأحكام من الآيات»[٧] ويستفاد منه عموم النكرة فى سياق النفى والاستفهام والشرط والنهى والإثبات ويستفاد عموم المفرد المحلى باللام وعموم المفرد المضاف، والشرط، ويستفاد التحريم من النهى والتصريح بالتحريم والحظر والوعيد وكل صور التجريم ذكرها.

---

[١] سورة التحريم : آية (١١).

[٢] سورة المسد : آية (٤).

[٣] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٤.

[٤] سورة الأحقاف آية (١٥).

[٥] سورة لقمان : آية (١٤).

[٦] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٥.

[٧] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٦.

ويستفاد الإباحة من الإذن والتحيير والأمر بعد الخطر ... وغير ذلك.

وفى فصل يقول :

ويستفاد التعليل من إضافة الحكم إلى الوصف كقوله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[1] ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾[2] فكما يفهم منه وجوب الجلد والقطع، يفهم منه كون السرقة والزنا علة وأن الوجوب كان لأجلهما»[3].

وفى فصل يشير إلى :

كل فعل عظمة الرسول أو مدحه بصور مختلفة دليل على مشروعيته المشتركة بين الوجوب والندب.

وفى فصل آخر يشير إلى :

وكل فعل طلب الشرع تركه، أو ذم فاعله بصور مختلفة فهو دلالة التحريم.

ويشير إلى فوائد فيها :

١- آية جمعت الأمر والنهى والإباحة والتخيير.

٢- تقديم العتاب على الفعل يدل على التحريم.

٣- لا يصح الامتنان بممنوع عنه.

٤- التعجيب قد يدل على محبه الله للفعل أو بغضه.

٥- وفى قاعدة يتحدث عن الإطلاق والتقييد يرى أن المطلق إذا قيد بدليل صير إليه وإلا بقى إطلاقه أو تقييده، ويشير إلى اختلاف الأصوليين فى حمل المطلق على المقيد، هل هو من وضع اللغة أو القياس.

---

[1] سورة المائدة : آية (٣٨).

[2] سورة النور : آية (٢).

[3] الزركشى : البرهان ج٢، ص ٩.

وفى العموم والخصوص يقول :«لا يستدل بالصفة إذا لم يظهر تقييد عـدم التعميـم؛ ويستفاد ذلك من السياق، ولهذا قال الشافعى : اللفظ بيّن فـى مقصـوده، ويحتمـل فـى غـير مقصوده»[١] ، وتلك قاعدة يشير إليها.

ويشير إلى الأحكام المستنبطة من تنبيه الخطاب إما فى الطلب وإما فى الخبر، وذلـك فى فصل.

ويقول : واعلم أن هذا النوع البديع ينظر إليه من ستر رقيـق، وطريـق تحصيلـه فهـم المعنى وتقييده من سياق الكلام، كما فى آية التأفيف، فإنا نعلم أن الآية إنما سيقت لاحـترام الوالدين وتوقيرهما ففهمنا منه تحريم الشتم والضرب»[٢] .

وقد يحكم على الشىء مقيدًا بصفة، ثم قد يكون ما سكت عنه بخلاف وقد يكـون مثله.

وهذا العلم جليل ومعرفة واجبة وعرض الزركشى لأنواعه وفصوله عرضًا وافيًا.

---

[١] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ١٨.

[٢] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٢١.

النوع الثالث والثلاثون

فى معرفة جدله

«اعلم أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة؛ وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به»[1].

وقد جاء جدل القرآن لأمرين :

١- أحدهما: بسبب ما قاله.

٢- الثانى: إخراج المخاطبات فى صورة أدق لتفهم العامة

ويشير إلى أن استنباط البراهين العقلية على طرق المتكلمين ظاهر.

فمن ذلك الاستدلال على أن الله صانع العالم.

ومن ذلك الاستدلال على المعاد الجسمانى بضروب :

أحدها : قياس الإعادة على الابتداء.

ثانيها : قياس الإعادة على خلق السموات والأرض.

ثالثها : قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات.

رابعها : قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر.

خامسها : قوله تعالى : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

---

[1] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٢٤.

[2] سورة النحل : آية (٣٨).

النوع الرابع والثلاثون

معرفة ناسخه من منسوخه

«قال الأئمة : ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرض منه الناسخ والمنسوخ»[١].

والنسخ بمعنى الإزالة والمنسوخ ما رفع تلاوة تنزيله كما رفع العمل به.

وعن حكم النسخ يرى أنه جائز يقول : «والصحيح جواز النسخ ووقوعه سمعًا وعقلاً»[٢].

ويشير إلى الخلاف حول نسخ القرآن للسنة وأن السنة لا تنسخ إلا السنة.

وأما عن السور التى وقع فيها الناسخ والمنسوخ قسمها إلى أربعة أقسام :

١- ما ليس فيه ناسخ ولا منسوخ، وهى ثلاث وأربعون.

٢- ما فيه ناسخ وليس فيه منسوخ، وهى ست سور.

٣- ما فيه منسوخ وليس فيه ناسخ، وهو أربعون.

٤- ما فيه ناسخ ومنسوخ، وهى إحدى وثلاثون سورة وهو يشبه تقسيم ابن سلامة.

وعن ضروب النسخ يرى أنها ثلاثة ضروب :

١- ما نسخ تلاوته وبقى حكمه.

٢- ما نسخ حكمه وبقى تلاوته.

٣- نسخ الحكم والتلاوة والرسم.

ويشير إلى تقسيم آخر لضروب النسخ :

١- نسخ المأمور به قبل امتثاله، وهذا الضرب هو النسخ على الحقيقة كأمر الخليل بذبح ولده.

٢- هو ما أوجبه الله على من قبلنا كحكم القصاص.

---

[١] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٢٩.

[٢] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٣٠.

٣- ما أمر به لسبب ثم يزول السبب كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر.

ويستنتج مما سبق «وبهذا التحقيق تبين ضعف ما لهج به كثير من المفسرين فى الآيات الآمرة بالتخفيف أنها منسوخة بآية السيف، وليست كذلك، بل هى من المنشأ، بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله فى وقت ما لعلة توجب ذلك الحكم؛ ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر وليس بنسخ، إنما النسخ الإزالة حتى لا يجوز امتثاله أبدًا»[1].

وبهذا يكون الزركشى قد وضع حدًا للنسخ ونفى ما ورد من أخبار توهم المفسرون أنها نسخ و لم يكثر من الأمثلة.

---

[1] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٣٢.

النوع الخامس والثلاثون
معرفة موهم المختلف

«وهو ما يوهم التعارض بين آياته، وكلام الله جلا جلاله منزه عن الاختلاف»[١].

وعن الغزالى فى معنى الاختلاف «الاختلاف لفظ مشترك بين معان، وليس المراد نفى اختلاف الناس فيه، بل نفى الاختلاف عن ذات القرآن، يقال : هذا كلام مختلف، أى لا يشبه أوله آخره فى الفصاحة إذ هو مختلف، أى بعضه يدعو إلى الدين، وبعضه يدعو إلى الدنيا»[٢].

ويناقش فى فصول ما يلى :

- وإذا تعارضت الآى وتعذر الترتيب والجمع، فذكروا عند ذلك مرجحين :

الأول : تقديم المكى على المدنى.

الثانى : أن يكون أحد الحكمين على غالب أحوال أهل مكة والآخر المدينة.

الثالث : أن يكون أحد الظاهرين مستقلاً بحكمه.

الرابع : ان يكون كل واحد من العمومين محمولاً على ما قصد به فى الظاهر عند الاجتهاد.

الخامس : أن يكون تخصيص أحد الاستعمالين على لفظ تعلق بمعناه والآخر باسمه.

السادس : ترجيح ما يعلم بالخطاب ضرورة على ما يعلم منه ظاهرًا.

- وعند تعارض آى القرآن والآثار لا يجوز لما توجبه أدلة العقل.

- وفى تعارض القراءتين فى آية واحدة كقوله ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾[٣] بالنصب والجر، وقالوا : يجمع بينهما بحمل إحدهما على مسح الخف، والأخرى على غسل الرجل إذا لم يجد متعلقًا سواهما»[٤].

وفى أسباب الاختلاف يذكر :

---

[١] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٤٥.

[٢] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٤٦.

[٣] سورة المائدة : آية (٦).

[٤] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٠

الأول : وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى :

السبب الثانى : اختلاف الموضوع.

الثالث : اختلافهما فى جهتى الفعل.

الرابع : لاختلافهما فى الحقيقة والمجاز.

الخامس : بوجهين واعتبارين، وهو الجامع للمفترقات.

ومن الاستشكالات التى ذكرها قوله تعالى : «﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾[1] ، فإنه يدل على حصر المانع من الإيمان فى أحد هذين الشيئين»[2] .

وقد أوضح العز بن عبد السلام أن إرادة ا لله مانعه من وقوع ما ينافى المراد.

وعن التعارض بين الآية والحديث يذكر قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[3]

وقد صح أنه شج يوم أحد.

وأجيب بوجهين :

أحدهما : كان هذا قبل نزولها.

الآخر : المراد العصمة من القتل.

---

[1] سورة الكهف : آية (٥٥).

[2] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٦٥.

[3] سورة المائدة : آية (٦٧).

النوع السادس والثلاثون
معرفة المحكم من المتشابه

يذكر قول الحسين بن حبيب النيسابورى، فى هذه المسألة : أحدهـا : القـرآن كلـه محكم، والثانى : كله متشابه، والثالث : وهو الصحيح أنه منه محكم ومنه متشابه.

«فأما المحكم فأصله لغة المنع، وأما فى الاصطلاح فهـو مـا أحكمته بـالأمر والنهـى وبيان الحلال والحرام»[1].

«وأما المتشابه فأصله أن يشتبه اللفظ فى الظاهر مع اختلاف المعانى، كما قال تعالى فى وصف ثمـر الجنـة : ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾[2]، أى متفـق المنـاظر، مختلـف الطعوم، ويقـال للغامض : متشابه، لأن جهة الشبه فيه كما تقول لحروف التهجى»[3].

ويذكر تفريعات حول هذا الأمر :

الأول : أشياء يجب ردها عنـد الإشـكال إلى أصولهـا «فيجـب رد المتشـابهات فـى الذات والصفات إلى محكم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[4]»[5].

الثانى : «أن هذه الآية من المتشابه -أعنى قوله : ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[6] الآيـة مـن حيث تردد الوقف فيها بين أن يكون على "إلا الله" وبين أن يكون علـى (والراسـخون فـى العلم يقولون آمنا به) وتردد الواو فى (والراسخون) بين الاستئناف والعطف، ومـن ثـم ثـار الخلاف فى ذلك»[7]، وبعد أن يستعرض الآراء فى الخلاف يعلق برأيه فى ذلك.

يقول : «إن يقولون هنا فى معنى الحال، كأنه قـال (والراسـخون فى العلم) قائلين

---

[1] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٦٨.

[2] سورة البقرة: آية (٢٥).

[3] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٦٩.

[4] سورة الشورى : آية (١١).

[5] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٧١.

[6] سورة آل عمران : آية (٧).

[7] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٧٢.

آمنا، والمعنى يقولون : علمنا وآمنا لأن الإيمان قبل العلم محال إذ لا يتصور الإيمان مع الجهل»[١].

والثالث : هل فى القرآن شيء لا تعرف الأمة تأويله وفيه خلاف ذكره ثم يحدد معنى المتشابه باثنين :

الأول : أنه اسم لما التبس من المعنى لدخول شبهة.

والثانى : اسم لما يوافق بعضه بعضًا.

ويعلق قائلاً : «فإن كان المراد بالمتشابه فى القرآن الأول، فالظاهر لا يمكنهم الوصول إلى مراده، وإن جاز أن يطلعهم عليه بنوع من لطفه؛ لأنه اللطيف الخبير. وإن كان المراد الثانى جاز أن يعلموا مراده»[٢].

والرابع : الحكمة من إنزال المتشابه.

والخامس : هل للممكن مزية على المتشابه أو مما سواء. ويقول : «وللمحكم فى باب الحجاج عند غير المخالف مزية، لأنه يمكن أن يبين له أنه مخالف للقرآن، وأن ظاهر المحكم يدل على خلاف ما ذهب إليه، وإن تمسك بمتشابه القرآن، وعدل من محكمه لما أنه تمسك بالشبه العقلية وعدل عن الأدلة السمعية، وذلك لطف وبغث على النظر»[٣].

---

[١] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٧٣.

[٢] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٧٤.

[٣] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٧٧.

النوع السابع والثلاثون
فى حكم الآيات المتشابهات الواردة فى الصفات

وهذا النوع متعلق بما سبق وكان من الممكن أن يجعل له الزركشى فصلاً ويدرجه تحت النوع السابق.

وقد اختلف الناس على ثلاث فرق :

إحداها : لا مدخل للتأويل فيها.

الثانية : لها تأويل، ولكن نمسك عنه.

الثالثة : أنها مؤولة

«والأول باطل، والأخيران منقولان عن الصحابة، فنقل الإمساك عن أم سلمة أنها سئلت عن الاستواء فقالت : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[1].

وعن صفة الاستواء يروى قول ابن عباس بمعنى استقر والاستقرار يشعر بالتجسيم، وعن المعتزلة بمعنى استولى وقهر وقال أبو عبيد : بمعنى صعد، قال الأستاذ : والصواب ما قاله الفراء والأشعرى وجماعة من أهل المعانى : إن معنى قوله : (استوى) أقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه، فسماه استواء كقوله : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[2]، أى قصد وعمد إلى خلق السماء؛ فكذا هاهنا، قال : وهذا القول مرضى عند العلماء»[3].

---

[1] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٧٨.

[2] سورة فصلت : آية (١١).

[3] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٨٢.

النوع الثامن والثلاثون

معرفة إعجازه

تحدى الرسول العرب قاطبه أن يأتوا بمثله، فلم يستطيعوا

وإعجاز القرآن من وجهين :

أحدهما : إعجاز متعلق بنفسه.

والثانى : بصرف الناس عن معارضته.

وفى الإعجاز أقوال كثيرة يحكيها الزركشى :

أحدها : قول النظام : «إن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم، وكان مقدورًا لهم، لكن عاقهم أمر خارجى، فصار كسائر المعجزات»[1] وهذا قول فساد فى رأيه.

الثانى : أن وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به.

الثالث : ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة.

الرابع : إخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين.

الخامس : إخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل.

السادس : وقع التحدى بنظمه وصحة معانيه.

السابع : الفصاحة وغرابة الأسلوب.

الثامن : ما فيه من النظم والتأليف والترصيف.

التاسع : أنه شىء لا يمكن التعبير عنه.

العاشر : استمرار الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها.

الحادى عشر : وجه الإعجاز من جهة البلاغة، ويشير إلى تأثيره فى النفوس كما ذكر الخطابى.

الثانى عشر : الإعجاز بجميع ما سبق من الأقوال.

وفى فصل عن قدر المعجز يحكى أقوالاً منها : «قال القاضى أبو بكر : ذهب عامة

---

[1] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٩٤.

أصحابنا -وهو قول الحسن الأشعرى فى كتابه- إلى أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة، أو ما كان بقدرها»[١].

وتحدث فى مسائل منها :

- التحدى وقع للإنس دون الجن.

- العلم بالإعجاز ضرورة.

- وعن الحكمة من تنزيه النبى عليه السلام عن الشعر، يقول إن من وجوه، وينفى الشعر عن القرآن،

أحدها : لأنه أخبر عن الشعراء أنهم فى كل واد يهيمون.

الثانى : أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع.

وعن المقامات يقول : «وأما بالنسبة إلى المقامات، فانظر إلى مقام الترهيب، فمقام الترغيب كقوله تعالى : ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[٢] تجده تأليفًا لقلوب العباد، وترغيبًا لهم فى الإسلام»[٣].

وعن اشتمال القرآن على أعلى أنواع الإعجاز، يقول : «وهو أن يقع التركيب بحيث لا يمتنع أن يوجد ما هو أشد تناسبًا ولا اعتدالاً فى إفادة ذلك المعنى»[٤].

ويشير فى فصل إلى أن معرفة مقامات الكلام لا تدرك إلا بالذوق.

---

[١] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ١٠٨.

[٢] سورة الزمر : آية (٥٣).

[٣] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ١١٩.

[٤] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ١٢١.

النوع التاسع والثلاثون

معرفة وجوب تواتره

يؤكد الزركشي على أن كل ما في القرآن متواترًا لا خلاف في هذا «وذهب كثير من الأصوليين إلى أن التواتر شرط في ثبوت ما هو في القرآن بحسب أصله، وليس بشرط في محله ووضعه وترتيبه، بل يكثر فيه نقل الآحاد، وهو الذي يقتضيه صنع الشافعي في إثبات البسملة من كل سورة»[1].

والمعوذتان من القرآن، وأما ما روى عن ابن مسعود من أنه أسقطهما لعللٍ وتأويلات.

ويحكي أقوالاً عن النووي وابن حزم والقاضي أبي بكر بن الطيب نثبت ذلك.

---

[1] الزركشي : البرهان، ج٢، ص ١٢٥.

النوع الأربعون
فى بيان معاضدة السنة للقرآن

يقول : «اعلم أن القرآن والحديث أبدًا متعاضدان على استيفاء الحق وإخراجه من مدارج الحكمة، حتى أن كل واحد منها يخصص عموم الآخر، ويبين إجماله»[١].

وقال الإمام أبو الحكم بن برجان : ما قاله النبى -صلى الله عليه وسلم- من شىء فهو فى القرآن، وفيه أصله، قرب أو بعد، فهمه من فهمه، وعمه من عمه، قال الله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[٢] ألا تسمع إلى قوله -صلى الله عليه وسلم- فى حديث الرجم : «لأقضين بينكما بكتاب الله»، وليس فى نص كتاب الله الرجم. ولكن الرجم فيه تعريض مجمل فى قوله تعالى : ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾[٣]»[٤].

---

[١] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ١٢٩.

[٢] سورة الأنعام : آية (٣٨).

[٣] سورة النور : آية (٨).

[٤] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ١٢٩.

النوع الحادى والأربعون
معرفة تفسيره وتأويله
(معانى العبارات التى يعبر بها عن الأشياء)

ويشير إلى المعنيين اللغوى والاصطلاحى ويوضح الفرق بين التفسير والتأويل مستعرضًا آراء من سبقه يقول : «التفسير والتأويل واحد بحسب عرف الاستعمال، والصحيح تغايرهما، واختلفوا فقيل : التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، ورد أحد الاحتمالين إلى ما يطابق الظاهر»[1] .

واعلم أن «التفسير فى عرض العلماء كشف معانى القرآن، وبيان المراد، أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره، والتفسر أكثر فى الجمل»[2] .

والتفسير يستعمل فى غريب الألفاظ والتأويل يستعمل مرة عامًا ومرة خاصًا والتفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية والتأويل المخالف للآية والشرح محظور.

وفى فصل يتحدث عن حاجة المفسر إلى الفهم والتبحر فى العلوم، يقول : كتاب الله بحره عميق، وفهمه دقيق، لا يصل إلى فهمه إلا من تبحر فى العلوم، وعامل الله بتقواه فى السر والعلانية، وأجله عند مواقف الشبهات، واللطائف والحقائق لا يفهمها إلا من ألقى السمع وهو شهيد، فالعبارات للعموم وهى للسمع، والإشارات للخصوص وهى للعقل، واللطائف للأولياء وهى المشاهد، والحقائق للأنبياء وهى الاستسلام»[3].

وبهذا الكلام يحدد الزركشى الجانب الخلقى للمفسر والجانب الروحى الذى من خلاله يصل إلى معنى كتاب الله.

ثم يعرض لرأيًا آخر دون أن يذكر صاحبه يقول :

«وقال آخر : القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم، إذ لكل كلمة

---

[1] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ١٤٩.

[2] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ١٤٩.

[3] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ١٥٣.

علم، ثم يتضاعف ذلك ليصل إلى أربعة، إذ لكل لفظ كلمة ظاهر ومعنى باطن، وحد ومطلع. وبالجملة فالعلوم كلها داخلة فى أفعال الله تعالى وصفاته، وفى القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله، فهذه الأمور تدل على أن فى فهم معانى القرآن مجالاً رحبًا، ومتسعًا بالغًا وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهى الإدراك فيه بالنقل، والسماع لابد منه فى ظاهر التفسير، ليتقى به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط، والغرائب التى لا تفهم إلا باستماع فنون كثيرة. ولابد من الإشارة إلى جمل منها ليستدل على أمثالها، ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولاً، ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر»[(١)].

وهنا يرجع الزركشى العلوم كلها للقرآن ثم يرى أن الظاهر سبيل لمعرفة الباطن.

ولطالب التفسير مآخذ كثيرة حدد الزركشى أربعة :

الأول : النقل عن الرسول مع الحذر من الضعيف.

الثانى : الأخذ بقول الصحابى فإنه عندهم بمنزلة المرفوع، وكذلك يشير إلى أقوال التابعين، وعند وجود الخلاف لمن لا فهم عنده يكون للمفسرين حكايات بعبارات متباينة.

الثالث : الأخذ بمطلق اللغة فالقرآن نزل بلسان عربى مبين.

الرابع : التفسير بالمقتضى.

«وهذا هو الذى دعا به النبى -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس فى قوله : «اللهم فقه فى الدين وعلمه التأويل»[(٢)].

وعن أقسام التفسير يقول : «قد روى عبد الرزاق فى تفسيره : حدثنا الثورى عن ابن عباس، أنه قسم التفسير إلى أربعة أقسام : قسم تعرفه العرب فى كلامها، وقسم لا يعذر أحد بجهالته، يقول من الحلال والحرام، وقسم يعلمه العلماء خاصة، وقسم لا يعلمه إلا الله، ومن ادعى علمه فهو كاذب». وهذا تقسيم صحيح»[(٣)].

وعن كلام الصوفية فى التفسير : «فأما كلام الصوفية فى تفسير القرآن، فقيل ليس

---

(١) الزركشى : البرهان فى علوم القرآن، ج٢، ص ١٥٥.

(٢) الزركشى، البرهان، ج٢، ص ١٦١.

(٣) الزركشى : البرهان، ج٢، ص ١٦٤.

تفسيرًا، وإنما هى معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة»[١] .

ويقول : «والحق أن علـم التفسـير، منـه مـا يتوقـف علـى النقـل، كسبب النـزول، والنسخ، وتعيين المبهم، وتبيين المجمل، ومنه ما لا يتوقف، ويكفـى فـى تحصيلـه التفقـه علـى الوجه المعتبر»[٢] .

وفيما يجب على المفسر البداءة به يحدد العلوم اللفظية وتحقيق الألفاظ المفردة.

«وقالوا : إن المركب لا يعلم إلا بعد العلم بمفرداته، لأن الجزء سابق على الكل فـى الوجـود مـن الذهنـى والخـارجى، فنقـول النظـر فـى التفسـير هـو بحسـب أفـراد الألفـاظ وتراكيبها»[٣] .

أما بحسب الأفراد فمن ثلاثة وجوه :

من جهة المعانى، وهو يتعلق باللغة.

ومن جهة الهيئات، وهو من علم التصريف.

ومن جهة "الفروع إلى الأصول وهو من علم الاشتقاق.

أما حسب التركيب، فمن أربعة وجوه :

الأول : باعتبار التراكيب، وذلك متعلق بعلم النحو.

والثانى : باعتبار التراكيب، وهو الذى يتكفل علم المعانى بإبراز محاسنه.

والثالث : متعلق بعلم البيان.

والرابع : متعلق بعلم البديع.

وكان ذلك الأمر صوابًا من الزركشى إذ رسم طريقًا صحيحًا للمفسر وحدد بدايـة العلوم التى يبدأ بها.

ويشير فى مسألة إلى أن الإعجاز يكون فـى اللفـظ والمعنى والملاءمـة وفـى أحسـن طرق التفسير يرى أن يفسر القرآن بالقرآن، وفيما يجب على المفسر من التحوط فى التفسير يقول : «يجتهد فى أن يكون وفقه من جميع الأنحاء، وعليه بمراعاة الوضع الحقيقى والمجـازى،

---

[١] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ١٧٠.

[٢] الزركشى: البرهان، ج٢، ص ١٧١.

[٣] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ١٧٣.

ومراعاة التأليف، وأن يوافى بين المفردات وتلميح الوقائع، فعند ذلك تتفجر له ينابيع الفوائد»[١] .

وذكر مسألة فى النهى عن ذكر لفظ الحكاية عن الله تعالى، وكذلك النهى عن إطلاق لفظ الزائد، إذ الزائد ما لا معنى له وكلام الله منزه عن ذلك.

ويقسم التأويل إلى : منقاد ومستكره:

فالأول ما لا تعرض فيه بشاعة أو استقباح، والثانى : فما يستبشع إذ عرض على الحجة.

وفى فائدة يتحدث عن تفسير ابن عباس للآيات.

وفى فصل يشير إلى أن معانى القرآن يوقف عليها بالتدبر.

ويتحدث فى فصل آخر عن أن فى القرآن علم الأولين والآخرين وأن كل شىء يمكن استخراجه من القرآن.

وعن استنباط الحكم من الشىء المسكوت عنه يعطى مثالاً.

ويقسم القرآن إلى ما هو بين بنفسه وإلى ما ليس يبين فى نفسه فيحتاج إلى بيان فى آية أخرى أو فى السنة.

وقد يكون اللفظ مقتضيًا لأمر ويحمل على غيره لأنه أولى بذلك الاسم منه، وله أمثلة منها تفسيرهم السبع المثانى بالفاتحة مع أن الله تعالى أخبر أن القرآن كله مثانى»[٢] .

وقد يكون اللفظ محتملاً لمعنيين فى موضع، ويعين فى موضع آخر ما يعينه لأحدهما كقوله تعالى فى سورة البقرة ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[٣] فيحتمل أن يكون السمع معطوفًا على (ختم) ويحتمل الوقف على (قلوبهم) لأن الختم يكون على القلب وهذا أولى[٤] .

ومن الأمور التى تعين على المعنى عند الإشكال :

---

[١] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ١٧٦.

[٢] الزركشى: البرهان، ج٢، ص ١٩٦.

[٣] سورة البقرة : آية (٧).

[٤] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ١٩٧.

أحدها : رد الكلمة لضدها.

الثانى : ردها إلى نظيرها.

الثالث : ما يتصل بها من خبر أو شرط أو إيضاح فى معنى آخر.

الرابع : دلالة السياق، فإنها تبين المجمل وتخصص العام وتقيد المطلق وتنوع الدلالة.

الخامس : ملاحظة النقل عن المعنى الأصلى.

السادس : معرفة النزول.

السابع : السلامة من التدافع.

وفى فصل يتحدث عن الظاهر والمؤول ويعرفه ويعطى أمثلة له.

ويشير فى فصل إلى اشتراك اللفظ فى حقيقتين أو حقيقة ومجاز وفى فصل عن الإجمال الظاهر وأسبابه يقول :

أحدها : أن يعرض ألفاظًا مختلفة مشتركة وقعت فى التركيب.

الثانى : من حذف الكلام.

الثالث : من تعيين الضمير.

الرابع : من مواقع الوقف والابتداء.

الخامس : من جهة غرابة اللفظ.

السادس : من جهة عدم كثرة استعماله الآن.

السابع : من جهة التقديم والتأخير.

الثامن : من جهة المنقول المنقلب.

التاسع : المكرر القاطع لموصل الكلام فى الظاهر.

وفصل يتحدث فيه عما ورد مبينًا للإجمال ويشير إلى النص والظاهر ويشير إلى القرائن المعنوية واللفظية التى تحدد مراد اللفظ.

وهذا النوع شامل وعام والحديث فيه كاف ووافٍ وكأن الزركشى أراد فيه تلخيص لكل ما تحدث فيه فى الكتاب فلا يكاد يخلو هذا النوع من إشارة أو فصل لكل ما سبق الحديث فيه.

النوع الثاني والأربعون
في وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن

يذكر منها ثلاثة وثلاثين نوعًا بينما يشير إلى أنهم أربعون.

الأول : خطاب العام المراد به العموم كقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

الثاني : خطاب الخاص المراد به الخصوص كقوله ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[2].

الثالث : خطاب الخاص والمراد به العام ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[3].

الرابع: خطاب العام والمراد به الخصوص ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ﴾[4].

الخامس : خطاب الجنس نحو ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾[5].

السادس : خطاب النوع نحو ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[6].

السابع : خطاب العين، نحو ﴿يَا عِيسَى﴾[7].

الثامن : خطاب المدح نحو ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[8].

التاسع : خطاب الذم والعاشر : خطاب الكرامة.

الحادى عشر : الإهانة. الثاني عشر : التهكم.

الثالث عشر : خطاب الجمع بلفظ الواحد.

---

[1] سورة المجادلة : آية (٧).

[2] سورة آل عمران : آية (١٠٦).

[3] سورة الطلاق : آية (١).

[4] سورة العنكبوت : آية (١٤).

[5] سورة البقرة : آية (٢١، ١٦٨).

[6] سورة البقرة : آية (٤٠).

[7] سورة آل عمران : آية (٥٥).

[8] كثير في القرآن.

الرابع عشر : خطاب الواحد بلفظ الجمع.

الخامس عشر : خطاب الواحد والجمع بلفظ الاثنين.

السادس عشر : خطاب الاثنين بلفظ الاثنين.

السابع عشر : خطاب الجمع بعد الواحد.

الثامن عشر : خطاب عين والمراد غيره.

التاسع عشر : خطاب الاعتبار.

العشرون : خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره.

الثانى والعشرون : خطاب الجمادات وخطاب من يعقل.

الثالث والعشرون : خطاب التهييج.

الرابع والعشرون : خطاب الإغضاب.

الخامس والعشرون : خطاب التشجيع والتحريض

السادس والعشرون : خطاب التنفير

السابع والعشرون : خطاب التحنن والاستعطاف

الثامن والعشرون : خطاب التحبيب

التاسع والعشرون : خطاب التعجيز

الثلاثون : خطاب التحسير والتلهف

الحادى والثلاثون : خطاب التكذيب

الثانى والثلاثون : خطاب التشريف

الثالث والثلاثون : خطاب للمعدوم

وهذه أمثلة تشمل أنواع المخاطبات، وعرضها يفيد فى معرفة أنواع المخاطبات بالقرآن، ومن الضرورى للمفسر معرفتها.

النوع الثالث والأربعون
فى بيان حقيقته ومجازه

«لا خلاف أن كتاب الله يشتمل على الحقائق، وهى كل كلام بقى على موضوعه كالآيات التى لم يتجوز فيها؛ وهى الآيات الناطقة ظواهرها بوجود الله تعالى وتوحيده وتنزيهه، والداعية إلى أسمائه وصفاته»[١].

«وأما المجاز فاختلف فى وقوعه فى القرآن، والجمهور على الوقوع وأنكره جماعة، منهم ابن القاص من الشافعية، وابن خويز منداذ من المالكية. وحكى عن داود الظاهرى وابنه وأبى مسلم الأصبهانى»[٢].

والمجاز نوعان :

١- المجاز فى المركب وأقسامه ثلاثة :

أ- ما طرفاه حقيقتان.

ب- ما طرفاه مجازيان.

ج- ما كان أحد طرفيه مجازًا دون الآخر.

٢- المجاز الإفرادى وأقسامه كثيرة يذكر منها ستة وعشرين نوعًا، منها :

الأول : «إيقاع المسبب موقع السبب، كقوله تعالى : ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾[٣] وإنما نزل سببه وهو الماء»[٤].

وبعد عرضه لهذه الأنواع يتحدث عن التجوز عن المجاز بالمجاز «وهو أن تجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر، فتتجوز بالمجاز الأول عن الثانى لعلاقة بينهما»[٥].

---

[١] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٢٥٤.

[٢] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٢٥٥.

[٣] سورة الأعراف : آية (٢٦).

[٤] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٢٥٩.

[٥] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٢٩٨.

النوع الرابع والأربعون
فى الكنايات والتعريض فى القرآن

«والكناية عن الشيء الدلالة عليه من غير تصريح باسمه. وهى عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعانى، فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورديفه فى الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه»[١].

وللكناية أسباب يذكرها :

أحدها : التنبيه على عظم القدرة.

الثانى : فطنة المخاطب.

الثالث : ترك اللفظ إلى ما هو أجمل منه.

الرابع : أن يفحش ذكره فى السمع.

الخامس : تحسين اللفظ.

السادس : قصد البلاغة.

السابع : قصد المبالغة فى التشنيع.

الثامن : التنبيه على مصيره.

التاسع : قصد الاختصار.

العاشر : أن يعمد إلى جملة ورد معناها على خلاف الظاهر، فيأخذ الخلاصة منه من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة أو المجاز.

وأما التعريض، فقيل : إنه الدلالة على المعنى من طريق المفهوم وسمى تعريضًا لأن المعنى باعتباره يفهم من عرض اللفظ، أى من جانبه، ويسمى التلويح، لأن المتكلم يلوح منه للسامع ما يريده»[٢].

«ومن أقسامه أن يخاطب الشخص والمراد غيره، سواء أكان الخطاب مع نفسه، أم مع غيره»[٣].

---

[١] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٣٠١.

[٢] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٣١١.

[٣] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٣١٢.

وأما التوجيه، وهو ما احتمل معنيين ويؤتى به عند فطنة المخاطب، كقوله تعالى : «حكاية عن أخت موسى عليه السلام : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾[1] فإن الضمير فى (له) يحتمل أن يكون لموسى، وأن يكون لفرعون»[2].

وجعل الزركشى للكناية قسمًا لأهميتها وعرض أنواعها، وأوضح ما يلتبس أنه كناية.

---

[1] سورة القصص : آية (١٢).

[2] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٣١٥.

النوع الخامس والأربعون
فى أقسام معنى الكلام

يحكى أقوالاً مختلفة عن أقسامه منها :

قيل : قسمان، خبر، وغير خبر.

وقيل : عشرة : نداء، ومسألة، وأمر، وتشفع، وتعجب، وقسم، وشرط، ووضع، وشك، واستفهام.

ويعرض بالتفصيل للخبر والاستفهام والشرط والقسم وجوابه والأمر والنفى.

ونذكر النفى كمثال :

النفى : «هو شطر الكلام كله، لأن الكلام إما إثبات أو نفى»[1].

وله قواعد :

الأولى : إن كان النفى صادقًا سُمى نفى، وإن كان كاذبًا سُمى جحد.

الثانية : شرط صحة النفى صحة اتصاف المنفى عنه بذلك.

الثالثة : المنفى ما ولى حرف النفى.

الرابعة : إن تقدم حرف النفى أداة العموم كان نفيًا للعموم.

الخامسة : أصل أدواته (لا) و(ما) واختاروا له ما، لم ، لن، لا. أما إن، ولما؛ فليسا بأصليين.

---

[1] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٣٧٥.

النوع السادس والأربعون
فى أساليب القرآن وفنونه البليغة

يعد هذا النوع أطوال الأنواع. وهو المطلع على أسرار القرآن العظيم، الكافل بإبراز إعجاز النظيم المبين ما أودع من حسن التأليف، وبراعة التركيب»[١].

وشذ بعضهم فزعم أن موضع صناعة البلاغة إنما هو المعانى فلم يعد الأساليب البليغة والمحاسن اللفظية»[٢].

ثم يجمل القول فى الأساليب ويفصلها بعد ذلك بالتوضيح والشواهد وجملة الأساليب التى ذكرها هى : التوكيد بأقسامه، والحذف بأقسامه، والإيجاز، التقديم والتأخير، القلب، المدرج، الاقتصاص، التغليب، الالتفات، التضمين، وضع الخبر موضع الطلب، وضع الطلب موضع الخبر، وضع النداء موضع التعجب، وضع جملة القلة موضع الكثرة، تذكير المؤنث، تأنيث المذكر، التعبير غن المستقبل بلفظ الماضى، عكسه، مشاكلة اللفظ للمعنى، البحث، الإبدال، المحاذاة، قواعد فى النفى والصفات، إخراج الكلام مخرج الشك فى اللفظ دون الحقيقة، الإعراض عن صريح الحكم، الهدم، التوسع، الاستدراج، التشبيه، الاستعارة، التورية، التجريد، التجنيس، المقابلة، إلجام الخصم بالحجة، التقسيم، التعديد، مقابلة الجمع بالجمع، قاعدة فيما ورد فى القرآن مجموعًا تارة ومفردًا أخرى وحكمة ذلك، قاعدة أخرى فى الضمائر، قاعدة فى السؤال والجواب، الخطاب بالشىء عن اعتقاد المخاطب، التأدب فى الخطاب، تقديم ذكر الرحمة على العذاب، الخطاب بالاسم، الخطاب بالفعل، قاعدة فى ذكر الموصولات والظرف تارة وحذفها أخرى، قاعدة فى النهى ودفع التناقض، عما يوهم وملاك ذلك الإيجاز والإطناب»[٣].

---

[١] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٣٨٢.

[٢] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٣٨٢.

[٣] الزركشى : البرهان، ج٢، ص ٣٨٣.

النوع السابع والأربعون
فى الكلام على المفردات من الأدوات
والبحث فى معانى الحروف، مما يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلولها

«ولهذا توزع الكلام على حسب مواقعها، وترجح استعمالها فى بعض المحال على بعض بحسب مقتضى الحال»[١].

«كما فى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٢]، فاستعملت (على) فى جانب الحق، و(فى) فى جانب الباطل، لأن صاحب الحق كأنه مستعل يرقب نظره كيف شاء، ظاهرة له الأشياء، وصاحب الباطل كأنه منعمس فى ظلام ولا يدرى أين توجه!»[٣].

وفى هذا النوع يتحدث بالتفصيل عن المفردات واستعمالاتها والمسائل التى تثار حولها وفيما يلى إجمال ما تحدث عنه فى هذا النوع : الهمزة، أم، إذن، إذا، إذ، أو، إن، إنما، إلى، ألا، إلا، أما، إما، الآن، أف، أنى، آيات، إى، حرف الباء، بل، بلى، ثم، حاشا، حتى، حيث، دون، ذو وذوات، رويدا، ربما، السين، سوف، على، عن، عسى، عند، غير، الفاء، فى، قد، الكاف، كان، كأن، كأين، كاد، كلا، كل، كِلا وكلتا، كم، كيف، اللام، لات، لاجرم، لو، لولاك؛ لوما، لم، لما، لن، لكن، لعل، ليس، لدن، ما، مَنْ، مِن، مع، النون، الهاء، ها، هل، هيهات، الواو، ويكأن، ويل، يا.

ومعرفة هذه الأدوات هامة وضرورية للمفسر، لأنها كما سبق قوله ترجح على الكلام حسب موقعها.

والكتاب أشبه بدائرة معارف خاصة بالعلوم والثقافات التى تعين المفسر على دقة عمله، وتضمن له طريق الوصول إلى فهم كتاب الله، جمع فيها الزركشى سبعة وأربعين نوعًا وناقش مسائل وفصولاً وفوائد، وهو يعكس ما وصل إليه عصره من ثقافة وعلوم.

---

[١] الزركشى : البرهان، ج٤، ص ١٧٥.

[٢] سورة سبأ : آية (٢٤).

[٣] الزركشى : البرهان، ج٤، ص ١٧٥.

فقد أوضح موضوعات تتعلق بالقرآن من أسباب نـزول وناسـخ ومنسـوخ وغريـب ومجمل ومبين، وموضوعات لغوية وبلاغية وجوانـب وجدانيـة، وأنواعًـا تطبيقيـة عـدد فيهـا أساليب القرآن وأدواته أى كل ما له صلة بالقرآن. ولم تكن هذه الأنواع تتضح علمًا قائمًا بذاته إلا على يد هذا العالم بعد أن كانت شتاتًا متفرقة فى علـوم العربيـة، منهـا مـا هـو فـى مقدمات التفاسير ومنها ما هو فى القضايا المفردة، ومنهـا مـا هـو فـى كتـب اللغـة والنحـو ومنها ما هو فى كتب الأصوليين والفقهاء.

الفصل الثالث

أثــر الإمــام الزركشــى

المبحث الأول

أثره فى الإمام السيوطى ومن يليه

لقد امتد تأثير الزركشى إلى من أتى بعده، وهـذا التأثير نجـده واضحًا فـى كتـاب "الإتقان" للسيوطى.

و لم يكن الإتقان الكتاب الوحيد الذى ألفه السيوطى فى هذا الفـن. فالسيوطى لـه كتابان هما "التحبير فى علوم التفسير" و"إتمام الدراية لقراء النقاية".

وكتاب التحبير يقسمه إلى مائة نوع ونوعين وهذا راجع إلى كثرة التفريعـات التـى من الممكن أن يضمها نوع واحد.

وكتاب إتمام الدراية به أربعة عشر نوعًا، وهو كتاب مختصر يحيل فيـه التوضيحـات إلى كتاب التحبـير مثل قولـه : «وقيـل النسـاء والرعـد والحـج والحديـد والصـف والتغـابن والقيامة والمعوذتان مكيات، والأصح أنها مدنية، وقـد بسـطنا الخلاف فـى المكـى والمدنـى وأدلة ذلك فى التحبير»[١].

وقوله : «النوع الثانى عشر أخر ما نزل فيه أقوال كثيرة سردناها فى التحبير»[٢]

والسيوطى كتب الإتقان بعد التحبير لقوله بعد ذكره خطبة التحبير : «ثم خطـر لى بعد ذلك أن أؤلف كتابًا مبسوطًا، ومجموعًا ومضبوطًا، أسلك فيه طريق الإحصاء، وأمشى فيه على منهاج الاستقصاء. هذا كله وأنا أظن أنى متفرد بذلك، غير مسبوق بالخوض فـى هذه المسالك، فبينا أنا أجيل فى ذلك فكرًا، إذ بلغنى أن الشيخ الإمام بدر الديـن محمـد بـن عبد الله الزركشى، ألف كتابًا فى ذلك حافلاً، يسمى "البرهان فى علـوم القـرآن" فتطلبتـه حتى وقفت عليه»[٣].

وقد أعجب السيوطى بكتاب البرهان وأشار إلى ذلك بقولـه : «ولـما وقفـت علـى هذا الكتاب، ازددت به سرورًا، وحمدت الله كثيرًا، وقوى العزم علـى إبـراز مـا أضمرتـه،

---

[١] السيوطى : إتمام الدراية لقراء النقاية، ص ٢٦ بهامش مفتاح العلوم، ط التقدم مصر.

[٢] السيوطى : إتمام الدراية لقراء النقاية، ص.٣٣.

[٣] السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن، ط دار التراث، ج١، ص ١١.

وشددت الحزم فى إنشاء التصنيف الذى قصدته، فوضعت هذا الكتاب العلى الشأن، الجلى البرهان، الكثير الفوائد والإتقان، ورتبت أنواعه ترتيبًا أنسب من ترتيب البرهان»[١].

كان السيوطى بارعًا فى التقسيم والتبويب، وقد استفاد من كتاب الزركشى استفادة عظيمة حتى أنه بنى أغلب أبوابه على ما فى كتاب الزركشى فنقل عنه ما يقرب من ثلاثة وسبعين نوعًا والاختلاف فى العدد يرجع لكثرة تقسيمات السيوطى فما يناقشه الزركشى فى فصل أو مسألة يجعل له السيوطى نوعًا قائمًا بذاته. فأسباب النزول يناقشها الزركشى فى ثلاثة أنواع، بينما يناقشها السيوطى فى أربعة عشر نوعًا، والقراءات يناقشها الزركشى فى نوعين بينما السيوطى فى ستة أنواع وهكذا.

وقد يناقش الزركشى المسألة فى نوع مثل النوع الحادى عشر "معرفة عدد لغات النزول" ويناقشها السيوطى فى مسألة يقول : «اختلاف الأقوال فى نزول القرآن على سبعة أحرف، وسأسوق من رواتهم ما يحتاج إليه فأقول : اختلف فى معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولاً»[٢] . ويذكر خمسة وثلاثين قولاً. وهذه المسألة يناقشها فى النوع السادس عشر "فى كيفية إنزاله".

ويذكر السيوطى النوع كما هو عند الزركشى ويزيد عليه فى ذكر الأمثلة والشواهد كما فعل فى النوع التاسع والثلاثين "فى معرفة الوجوه والنظائر".

ومن أمثلة الأنواع التى نقلها كاملة من كتاب البرهان : أسباب النزول، غريبه، الناسخ والمنسوخ، معرفة موهم الاختلاف وغيرها من أبواب كتابه.

يزيد السيوطى فى أسماء من ألفوا فى العلم وآتوا بعد الزركشى مثل إضافته لكتاب ابن حجر وكتابه الخاص بأسباب النزول.

ويذكر السيوطى نوعًا، ويرى أنه زائد مثال ذلك النوع الحادى والسبعون "فى أسماء من نزل فيهم القرآن" يقول : «رأيت فيهم تأليفًا مفردًا لبعض القدماء، لكنه غير محرر، وكتاب أسباب النزول والمبهمات يغنيان عن ذلك»[٣].

---

[١] السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن، ج١، ص ١٤.

[٢] السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن، ج١، ص ١٣١.

[٣] السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن، ج٤، ص ١٠١.

وكان الأفضل أن يشير السيوطى لهذا العلم فى فصل أو مسألة وألا يجعله نوعًا قائمًا بذاته، إذ كان يمكن الاستغناء عنه.

ولقد انفرد الزركشى بخمسة أنواع لم يشر إليها السيوطى فى كتابه وهى :

١- النوع التاسع عشر : التصريف.

٢- النوع الحادى والعشرون : معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح.

٣- النوع الثلاثون : فى أنه هل يجوز فى التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن ؟.

٤- التاسع والثلاثون : معرفة وجوب تواتره.

٥- الأربعون : فى بيان معاضدة السنة الكتاب.

ولقد انفرد السيوطى بأنواع لم يشر إليها الزركشى وهى :

١- النوع العاشر : "ما أنزل على لسان بعض الصحابة" يقول : «هو فى الحقيقة نوع من أسباب النزول والأصل فيه موافقات عمر وقد أفردها بالتصنيف جماعة»[(١)] .

ومن الواضح هنا نهج الزركشى المتأثر به السيوطى، إذ عرف العلم وأشار إلى من صنف فيه.

ومثال هذا : «أخرج مسلم عن ابن عمر، عن عمر، قال، وافقت ربى فى ثلاث : فى الحجاب وفى أسرى بدر، وفى مقام إبراهيم»[(٢)].

وفى تذنيب يقول إن القريب من هذا النوع ما ورد على لسان الرسول -صلى الله عليه وسلم- كقوله تعالى : ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[(٣)] .

٢- النوع الخامس عشر : ما أنزل منه على لسان بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبى -صلى الله عليه وسلم-.

---

(١) السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن، ج١، ص ٩٩.

(٢) السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن، ج١، ص ٩٩.

(٣) سورة الأنعام : آية ١٠٤.

«من الثانى الفاتحة وآية الكرسى وخاتمة البقرة».

ومن أمثلة الأول، ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس قال : لما نزلت سبح اسم ربك الأعلى، قال -صلى الله عليه وسلم- «كلها فى صحف إبراهيم وموسى»[١].

ويذكر أمثلة على هذا النوع.

٣- النوع الحادى والعشرون : معرفة طلب العلو والنزول من أسانيده.

طلب العلو فى الإسناد سنة ويقسم أهل الحديث العلو فى الإسناد إلى خمسة أقسام:

الأول : القرب من الرسول بإسناد نظيف غير ضعيف.

الثانى : القرب إلى إمام من أئمة الحديث.

الثالث : العلو بالنسبة إلى رواية أحد الكتب الستة.

الرابع : تقدم وفاة الشيخ عن قرينه الذى أخذ عن شيخه.

الخامس : العلو بموت الشيخ لا مع التفات لأمرٍ آخر.

ويقول بعد هذه التقسيمات : «وإذا عرفت العلو بأقسامه عرفت النزول، فإنه ضده، وحيث ذم النزول فهو ما لم ينجبر يكون رجاله أعلم وأحفظ وأتقن أو أجل أو أشهر أو أورع، أما إذا كان كذلك فليس بمذموم ولا مفضول»[٢].

٤- النوع الخامس والستون "فى العلوم المستنبطة من القرآن".

يوضح فى هذا النوع أقوال العلماء فى أن القرآن أصل كل العلوم وما للغات والألفاظ والأصول والحلال والحرام وأصول التعبير مثل ما ورد فى القصص والطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والحدادة والنجارة والغزل، وغيرها. ويستشهد بآيات وينقل السيوطى القول فى علوم القرآن الذى بدأ به الزركشى كتابه ثم يقول رأيه فى هذا الأمر يقول : «وأنا أقول : قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء؛ أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هى أصل إلا وفى القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات،

---

[١] السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن، ج١، ص ١١٣.

[٢] السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن، ج١، ص ٢٠٩.

وملكوت السموات والأرض، وما فى الأفق الأعلى وتحت الثرى، وبدء الخلق وأسماء مشاهير الرسل والملائكة وعيون أخبار الأمم السالفة»[1].

«وفيه من شأن النبى ودعوة إبراهيم به، وفيه بدء خلق الإنسان إلى موته وكيفية الموت، وفيه جميع أسمائه تعالى الحسنى وفيه شعب الإيمان البضع والستون، وفيه أنواع الكبائر»[2].

والحقيقة لم يكن السيوطى موفقًا فى هذا الرأى فالقرآن تشريع للمسلمين صالح لإقامة الحياة الدنيا آمنة للوصول إلى الآخرة، وإن كانت هناك إشارة مجملة فى الآيات يفهم بعضها على أنه مبادئ للعلوم، وليس نظريات علمية قد تصح يومًا وتكذب يومًا وتتغير يومًا. والباحث عن العلم أمامه الطبيعة وما فيها، فكيف لطالب الطب والهندسة والجبر والحدادة والنجارة أن يكتفى بتلاوة القرآن دون البحث عن هذه العلوم فى الطبيعة وعند أربابها وإن وجدت إشارة للآيات التى يفهم منها مسلّمة علمية، فهو دليل على إعجاز القرآن لا على أنه كتاب علم يأخذ منه كل العلوم.

-النوع الثامن والخمسون "فى بدائع القرآن" :

أشار السيوطى إلى أن ابن أبى الإصبع أفرده بالتصنيف وتحدث فيه عن مجمل أنواع البديع، الإيهام، الاستخدام، الالتفات، الاطراد، الانسجام، الإدماج، الافتنان،، الاقتدار، ائتلاف اللفظ مع اللفظ، وائتلافه مع المعنى، الاستدراك والاستثناء، الاقتصاص، الإبدال، تأكيد المدح بما يشبه الذم، التعريف، التقسيم، التدبيج، التنكيت، التجريد، التعريد، الترتيب والترقى والتنزلى، التضمين، الجناس الجمع، الجمع والتفريق، الجمع والتقسيم، جمع المؤتلف والمختلف، حسن النسق، عتاب المرء نفسه، العكس، العنوان، الفرائد، القسم، اللف والنشر، المشاكلة، المزاوجة، المبالغة، المطابقة، المواربة، المراجعة، النزاهة، الإبداع»[3].

ويذكر تعريف النوع وشواهد قرآنية تندرج تحته، يقول : «المواربة براء مهملة وباء موحدة، أن يقول المتكلم قولاً يتضمن ما ينكر عليه، فإذا حصل الإنكار استحضر بحذقه

---

(1) السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن، ج٤، ص ٣٣.

(2) السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن، ج٤، ص ٣٤.

(3) انظر السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٢٤٩ : ٢٨٩.

وجهًا من الوجوه يتخلص به، إما بتحريف كلمة أو تصحيفها، أو زيادة أو نقص، قال ابن أبى الإصبع : ومنه قوله تعالى حكاية عن أكبر أولاد يعقوب : ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾[1] ، فإنه قرئ : "إن ابنك سُرِّق و لم يسرق" فأتى بالكلام على الصحة بإبدال ضمة من فتحة وتشديد الراء وكسرتها»[2] .

ويقول : «الإبداع بالباء الموحدة، أن يشمل الكلام على عدة ضروب من البديع، قال ابن أبى الإصبع : و لم أر فى الكلام مثل قوله تعالى : ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾[3] ، فإن فيها عشرين ضربًا من البديع»[4] .

٥- النوع التاسع والستون : فيما وقع فى القرآن من الأسماء والكنى والألقاب :

يذكر فيه السيوطى أسماء خمسة وعشرين من الأنبياء والمرسلين، ويوضح المعنى اللغوى وأصل الاسم، وقد لا يشير إلى المعنى اللغوى ويعطى معلومة عن النبى الذى يتحدث عنه مثال ذلك : «نوح؛ قال الجواليقى : أعجمى معرب زاد الكرمانى، ومعناه بالسريانية "الساكن". وقال الحاكم فى المستدرك إنما سُمى نوحٌ لكثرة بكائه على نفسه»[5] .

«عيسى بن مريم بنت عمران خلقه الله بلا أب، وكانت مدة حمله ساعة، وقيل ثلاث ساعات، وقيل ستة أشهر وقيل ثمانية أشهر، وقيل تسعة، ولها عشر سنين، وقيل خمس عشرة، ورفع وله ثلاث وثلاثون سنة»[6] .

ويذكر أسماء الملائكة والصحابة وأسماء النساء والكفار والجن والقبائل والأقوام والأصنام والبلاد والأماكن وأسماء الأماكن الأخروية والكواكب والطير والكنى والألقاب.

---

[1] سورة يوسف : آية ٨١.

[2] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٢٨٧.

[3] سورة هود : آية ٤٤.

[4] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٢٨٩.

[5] السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن، ج٤، ص ٥٨.

[6] السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن، ج٤، ص ٦٧.

٦- النوع التاسع والسبعون : فى غرائب التفسير :

ألف فيه محمود بن حمزة الكرمانى كتابًا فى مجلدين، سماه "الغرائب والعجائب" ضمنه أقوالاً ذكرت فى معانى منكرة لا يحل الاعتماد عليها ولا ذكرها إلا للتحذير منها، من ذلك قول من قال فى "حمعسق" : إن الحاء حرب على ومعاوية، والميم ولاية المروانية، والعين ولاية العباسية، والسين ولاية السفيانية، والقاف قدوة المهدى حكاه أبو مسلم ثم قال : أردت بذلك أن يعلم أن فيمن يدعى العلم حمقى»[(١)] .

ويقول : «ومن ذلك قول من قال في ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[(٢)] إنه قصص القرآن، واستدل بقراءة أبى الجوزاء (ولكم فى القصص)، هو بعيد، بل هذه القراءة أفادت معنى غير معنى القراءة المشهورة، وذلك من وجوه إعجاز القرآن، كما بينته فى أسرار التنزيل»[(٣)] .

«ومن ذلك قول من قال فى ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾[(٤)] إنه الحب والعشق وقد حكاه الكواشى فى تفسيره»[(٥)] .

«ومن ذلك قول أبى معاذ النحوى فى قوله تعالى : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾[(٦)] يعنى إبراهيم (نارًا) أى نورًا، وهو محمد -صلى الله عليه وسلم- ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾[(٧)] .

وهذا النوع هام للمفسر إذ الأقوال التى لا طائل من ورائها منتشرة.

---

(١) السيوطى : الإتقان، ج٤، ص ٢٠٢.

(٢) سورة البقرة : آية ١٧٩.

(٣) السيوطى : الإتقان، ج٤، ص ٢٠٢.

(٤) سورة البقرة : آية ٢٨٦.

(٥) السيوطى : الإتقان، ج٤، ص ٢٠٣.

(٦) سورة يس : آية ٨٠.

(٧) سورة يس : آية ٨٠.

٧- النوع الثمانون : فى طبقات المفسرين :

يذكر من اشتهر بالتفسير من الصحابة والتابعين وختم الكتاب بما ورد عن النبى من تفاسير :

«اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعرى، وعبد الله بن الزبير»[١] .

وعن التابعين يقول : «قال ابن تيمية : أعلم الناس بالتفسير أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد وعطاء بن أبى رباح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس وغيرهم، وكذلك فى الكوفة أصحاب ابن مسعود، وعلماء أهل المدينة فى التفسير، مثل زيد بن أسلم الذى أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ومالك بن أنس»[٢] .

ويشير إلى من أتى بعد هؤلاء كسفيان بن عيينة ووكيع وابن الجراح وشعبة والحجاج وغيرهم وتلاهم الطبرى وعن تفسيره يقول : «وبعدهم ابن جرير الطبرى، وكتابه من أجلّ التفاسير وأعظمها»[٣] .

ويختم كتابه بما ورد عن النبى -صلى الله عليه وسلم- من التفاسير المصرح برفعها إليه، بادئ بالفاتحة ثم باقى سور القرآن ذاكرًا الأسانيد صحيحها وضعيفها.

يقول : «وأخرج الطبرانى بسند ضعيف عن ابن عباس، عن النبى -صلى الله عليه وسلم- فى قوله ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[٤] . قال : أما من فى السموات فالملائكة، وأما من فى الأرض فمن ولد على الإسلام، وأما كرهًافمن أتى به فى سبايا الأمم فى السلال والأغلال يقادون إلى الجنة وهم كارهون»[٥] .

و لم يمنع ضعف السند عند السيوطى من ذكر هذه التفاسير وكان الأولى به أن يرفضها ويكتفى بصحيح الأسانيد.

---

[١] السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن، ج٤، ص ٢٠٤.

[٢] السيوطى : الإتقان، ج٤، ص ٢١٠.

[٣] السيوطى : الإتقان، ج٤، ص ٢١٢.

[٤] سورة آل عمران : آية ٨٣.

[٥] السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن، ج٤، ص ٢١٨.

وهناك أنواع ناقشها السيوطى بسرد واستفاضة فمن ذلك النوع الأول "فى معرفة المكى والمدنى" فقد أشار إلى نظم أبى الحسن الحصار فى كتابه الناسخ والمنسوخ، ثم فصل فى تحرير السور المختلف فيها، فذكر إحدى وثلاثين سورة.

يقول : "سورة الفاتحة" : الأكثرون على أنها مكية، بل ورد أنها أول ما نزل كما سيأتى فى النوع الثامن، واستدل لذلك بقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾[1] وقد فسرها -صلى الله عليه وسلم- بالفاتحة كما فى الصحيح. وسورة الحجر مكية باتفاق، وقد امتن الله على رسوله بها، فدل على تقدم نزول الفاتحة عليها، إذ يبعد أن يمتن عليه بما لم ينزل بعد، وبأنه لا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة، و لم يحفظ أنه كان فى الإسلام صلاة بغير الفاتحة. ذكره ابن عطية وغيره»[2] .

ويذكر قول مجاهد أنها مدنية، ثم تعليلاً آخر أنها نزلت مرتين، وقول رابع أنها نزلت نصفين، نصفها بمكة ونصفها بالمدينة.

و لم يصرح السيوطى برأيه على الرغم من التعليلات التى ذكرها فى أول حديثه.

ويقول : «(سورة التغابن) : قيل مدنية، وقيل مكية إلا أخرها. (سورة الملك) فيها قول غريب إنها مدنية، (سورة الإنسان) : قيل مدنية، وقيل مكية إلا بآية واحدة : ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[3] ، (سورة الأعلى) : الجمهور على أنها مكية، قال ابن الغرس : وقيل إنها مدنية. لذكر صلاة العيد وزكاة الفطر فيها. قلت : ويرده ما أخرجه البخارى عن البراء بن عازب، قال أول من قدم علينا من أصحاب النبى -صلى الله عليه وسلم- مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرآننا القرآن الكريم، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين، ثم جاء النبى -صلى الله عليه وسلم- فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم به، فما جاء حتى قرأت "سبح اسم ربك الأعلى" فى سورة مثلها»[4] .

---

[1] سورة الحجر : آية ٨٧.

[2] السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن، ج ١، ص ٣٠.

[3] سورة الإنسان : آية ٢٤.

[4] السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن، ج١، ص ٣٤.

وكذلك أفرد السيوطى خمس مسائل فى النوع التاسع "معرفة سبب النزول":

المسألة الأولى : فوائده، وذكر جملة آراء.

المسألة الثانية : هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب ؟

يقول : «قلت : ومن الأدلة على اعتبار عموم اللفظ، احتجاج الصحابة وغيرهم فى وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة شائعًا بينهم، قال ابن جرير : حدثنى محمد ابن أبى معشر، أخبرنا أبو معشر نجيح، سمعت سعيد المقبرى يذاكر محمد بن كعب القرظى، فقال سعيد : إن فى بعض كتاب الله : إن لله عبادًا ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، لبسوا لباس مسوك الضأن من اللين يجترون الدنيا بالدين. قال محمد ابن كعب : هذا فى كتاب الله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[١] الآية، فقال سعيد : قد عرفت فيمن أنزلت؟ فقال محمد بن كعب : إن الآية تنزل فى الرجل ثم تكون عامة بعد»[٢] .

المسألة الثالثة : يقول : «تقدم أن صورة السبب قطعية الدخول فى العام، وقد تنزل الآيات على الأسباب الخاصة مع ما يناسبها، من الآى العامة، رعاية لنظم القرآن، وحسن السياق، فيكون ذلك الخاص قريبًا من صورة السبب فى كونه قطعى الدخول فى العام، كما اختار السبكى أنه رتبة متوسطة دون السبب وفوق المجرد، مثاله قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾[٣] إلى آخره»[٤] .

المسألة الرابعة : يرى أن الحديث فى أسباب النزول أمر يحصل للصحابة ويذكر رأى الحاكم فى علوم الحديث : إذا أخبر الصحابى الذى شهد الوحى عن آية، فإنه حديث مسند.

المسألة الخامسة : كثيرًا ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسبابًا متعددة، وطريق الاعتماد فى ذلك أن ينظر إلى العبارة الواقعة، فإن عبر أحدهم بقوله : نزلت فى كذا،

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٠٤.

(٢) السيوطى : الإتقان، ج١، ص ٨٥.

(٣) سورة النساء : آية ٥١.

(٤) السيوطى : الإتقان، ج١، ص ٨٨.

والآخر : نزلت فى كذا. ذكر أمرًا آخر، فقد تقدم أن هذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النزول، فلا منافاة بين قولهما إذا كان اللفظ يتناولهما»[١] .

وسرد السيوطى فى النوع السابع والثلاثين "ما وقع فيه بغير لغة الحجاز" اسم اللغة وما وقع تحتها من ألفاظ القرآن.

يقول : «بلغة كنانة : ﴿السُّفَهَاءُ﴾[٢] : الجهال، ﴿خَاسِئِينَ﴾[٣] : صاغرين، ﴿شَطْرَهُ﴾[٤] : تلقاه، ﴿لَا خَلَاقَ﴾[٥] : لا نصيب، ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾[٦] : أحرارًا، ﴿قَبِيلًا﴾[٧] : عيانًا»[٨] .

«بلغة هذيل : ﴿وَالرُّجْزَ﴾[٩] : العذاب، ﴿شَرَوْا﴾[١٠] : باعوا»[١١] .

«بلغة حمير : ﴿عُثِرَ﴾[١٢] : اطلع، ﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾[١٣] : جنون»[١٤] .

«بلغة جرهم : ﴿فَبَاءُوا﴾[١٥] : استوجبوا، ﴿شِقَاقٍ﴾ " ضلال»[١٦] .

---

[١] السيوطى : الإتقان، ج١، ص ٩١.

[٢] سورة البقرة : آية ١٣.

[٣] سورة البقرة :آية ٦٥.

[٤] سورة البقرة : آية ١٤٤.

[٥] سورة آل عمران : آية ٧٧.

[٦] سورة المائدة : آية ٢٠.

[٧] سورة الإسراء : آية ٩٢.

[٨] السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن، ج٢، ص ٩١.

[٩] سورة المدثر : آية ٥.

[١٠] سورة البقرة : آية ١٠٢.

[١١] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ٩٢.

[١٢] سورة المائدة : آية ١٠٧.

[١٣] سورة الأعراف : آية ٦٦.

[١٤] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ٩٤.

[١٥] سورة البقرة : آية ٩٠.

[١٦] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ٩٥.

«بلغة أزد شنوءة : ﴿لَا شِيَةَ﴾[١] : لا وضح، ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾[٢] : الحبس»[٣] .

«بلغة مذحج : ﴿رَفَثُ﴾[٤] : جماع، ﴿مُقِيتًا﴾[٥] : مقتدرًا»[٦] .

«وبلغة مزينة : ﴿لَا تَغْلُوا﴾[٧] : لا تزيدوا»[٨] .

«وبلغة لخم : ﴿إِمْلَاقٍ﴾[٩] : جوع»[١٠] .

«وبلغة جذام : ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾[١١] : تخللوا الأزقة»[١٢] .

«وبلغة اليمامة : ﴿حَصِرَتْ﴾[١٣] : ضاقت»[١٤] .

«وبلغة تميم : ﴿أُمَّةٍ﴾[١٥] : نسيان»[١٦] .

«وبلغة الخزرج : ﴿يَنفَضُّوا﴾[١٧] : يذهبوا»[١٨] .

---

[١] سورة البقرة : آية ٧١.

[٢] سورة البقرة : آية ٢٣٢.

[٣] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ٩٧.

[٤] سورة البقرة : آية ٩٧.

[٥] سورة النساء : آية ٨٥.

[٦] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ٩٧.

[٧] سورة النساء : آية ١٧١.

[٨] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ٩٩.

[٩] سورة الأنعام : آية ١٥١.

[١٠] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ٩٩.

[١١] سورة الإسراء : آية ٥.

[١٢] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١٠٠.

[١٣] سورة النساء : آية ٩٠.

[١٤] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١٠٠.

[١٥] سورة يوسف : آية ٤٥.

[١٦] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١٠١.

[١٧] سورة المنافقون : آية ٧.

[١٨] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١٠١.

«وبلغة الأوس : ﴿لِينَةٍ﴾[1] : النخل»[2] .

ويسرد السيوطى أمثلة كثيرة أو يكتفى بمثال واحد كما ذكرنا»[3] .

وقد ذكر السيوطى فى النوع "الثامن والثلاثين" "فيما وقع فيه بغير لغة العرب" سرد الألفاظ الواردة فى القرآن من ذلك مرتبة على حروف المعجم، «(أباريق) حكى الثعالبى فى فقه اللغة أنها فارسية، وقال الجواليقى : الإبريق فارسى معرب، ومعناه طريق الماء أو صب الماء على هينة»[4] .

«بطائنها : قال شيذلة فى قوله تعالى ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾[5] أى ظواهرها بالقبطية وحكاه الزركشى»[6] .

«تنور : ذكر الجواليقى والثعالبى أنه فارسى معرب»[7] .

«جهنم : قيل أعجمية، وقيل : فارسية وعبرانية، أصلها كهنام»[8] .

«حطة : قيل معناه : قولوا صوابًا، بلغتهم»[9] .

«درى : معناه المضىء، بالحبشية، حكاه شيذلة، وأبو القاسم»[10] .

«الرحمن : ذهب المبرد وثعلب إلى أنه عبرانى، وأصله بالخاء المعجمة»[11] .

«زنجبيل : ذكر الجواليقى والثعالبى أنه فارس»[12] .

«سجين : ذكر أبو حاتم فى كتاب الزينة أنه غير عربى»[13] .

---

[1] سورة الحشر : آية ٥.

[2] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١٠١.

[3] ولمزيد من الأمثلة : انظر الإتقان، ج٢، ص ٩١ : ١٠٤.

[4] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١٠٨.

[5] سورة الرحمن : آية ٥٤.

[6] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٠.

[7] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٠.

[8] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١١.

[9] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١١.

[10] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١١.

[11] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٢.

[12] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٣.

[13] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٣.

«شهر : قال الجواليقى : ذكر بعض أهل اللغة أنه بالسريانية»[١] .

«الصراط : حكى النقاش وابن الجوزى أنه الطريق بلغة الروم، ثم رأيته فى كتاب الزينة لأبى حاتم»[٢] .

«طوبى : أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير، قال : بالهندية»[٣] .

«عبدت : قال أبو القاسم فى قوله تعالى : ﴿عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٤] معناه قتلت بلغة النبط»[٥] .

«غيض : قال أبو القاسم : غيض : نقص، بلغة الحبشة»[٦] .

«فوم : قال الواسطى : هو الحنطة بالعبرية»[٧] .

«قسط : أخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد قال : القسط العدل بالرومية»[٨] .

«كافور : ذكر الجواليقى وغيره أنه فارس معرب»[٩] .

«لينة : فى الإرشاد للواسطى : هى النخلة، وقال الكلبى : لا أعلمها إلا بلسان يهود يثرب»[١٠] .

«مجوس : ذكر الجواليقى أنه أعجمى»[١١] .

«ن : حكى الرمانى فى العجائب، عن الضحاك أنه فارسى، أصله النون؛ ومعناه اصنع ما شئت»[١٢] .

---

(١) السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٣.

(٢) السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٤.

(٣) السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٤.

(٤) سورة الشعراء : آية ٢٢.

(٥) السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٤.

(٦) السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٥.

(٧) السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٥.

(٨) السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٥.

(٩) السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٦.

(١٠) السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٦.

(١١) السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٦.

(١٢) السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٧.

«هدنا : قيل معناه تبنا بالعبرانية، حكاه شيذلة وغيره»[١] .

«وردة : ذكر الجواليقى أنها غير عربية»[٢] .

«يصدون : قال ابن الجوزى : معناه يضجون بالحبشية»[٣] .

ويذكر السيوطى أن السبكى نظم منها سبعًا وعشرين لفظة وذيل ابن حجر بأربع وعشرين لفظة وذيل هو بضعًا وستين لفظة، ومن الملاحظة أن هذا السرد خلا من حروف الثاء، والذال، والضاد، والظاء، وقد بلغ عدد الألفاظ التى ذكرها السيوطى سبع عشرة ومائة لفظة، بينما ذكر الزركشى سبع وعشرين لفظة، دون أن يراعى ترتيب المعجم.

ويذكر السيوطى فى النوع الثانى والأربعين "فى قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها" قاعدة فى الضمائر ومرجع الضمير يقول : «لابد من مرجع يعود إليه، ويكون ملفوظًا به سابقًا مطابقًا به، نحو ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾[٤] ، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[٥] ، ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾[٦] .

أو متضمنًا نحو ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٧] فإنه عائد على العدل المتضمن له "اعدلوا".

أو دالاً عليه بالالتزام، نحو ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾[٨] أى القرآن، لأن الإنزال يدل عليه التزامًا»[٩] .

وعن ضمير الفصل يقول : «ضمير بصيغة المرفوع مطابق لما قبله؛ تكلمًا وخطابًا وغيبة، إفرادًا وغيره، وإنما يقع بعد مبتدأ أو ما أصله المبتدأ وقبل خبر كذلك، نحو ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٧.

(٢) السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٨.

(٣) السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ١١٨.

(٤) سورة هود : آية ٤٢.

(٥) سورة طه : آية ١٢١.

(٦) سورة النور : آية ٤٠.

(٧) سورة المائدة : آية ٨.

(٨) سورة القدر : آية ١.

(٩) السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ٢٨١ : ٢٨٢.

﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] ، ولا محل لضمير الفصل من الإعراب، وله ثلاث فوائد : الإعلام بأن ما بعده خبر لا تابع، والتأكيد، ولهذا سماه الكوفيون دعامة، أى يقوى ويؤكد، وبنى عليه بعضهم أنه لا يجمع بينه وبينه، فلا يقال زيد نفسه هو الفاضل والاختصاص.

وذكر الزمخشرى الثلاث فى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2] فقال فائده الدلالة على أن ما بعده خبر لا صفة، والتوكيد، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره»[3]

ويذكر قاعدة فى ضمير الشأن والقصة، وفى حكم عود الضمير على جمع العلاقات، وفى ترتيب مراعاة اللفظ والمعنى فى الضمائر، وفى التذكير والتأنيث، وفى التعريف والتنكير وفى الحكمة من تنكير "أحد والعمد" وفى الإفراد والجمع، ومقابلة الجمع بالجمع، وذكر السؤال والجواب، وفيما سأل فيه الصحابة محمد -صلى الله عليه وسلم- وفى الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل، وفى المراد بالتجدر، وذكر مضمر الفعل ومظهره، فى دلالة الاسم على الثبوت والفعل على التجدد، قاعدة فى المصدر، وفى العطف»[4] .

وفى النوع الثالث والأربعين "فى المحكم والمتشابه" يذكر المراد بالمحكم والمتشابه، ويقول : «وقد اختلف فى تعيين المحكم والمتشابه على أقوال : فقيل : المحكم ما عرف المراد منه، إما بالظهور وإما بالتأويل، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه، كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة فى أوائل السور.

وقيل : المحكم ما وضح معناه والمتشابه ما احتمل أوجهًا،وقيل : المحكم ما كان معقول المعنى والمتشابه بخلافه، كأعداد الصلوات واختصاص الصيام بشعبان، قال الماوردى.

وقيل : المحكم ما استقل بنفسه، والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا برءه إلى غيره، وقيل المحكم ما تأويله تنزيله، والمتشابه ما لا يدرى إلا بالتأويل، وقيل المحكم ما لم تنكر ألفاظه ومقابله المتشابه.

---

[1] سورة البقرة : آية ٥.

[2] سورة البقرة : آية ٥.

[3] السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ٢٨٦.

[4] ولمزيد من الأمثلة انظر السيوطى : الإتقان، ج٢، ص ٢٨٦ : ٣٢٣.

وقيل : المحكم الفرائض والوعد والوعيد، والمتشابه القصص والأمثال»[١] .

ويذكر روايات أيضًا عن معنى المحكم والمتشابه[٢] .

وفصل فى هل المتشابه مما يمكن الاطلاع على علمه، أم لا يعلمه إلا الله؟

ويذكر تأويلات لأهل السنة فى المتشابهات يقول : «ومن ذلك الوجه وهو مؤول بالذات، وقال ابن اللبان فى قوله : ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[٣] ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾[٤] ، ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾[٥] المراد إخلاص النية. وقال غيره فى قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[٦] أى الجهة التى أمر بالتوجه إليها»[٧] .

«ومن ذلك بصفة القرب فى قوله : ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[٨] ، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٩] أى بالعلم.

ومن ذلك : صفة الفوقية فى قوله : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[١٠] ، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[١١] ، والمراد العلو من جهة، وقد قال فرعون : ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[١٢] ولاشك أنه لم يرد العلو المكانى»[١٣] .

---

[١] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٣، ٤.

[٢] انظر السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٥.

[٣] سورة الأنعام : آية ٥٢.

[٤] سورة الإنسان : آية ٩.

[٥] سورة الليل : آية ٢٠.

[٦] سورة البقرة : آية ١١٥.

[٧] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ١٦.

[٨] سورة البقرة : آية ١٨٦.

[٩] سورة ق : آية ٦.

[١٠] سورة الأنعام : آية ١٨.

[١١] سورة النحل : آية ٥٠.

[١٢] سورة الأعراف : آية ١٢٧.

[١٣] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ١٩.

وفصل فى المتشابه فى أوائل السور[١] .

وخاتمة قال فيها : «أورد بعضهم سؤالاً وهو أنه : هل للمحكم مزية على المتشابه أم لا ؟ فإن قلتم بالثانى فهو خلاف، بالإجماع أو بالأول فقد نقضم أصلكم فى أن جميع كلام الله سبحانه وتعالى سواء، وأنه منزل بالحكمة!

وأجاب عبد الله البكراباذى، بأن المحكم كالمتشابه من وجه ويخالفه من وجه فيتفقان فى أن الاستدلال بهما لا يمكن إلا بعد معرفة حكمة الواضع، وأنه لا يختار يستدل به فى الحال، والمتشابه يحتاج إلى فكرة ونظر؛ ليحمله على الوجه المطابق؛ ولأن المحكم أصل والعلم بالأصل أسبق، ولأن المحكم يعلم مفصلاً، والمتشابه لا يعلم إلا مجملاً»[٢] .

ويزيد فى عرضه لآراء العلماء[٣] .

وفى النوع السابع والأربعين "فى ناسخه ومنسوخه"، ويذكر فى هذا النوع إحدى عشرة سورة منسوخة يقول : «فمن البقرة : قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾[٤] الآية، منسوخة، قيل بآية المواريث، وقيل بحديث. ألا لا وصية لوارث، وقيل: بالإجماع؛ حكاه ابن العربى»[٥] .

«ومن آل عمران : قوله تعالى : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[٦] قيل منسوخ بقوله : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[٧] وقيل لا بل هو محكم. وليس فيها آية يصح فيها دعوى النسخ غير هذه الآية»[٨] .

---

[١] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٢١.
[٢] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٣٠.
[٣] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٣١، ٣٢.
[٤] سورة البقرة : آية ١٨٠.
[٥] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٦٥.
[٦] سورة آل عمران : آية ١٠٢.
[٧] سورة التغابن : آية ١٦.
[٨] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٦٦.

«ومن النساء : قوله تعالى : ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾[١] ، الآية منسوخة بآية النور»[٢] .

«ومن المائدة : قوله تعالى : ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾[٣] منسوخة بإباحة القتال فيه»[٤] .

«ومن الأنفال : قوله تعالى : ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾[٥] الآية منسوخة بالآية بعدها»[٦] .

«ومن براءة قوله تعالى : ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[٧] منسوخة بآيات العذر، وهو قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾[٨] الآية»[٩] .

«ومن النور : قوله تعالى : ﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[١٠] الآية، قيل : منسوخة وقيل : لا، ولكن تهاون الناس فى العمل بها»[١١] .

«ومن الأحزاب : قوله تعالى : ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾[١٢] الآية، منسوخة بقوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾[١٣] الآية»[١٤] .

---

[١] سورة النساء : آية ١٥.

[٢] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٦٦.

[٣] سورة المائدة : آية ٢.

[٤] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٦٦.

[٥] سورة الأنفال : آية ٦٥.

[٦] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٦٧.

[٧] سورة التوبة : آية ٤١.

[٨] سورة النور : آية ٦١.

[٩] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٦٧.

[١٠] سورة النور : آية ٥٨.

[١١] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٦٧.

[١٢] سورة الأحزاب : آية ٥٢.

[١٣] سورة الأحزاب : آية ٥٠.

[١٤] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٦٧.

«ومن المجادلة : قوله تعالى : ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا﴾[١] الآية منسوخة بالآية بعدها»[٢] .

«ومن الممتحنة : قوله تعال : ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا﴾[٣] ، قيل منسوخ بآية السيف وقيل : بآية الغنيمة وقيل : محكم»[٤] .

«ومن المزمل : قوله : ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٥] قيل منسوخ بآخر السورة وقيل نسخ الآخر بالصلوات الخمس»[٦] .

ويرى السيوطى أن دعوى النسخ لا تصح فى غير هذه السور، يقول : «فهذه إحدى وعشرون آية منسوخة، على خلاف بعضها، لا يصح دعوى النسخ فى غيرها. والأصح فى آية الاستئذان والقسمة والإحكام، فصارت تسع عشرة ويضم إليها قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[٧] على رأى ابن عباس أنها منسوخة بقوله ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[٨] الآية فتمت عشرون وقد نظمتها فى أبيات»[٩] .

وللدهلوى كتاب تحدث فيه عن علم الأحكام وعلم الجدل وعلم التذكير بآلاء الله، ثم علم التذكير بأيام الله، وذكر بحثًا فى غريب القرآن وبحثًا فى الناسخ والمنسوخ، وفى أسباب النزول وفى المحكم والمتشابه وفى ترتيب القرآن وتقسيم صوره وتكراره، وترتيب مباحثه ووجوه إعجازه وتحدث عن أصناف المفسرين ومناهج تفسيرهم، وفى غرائب القرآن وفى ظاهر القرآن وباطنه، وفى بعض العلوم الوهمية و لم يزيد شيئًا عما قاله الزركشى فى كتابه[١٠] .

---

[١] سورة المجادلة : آية ١٢.

[٢] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٦٧.

[٣] سورة الممتحنة : آية ١١.

[٤] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٦٨.

[٥] سورة المزمل : آية ١.

[٦] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٦٨.

[٧] سورة البقرة : آية ١١٥.

[٨] سورة البقرة : آية ١٤٩.

[٩] السيوطى : الإتقان، ج٣، ص ٦٨.

[١٠] الدهلوى : الفوز الكبير فى أصول التفسير عربه فى من الفارسية، سلمان الحسينى الندوى، ط الصحوة ١٤٠٧ هـ/١٩٨٦م.

المبحث الثانى

كتب التفسير

لم تسر كتب التفسير على منهج واحد، بل تختلف مناهجه تبعًا لاختلاف ثقافة المفسر، فكل من برع فى علم من العلوم نجده يغلب على تفسيره فالنحوى لأهم له سوى الإعراب وذكر مسائل النحو وخلافاته كالواحدى فى البسيط وأبى حيان فى البحر المحيط.

وصاحب العلوم العقلية لا يعنى إلا بأقوال الفلاسفة والمتكلمين كالفخر الرازى فى مفاتيح الغيب.

والفقيه يعتنى بالأدلة والأحكام والفروع الفقهية كالجصاص والقرطبى.

والمتصوف لا هم له إلا استخراج المعانى الإشارية كالقشيرى فى تفسيره.

وفى العصر الحديث نجد التفسير االواضح لمحمد محمود حجازى، حيث مزج فيه التفسير بالمعانى العلمية والتوجيهات الاجتماعية، ونجد التفسير الأدبى والاجتماعى والتفسير العام والموضوعى والتفسير العلمى.

والتفسير العلمى ليس وليد هذه الأيام، فمحاولاته على يد الغزالى والفخر الرازى، والجواهر فى تفسير القرآن لطنطاوى جوهرى خير شاهد على ذلك، وفى هذا التفسير خروج بالقرآن عن مقصده وانحراف به عن غايته، فالقرآن كتاب تشريع عليه تقوم حياة الناس وليس مصدرًا للطب والهندسة والفلك ومعادلات الجبر وقوانين الكيمياء ومتغيرات الطبيعة.

وطنطاوى جوهرى اعترف فى مقدمة تفسيره إعجابه بالعلوم والكائنات وغرامه بها وتحدث فى تفسيره عن الذرة والقمح وكيفية تكوينها باستفاضة تبعد القارئ عن معنى الآية كذلك دعم حديثه بصور للكائنات الحية كصور الضفادع وشرحه سر تركيبها وكذلك استدل من الآية السابعة والستين إلى الثالثة والسبعين[1] على علم تحضير الأرواح.

ولاشك أن ابتعاد هؤلاء العلماء عن المنهج الصحيح هو الذى أدى بهم إلى الإغراق فى أمثال هذه المغالطات.

وسنعرض بالتفصيل إلى مناهج مختلفة للمفسرين فيما يلى:

---

[1] من سورة البقرة.

فتح القدير

محمد بن على بن محمد الشوكانى

وهو تفسير جامع بين الرواية والدراية، وصف الشوكانى صنيعه فى هذا التفسير قائلاً :

«وقد اشتمل هذا التفسير على جميع ما تدعو إليه الحاجة منه مما يتعلق بالتفسير، مع اختصار لما تكرر لفظًا واتحد معنى بقولى ومثله أو نحوه وضممت من ذلك فوائد لم يشتمل عليها وجدتها فى غيره من تفاسير علماء الرواية، أو من الفوائد التى لاحت لى من تصحيح أو تحسين أو تضعيف أو تعقيب أو جمع أو ترجيح»[١].

والشوكانى فى تفسيره يعطى أهمية كبيرة للغة وعلوم العربية من ذلك تفسيره قوله تعالى : ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾[٢].

«الاستفسار عندما يكون عند عدم الماء وحبس المطر، ومعناه فى اللغة : طلب السقيا، وفى الشرع ما ثبت عن النبى -صلى الله عليه وسلم- فى صفته من الصلاة والدعاء، والحجر يحتمل أن يكون حجرًا معينًا فتكون اللام للعهد، ويحتمل ألا يكون معينًا فتكون للجنس، وهو أظهر فى المعجزة وأقوى فى الحجة، وقوله (فانفجرت) الفاء مترتبة على محذوف تقديره فضرب فانفجرت، والانفجار : الانشقاق، وانفجر الماء انفجارًا تفتح، والفجرة : موضع تفتح الماء. وقال ابن عطية : ولا خلاف أنه كان حجرًا مربعًا يخرج من كل جهة ثلاث عيون إذا ضربه موسى سالت العيون، وإذا استغنوا عن الماء جفت»[٣].

والشوكانى يهتم بالقراءات والأحاديث الصحيحة وآراء المفسرين السابقين، وخاصة ما كان خادمًا لمعنى الآية دون أن يروى روايات لا طائل من ورائها.

---

[١] الشوكانى : فتح القدير، تحقيق سيد إبراهيم، ج١، ص ٨، ط. دار الحديث.

[٢] سورة البقرة : آية ٦٠.

[٣] الشوكانى : فتح القدير، ج١، ص ١٣٤.

يقول فى تفسير قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1] . «قراءة السبعة بتشديد الياء، وقرأ عمرو بن فايد بتخفيفها مع الكسر، وقرأ الفضل والرقاشى بفتح الهمزة؛ وقرأ أبو السوار الغنوى "هياك" فى الموضعين وهى لغة مشهورة، والضمير المنفصل هو "إيا" وما يلحقه من الكاف والهاء والياء هى حروف لبيان الخطاب والغيبة والتكلم، ولا محل لها من الإعراب كما ذهب الجمهور، وتقديمه على الفعل لقصد الاختصاص، وقيل الاهتمام والصواب أنه لهما ولا تزاحم بين المقضيات. والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بالاستعانة نعبد غيرك ولا نستعينه، والعبادة أقصى غايات الخضوع والتذلل. قال ابن كثير : وفى الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف، وعدل عن الغيبة إلى الخطاب لقصد الالتفات، لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر إيقاظًا له كما تقرر فى علم المعانى»[2].

ويقول الشوكانى فى تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾[3] «هى اللام الموطئة للقسم، وهكذا اللام فى (ولقد علمنا المستأخرين) والمراد من تقدم ولادة وموتًا، ومن تأخر فيهما؛ وقيل : من تقدم طاعة ومن تأخر فيها، وقيل : من تقدم فى صف القتال ومن تأخر؛ وقيل المراد بالمستقدمين الأموات، والمستأخرين الأحياء؛ وقيل : المستقدمون هم الأمم المتقدمون على أمة محمد، والمستأخرون هم أمة محمد، وقيل : المستقدمون من قتل فى الجهاد، والمستأخرون من لم يقتل»[4] .

وهو يجمع بين آراء المتقدمين من المفسرين[5] .

---

[1] سورة الفاتحة : آية ٥.

[2] الشوكانى : فتح القدير، ج١، ص ٢٥.

[3] سورة الحجر : آية ٢٤.

[4] الشوكانى : فتح القدير، ج٣، ص ٨١ .

[5] انظر الشوكانى : فتح القدير، ج٢، ص ٢٣٩ تفسير سورة الأنعام، آية ١٤١.

تفسير روح المعانى

للألوسى

تفسير روح المعانى جامع لآراء السابقين وقف الألوسى من خلاله موقف الناقد المدقق يتحدث عن الصناعة النحوية ويتكلم عن آيات الأحكام ويعتنى بالثروة البلاغية ناقدًا للإسرائيليات يعرض لذكر القراءات والمناسبات بين السور، وكذلك يبين أسباب النزول يتحدث عن ظاهر الآيات ثم يشير إلى التفسير الإشارى ويستطرد إلى الكلام فى الأمور الكونية.

يقول فى تفسير قوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1].

أى حان وقرب أو انقطع وتم، لا يستأخرون عنه ساعة قطعة من الزمان فى غاية القلة، وليس المراد بها الساعة فى مصطلح المنجمين المنقسمة إلى ساعة مستوية وتسمى فلكية، هى زمان مقدار خمس عشرة درجة أبدًا ومعوجة وتسمى زمانية هى زمان مقدار نصف سدس النهار أو الليل أبدًا، ويستهل الأولى أهل الحساب غالبًا، والثانية الفقهاء وأهل الطلاسم ونحوهم وجملة الليل والنهار عندهم أربع وعشرون ساعة أبدًا سواء أكانت الساعة مستوية أم معوجة إلا أن كلاً من الليل والنهار، لا يزيد عن اثنتى عشرة ساعة معوجة أبدًا، ولهذا تطول وتقصر وقد تساوى الساعة المستوية، وذلك عند استواء الليل والنهار والمراد لا يتأخرون أصلاً»[2].

وهو يكثر من الاستشهاد بالشعر على المعانى اللغوية ويتحدث عن النواحى العلمية إلا أنه متزن لا يغرق فيها ويتميز بالإحاطة والعمق والدقة يقول فى تفسير قوله تعالى : ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[3] .

---

(1) سورة الأعراف : آية ٣٣.

(2) الألوسى : روح المعانى، ط دار القومية، ج٨، ص ١٧٢، ١٧٣.

(3) سورة الأعراف : آية ٤.

«قيل : إن المراد بـالهلاك : الخـذلان وعـدم التوفيـق فهـو اسـتعارة، أو مـن إطـلاق المسبب على السبب وإلى هذا يشير كلام ابن عطية وتعقب بأنه اعتزالى، والصواب أن يقال معناه خلقنا فى أهلها الفسق والمخالفة فجاءها بأسنا، وقيل المراد حكمنا بإهلاكها، فجاءها وقيل الفاء تفسيرية نحو توضأ فغسل وجهه.

وقال ابن عصفور : إن المراد : أهلكناها هلاكًا مـن غـير استئصال فجاءهـا هـلاك الاستئصال.

وقال الفراء : الفاء بمعنى الواو أو المراد فظهر مجيىء بأسنا واشتهر.

وقيل : الكلام على القلب وفيه تقديم وتأخير أى "أهلكناهـا بياتًـا أو هـم قـائلون فجاءها بأسنا»[1] .

وهكـذا نجـد أن روح المعـانى كـل مـا قـال علمـاء التفسـير يهتـم الدقـة والـترجيح وتوضيح معنى الآى.

---

[1] الألوسى : روح المعانى، ج٨، ص ٢٨.

تفسير المراغى

أحمد مصطفى المراغى

نهج المراغى نهجًا أشار إليه فى مقدمة تفسيره :

١- ذكر الآيات فى صدر البحث.

٢- شرح المفردات.

٣- المعنى الإجمالى.

٤- أسباب النزول.

٥- الإعراض عن ذكر مصطلحات العلوم «ضربنا صفحًا عن ذكر مصطلحات العلوم: من نحو وصرف وبلاغة وإلى أشباه ذلك مما أدخله المفسرون فى تفاسيرهم»[١].

٦- أسلوب المفسرين «فكان لزامًا علينا أن نلتمس لونًا من التفسير لكتاب الله بأسلوب عصرنا موافقًا لأمزجة أهله، فأساس التخاطب أن لكل مقام مقالاً»[٢].

٧- ميزة العصر الحاضر فى وسائل التفاهم «أهم ما عملت أن أقرأ فى الموضوع الواحد ما كتبه أعلام المفسرين على اختلاف نزعاتهم وتباين أزمنتهم حتى إذا اطمأننت إلى فهم ما قرأت وتمثلته وهضمته كتبته بأسلوب العصر الحاضر»[٣].

٨- تمحيص روايات كتب التفسير :

والمراغى فى تفسيره لا يتعمق ولا يستطرد، بل يأخذ فى بيان معنى الآية ملمًا بما فيها من دلائل عارضًا لها فى أسلوب مهذب العبارة.

---

[١] المراغى : تفسير المراغى، ط مصطفى البابى، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، ج١، ص ١٦.

[٢] المراغى : تفسير المراغى، ج١، ص ١٦.

[٣] المراغى : تفسير المراغى، ج١، ص ١٧.

تفسير المنار

محمد رشيد رضا

كتبه محمد رشيد رضا عقب وفاة الإمام، وهو يعترف بأنه خالف منهج الإمام فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء أكان تفسيرًا لها أم فى حكمها، وفى تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء، وفى الإكثار من شواهد الآيات فى السور المختلفة، وفى بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها بما يثبتهم بهداية دينهم. ونظرًا لكثرة الاستطرادات، فهو يرى أن للقارئ أن يقرأ الفصول الاستطرادية الطويلة وحدها فى غير الوقت الذى يقرأ فيه التفسير، وهو بهذا يوقع القارئ فى ملابسات، إذ يكلفه بأن يقرأ التفسير، وأن يفرق بينه وبين الاستطرادات الطويلة، مما يجعل كثيرًا من الفوائد تفوت القارئ.

«كان قليل الرعاية للسنة وعلومها أو كان على مذهب تفسير القرآن بما يرون من الرأى والاجتهاد فى دائرة قواعد اللغة وإطراح الأحاديث التى تعجز عقولهم عن فهمها ولو كانت صحيحة الإسناد»[1].

---

(١) خالد عبد الرحمن العك : الفرقان والقرآن، ط الحكمة، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ٥٨٥.

تفسير القاسمى

محمد جمال الدين القاسمى

وهو تفسير «أودعه ما صفا من التحقيقات وأوشحه بمباحث هى المهمات وأوضح فيه خزائن الأسرار، وأنقذ فيه نتائج الأفكار وأسوق إليه فوائد التقطتها من تفاسير السلف الغابر، وفوائد عثرت عليها فى غضون الدفاتر وزوائد استنبطها بفكره القاصر. مما قاده الدليل إليه، وقوى اعتماده عليه»[١].

والقاسمى أفاض فى المقدمة ذاكرًا قواعد للتفسير منها قاعدة فى معرفة صحيح التفسير وفوائد الاختلاف وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءة الشاذة وقصص الأنبياء والاستشهاد بالإسرائيليات ويسوق فيه رأى الشافعى يقول : «ما وجد فى كتبهم فهو مغنم كله، وينبغى للإمام أن يدعو من يترجمه، فإن كان علمًا من طب أو غيره لا مكروهًا فيه باعه كما يبيع ما سواه من المغانم وإن كان كتاب شرك شقوا الكتاب فانتفعوا بأوعيته وأدائه فباعها، ولا وجه لتحريقه ولا دفنه قبل أن يعلم ما هو»[٢].

وذكر فوائد المكى المدنى، وإعمال الرأى فى التفسير والسنة متأخرة عن الكتاب والسنة تفصل ما أجمله الكتاب وقاعدة هل فى القرآن مجاز ؟ وهل اللغة أسماء شرعية، وذكر مقاصد التنزيل، وللتفسير أحكام وضروب.

وذكر بديع أسلوب القرآن، وتقسيم السور والآيات، والسبعة أحرف، واختصار القراءات، وجوه التفسير ومراتبه وذكر منها :

١- النظر فى أساليب الكتاب.

٢- الإعراب.

٣- تتبع القصص.

٤- غريبه.

---

(١) القاسمى : تفسير القاسمى، ط دار إحياء الكتب، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م، ج١، ص ٥.

(٢) القاسمى : تفسير القاسمى، ج١، ص ٤٧.

٥- الأحكام الشرعية.

٦- الكلام فى أصول العقائد.

٧- المواعظ.

٨- الإشارة.

ولا يتم التفسير إلا بأمور هى :

١- فهم حقائق الألفاظ المفردة.

٢- الأساليب.

٣- علم أحوال البشر.

٤- العلم بوجه هداية البشر.

٥- العلم بسيرة النبى.

وفصل فى بيان دقائق المسائل العلمية الفلكية الواردة فى القرآن. والصواب فى الصفات مذهب السلف.

تفسير القرآن الكريم

لمحمود شلتوت

فى هذا التفسير رسم لنفسه مرحلتين :

- «المرحلة الأولى : أنه يعقب على ما كان للمتقدمين من آراء وهو سائر فى طريقه لاستخلاص المعانى التى يرشد إليها الكتاب الكريم، بعد أن يوضح هذه الآراء ويبين بعد كثيرًا منها عن أن يكون مصورًا لما يقصده الله جل شأنه فى كتابه العزيز»[١].

«المرحلة الثانية : بعد أن يعقب على آراء المفسرين، وخصوصًا أولئك الذين تأثروا فى تفسيرهم بجزية خاصة، أو بعصبية لمذهب معين أو عقيدة معينة يضع القارئ أمام المعنى المقصود من القرآن وجهًا لوجه، وبذلك يصل بين ما لله فى كتابه وبين ما للإنسان فى قلبه من إيمان بهذا الكتاب»[٢].

وأما منهج هذا التفسير :

فأولاً : جعل السورة وحدة واحدة يوضح مراميها وأهدافها.

ثانيًا : عدم إقحام غير القرآن على القرآن من رأى خارج عنه أو مصطلح انتزع من مصدر آخر، فجعل كلمات القرآن يفسر بعضها بعضًا.

ثالثًا : كان فى منهجه التعقيب على آراء المفسرين السابقين.

وعن التفسير العلمى يقول : «هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك؛ لأن الله لم ينزل القرآن كتابًا يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف. وهى خاطئة من غير شك لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلاً متكلف يتنافى مع الإعجاز ولا يسيغه الذوق السليم. وهى خاطئة؛ لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم فى كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا

---

[١] محمود شلتوت : تفسير القرآن العظيم، ط دار القلم، ج١، ص ٦.

[٢] محمد شلتوت : تفسير القرآن العظيم، ج١، ص ٧.

الرأى الأخير، فقد يصح اليوم فى نظر العلم ما يصبح غدًا من الخرافات»[١] .

وفى أثناء تفسيره حين تعرض لقصة البقرة ذكـر أن بقايـا تلـك القصـة فـى التـوراة ورجع لنص التوراة ونقله كاملاً[٢].

---

[١] محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم، ج١، ص ٢١.

[٢] محمد شلتوت : تفسير القرآن الكريم، ج١، ص ٥٠.

التفسير الحديث

محمد عزة دروز

يتناول فيه تفسير القرآن الكريم حسب نزول السور وكان منهجه :

١- تجزئة المجموعات والفصول إلى جمل تامة، يصح الوقوف عندها من حيث المعنى والنظم والسياق، وقد تكون الجملة آية واحدة أو آيات قليلة أو سلسلة طويلة من الآيات.

٢- شرح الكلمات والتعابير الغريبة وغير الدارجة كثيرًا، بإيجاز ودون تعمق.

٣- شرح مدلول الجملة شرحًا إجماليًا، حسب المقتضى المتبادر بأداء بيانى واضح.

٤- إشارة موجزة إلى ما روى فى مناسبة نزول الآيات أو فى صدرها وما قبل فى مدلولها وأحكامها.

٥- تجلية ما تحتويه الجملة من أحكام ومبادئ وأهداف وتلقينات وتوجيهات تشريعية وأخلاقية واجتماعية وروحية. يقول : «وملاحظة مقتضيات تطور الحياة والمفاهيم البشرية، وهذه نقطة أساسية وجوهرية فى تفسيرنا»[1].

٦- تجليه ما تحتويه الجملة من صور ومشاهد عن السيرة النبوية والبيئة النبوية لأن هذا يساعد على تفهم ظروف الدعوة وسيرها.

٧- التنبه على الجمل والفصول والوسائل التدعيمية [يقصد بها ما أريد به تدعيم الرسالة القرآنية ومبادئها المحكمة مثل : القصصة ومشاهد الحياة الأخروية والجن والملائكة وبدء الخلق ومشاهد الكون ونواميسه].

٨- الاهتمام لبيان ما بين آيات وفصول السور من ترابط.

٩- الاستعانة بالألفاظ والتراكيب والجمل القرآنية، وشرح الكلمات والمدلولات.

يقول : «ولقد رأينا أن نجعل ترتيب التفسير وفق ترتيب نزول السورة، بحيث تكون أولى السور المفسرة سورة العلق، ثم القلم، ثم المزمل، إلى أن تنتهى السور المكية ثم سورة

---

[1] محمد عزة دروز : التفسير الحديث، ط عيسى البابى ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م، ج١، ص ٦.

البقرة فسورة الأنفال إلى أن تنتهى السور المدنية لأننا رأينا هذا يتسق مع المنهج الذى اعتقدنا أنه الأفضل لفهم القرآن وخدمته. إذ بذلك يمكن متابعة السيرة النبوية زمنًا بعد زمن كما يمكن متابعة أطوار التنزيل ومراحله بشكل أوضح وأدق»[1].

وهو يدعم الآيات بجوانب من السيرة النبوية، ويعلق على الآيات بما يناسبها ويتحدث عن مقدمة قبل تفسير كل سورة، ويعترف فى مقدمة تفسيره بأنه قد قدَّم تفسير بعض السور على بعض ليتناسب المعنى مع تأخيرها عنها فى النزول.

---

[1] محمد عزة دروزة : التفسير الحديث، ج١، ص ٨.

الفصل الرابع

ثقافة المفسر عند المحدثين

لم تتخذ ثقافة المفسر من حيث شكل التأليف اتجاهًا مغايرًا عن القدماء، ففى العصر الحديث نجد كتبًا تتناول موضوعًا واحدًا وكتبًا تتناول موضوعات عدة، وهى فى هذا إما ناقلة عن القدماء وميسرة لها، وإما ناقدة لما كتب القدماء.

ومن الكتب التى تناولت موضوعًا واحدًا نجد فى أسباب النزول كتابًا لعبد الفتاح القاضى ذاكرًا فيها ما كان من أسباب النزول صحيح السند.

وفى أسماء القرآن : نجد أسماء القرآن فى القرآن لمحمد جميل غازى يعرض فيها أسماء القرآن التى وردت فى القرآن الكريم ويبين عددها والسور التى ذكرت فيها ومعناها اللغوى.

وفى الترتيب : نجد الترتيب الموضوعى لأحمد إبراهيم ومحمد كامل عبد الرحيم، ولسلامة محمد كتاب يسمى ترتيب زيبا.

والأول يقدم عرضًا لترتيب جول لايوم ونقده والثانى والثالث يرتب الآيات تبعًا للموضوعات.

وفى أسمائه نجد : أسماء القرآن فى القرآن محمد جميل أحمد غازى.

وفى الغريب : نجد قاموس غريب القرآن حسب ترتيب السور لمحمد صادق قمحاوى، وهو رسالة صغيرة.

وفى القراءات نجد : الإرشادات الجلية فى القراءات السبع من طريق الشاطبية لمحمد محمد سالم، ومعجم القراءات القرآنية لأحمد مختار عمرو عبد العال مكرم[1].

وفى الوحى : نجد الوحى المحمدى لمحمد رشيد رضا يعرض فيها للوحى ومفهومه وإعجازه.

وفى الإعجاز : نجد إعجاز القرآن للرافعى والتصوير الفنى لسيد قطب.

وفى رسم المصحف : نجد رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات لعبد الفتاح إسماعيل شلبى.

---

(١) يعرض فيه لرقم الآية ونصها وأوجه القراءة والقارئ والمصدر فى جدول منظم.

وفى النسخ: نجد الناسخ والمنسوخ فـى القـرآن الكريـم لمصطفـى زيـد، «وهـو مـن أحسن الكتب التى ألفت فى ناسخ القـرآن ومنسـوخه، حيـث عـالج فيـه المؤلـف القضايـا الثلاث لمسألة النسخ، من الناحية التشريعية، والتاريخية والنقدية، وهذه القضايا لم يتعرض لها إلا القليل ممن كتبوا فى هذه المسألة»[1].

ومن الكتب الثقافية التى تناولت ثقافة المفسـر نجد القـرآن لمحمـد صبيـح، والقـرآن لمحمود الحصرى، والقرآن لأحمد بن محمد طاحون، ومن علوم القرآن لعبد الفتـاح القـاضى، ومن أحكام القرآن وعلومه لجاد الحق على جاد الحق، والبيـان المبـين فـى علـوم كتـاب الله رب العالمين لمحمود عبد الحليم الرفـاعى. وقـد عرضـت لهـذه العلـوم بهـدف التعريـف بهـا ونشرها ليستفيد بها القارئ.

وقد شغف الكثيرون بهذه العلوم وكتبوا فيها، ولكنهم مالوا إلى النقل عـن القدمـاء وتجميع آرائهم[2] .

وقد غلب على المؤلفات الحديثة :

١- تخير موضوعات من هذه العلوم ومناقشتها.

٢- لم نجد مؤلفًا واحدًا موسوعيًا فـى العصـر الحديـث يتنـاول جميـع العلـوم مثلمـا فعـل الزركشى والسيوطى.

٣- أضاف المحدثون موضوعات لم تكن فى كتب القدماء من ذلك "عبد الفتاح أبـو سنة" فقد أشار إلى تعدد الزوجات من منظور يهـودى ومسيحى وإسـلامى، "وفـؤاد علـى رضا" ناقش القرآن وأهل الكتب السماوية.

---

[1] شعبان محمد إسماعيل : نظرية النسخ فى الشرائع السماوية، ط مطابع الدجوى، رقم الإيداع ٣٠٥٨ / ١٩٧٧م.

[2] انظر عبد الغفور محمود : بحوث فى علوم القرآن، وعبد الرحمن مهدى : مباحث فى القرآن الكريم والحديـث، وجودة محمـد المهدى : ثمار الجنان فى أفنان علوم القرآن، وعبد الرحمن على حواس : بديع البيان فى علوم القـرآن، وعلـى فكـرى : القـرآن الكريم ينبوع العلوم والعرفان، والحسينى أبو فرحة : مأدبة الله (دراسات فى علوم القرآن) ومحمـد حسـين الذهبى : الوحـى والقرآن الكريم، ومحمد بكر إسماعيل : دراسات فى علوم القرآن، وعبد الحميد إبراهيم سرحان : الوحى والقرآن، ومحمد عبد المنعم النمر : علوم القرآن الكريم، وفؤاد على رضا : من علوم القرآن، وعبد الفتاح أبو سنة : علوم القرآن، والقصبى محمـود زلط: مباحث فى علوم القرآن، ونور الدين عتر : علـوم القـرآن الكريـم، وقصة التفسـير لأحمـد الشـرباصى، ومحمـد إبراهيـم الحفناوى : دراسات فى القرآن، والقرآن نظرة عصرية.

٤- كان التصدئ للمستشرقين من الموضوعات التى قلما يخلو منها كتاب.

٥- يعد كتاب صبحى الصالح من أشمل الكتب وأوسطها فى النقد والتحليل.

٦- عرض محمد عبد الله دراز جانبًا تطبيقيًا فى فهم الآيات.

وسوف نعرض بالتفصيل لكتاب الزرقانى ومحمد عبد الله دراز وصبحى الصالح والسيد أحمد خليل.

المبحث الأول

مناهل العرفان فى علوم القرآن

محمد عبد العظيم الزرقانى

تحدث عن العلوم من خلال سبعة عشر مبحثًا بأسلوب سلس مضمنًا الكتاب رد شبهات المستشرقين فى كل مبحث يتناوله، فقد تناول معنى القرآن وتاريخ علومه ونزوله وأول ما نزل وآخره وأسباب النزول والأحرف السبعة والمكى والمدنى وجمع القرآن وترتيب آيات القرآن وسوره وكتابة القرآن ورسمه ومصاحفه والقراءات والقراء والتفسير والمفسرين وترجمة القرآن والنسخ والمحكم والمتشابه وأسلوب القرآن وإعجازه.

وعن أول ظهور الاصطلاح -علوم القرآن- يقول : «ولقد كان المعروف لدى الكاتبين فى هذا الفن، أن أول عهد ظهر فيه هذا الاصطلاح، أى اصطلاح علوم القرآن هو القرن السابع.

لكن ظفرت فى دار الكتب المصرية بكتاب لعلى بن إبراهيم بن سعيد الشهير بالحوفى المتوفى سنة ٣٣٠هـ "اسمه البرهان فى علوم القرآن" وهو يقع فى ثلاثين مجلدًا، غير مرتبة ولا متعاقبة، والموجود منه الآن خمسة عشر مجلدًا، وإذن نستطيع أن نتقدم بتاريخ هذا الفن نحو قرنين من الزمان أى إلى بداية القرن الخامس بدلاً من السابع»[(١)].

والحقيقة أن بداية هذا الاصطلاح فى القرن الثانى الهجرى، دليل ذلك ما رواه الرازى فى كتاب مناقب الشافعى أيام المحنة ومقابلته للرشيد وسؤاله للشافعى عن علمه بكتاب الله.

يقول الرازى : «قال كيف علمك بكتاب الله تعالى ؟ فإنه أولى الأشياء أن يبتدأ به؟ فقال الشافعى : (عن أى كتاب الله تسألنى. فإن الله تعالى أنزل كتبًا كثيرة على الأنبياء؟ إن الله تعالى أنزل مائة وأربعة من الكتب، أنزل على آدم خمسين صحيفة، وعلى شيث عشرين، وعلى إدريس عشرين، وعلى إبراهيم عشر، وأنزل التوراة على موسى،

(١) محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان فى علوم القرآن، ط دار إحياء الكتب - فيصل عيسى البابى، ج١، ص ٣٤، ٣٥.

والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والقرآن على محمد -صلى الله عليه وسلم- وجمع الله في القرآن كل ما في سائر الكتب، قال الله تعالى : ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1] وقال : ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾[2].

فقال الرشيد : أحسنت في تفصيلك، ولكني ما سألت إلا عن كتاب الله المنزل، على ابن عمي وعمك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال الشافعي : إن علوم القرآن كثيرة، تسألني عن محكمه أو متشابهه ؟ وعن تقديمه أو تأخيره؟ وعن ناسخه أو منسوخه؟ أو عما ثبت حكمه وارتفعت تلاوته، أو عما ثبتت تلاوته وارتفع حكمه؟ أو عما ضربه الله مثلاً ؟ أو عما جعله الله اعتبارًا ؟ أو عن أخباره ؟ أو عن أحكامه ؟ أو عن مكيه أو مدنيه؟ أو ليله أو نهاريه؟ أو سفريه أو حضريه ؟ أو تنسيق وضعه، أو تسوية سوره ؟ أو نظائره؟ وإعرابه؟ أو وجوه قراءاته ؟ أو عدد حروفه ؟ أو معاني لغاته ؟ أو عدد آياته ؟

قال : وما زال الشافعي يعدد هذه العلوم، حتى عد ثلاثة وسبعين نوعًا من أنواع علوم القرآن»[3].

ويدعم هذا الرأي كتاب الرسالة للشافعي، فقد حوى فصولاً من علوم القرآن.

وعن تقريب فكرة الوحي للواقع العلمي يستدل بتجربة عملية وعلمية، وهي تجربة التنويم المغناطيسي يقول : «وعند تسلط الملك على الرسول ينسلخ الرسول عن حالته العادية، ويظهر أثر التغيير عليه، ويستغرق في الأخذ والتلقي عن الملك، وينطبع ما تلقاه في نفسه، حتى إذا انجلى عنه الوحي وعاد إلى حالته الأولى، وجد ما تلقاه ماثلاً في نفسه، حاضرًا في قلبه، كأنما كتب في صحيفة فؤاده كتابًا»[4].

ولا تشابه بين الفكرتين، ففي حالة التنويم المغناطيسي يكون الشخص الأول قويًا والثاني (الوسيط) ضعيف النفس. وغرض التنويم المغناطيسي مخالف لمهمة الرسول وغرضه

---

[1] سورة النحل : آية ٨٩.

[2] سورة هود : آية ١.

[3] فخر الدين الرازي : مناقب الإمام الشافعي، ط دار الجيل - بيروت، ص ٧١، ٧٢.

[4] الزرقاني : مناهل العرفان، ج١، ص ٦٩.

والملك ليس أستاذًا، والرسول ليس وسيطًا، ومهمة الرسول التبليغ ليست بحاجة إلى انسلاخه من حالته العادية.

ويسوق أدلة مادية تعد معجزات وصدقها العقل البشرى كاختراع الهاتف واللاسلكى ومكبر الصوت والمذياع والبريد المصور وعجائب الحيوان والعبقرية والإلهام الشعرى، وهى أشياء صدقها العقل فكيف لا يصدق فكرة الوحى.

وفى مبحثه عن التفسير والمفسرين يعرض للعلوم التى يحتاج إليها المفسر وعقب ذكره علوم القدماء يذكر رأى الإمام محمد عبده، إذ يرى أن المرتبة العليا للتفسير لا تتم إلا بأمور :

أحدها : فهم حقائق الألفاظ المفردة وعدم الاكتفاء بأقوال القدماء.

ثانيها : الأساليب وفهم هذه الأساليب عن طريق ممارسة الكلام البليغ.

ثالثها : علم أحوال البشر.

رابعها : العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن، وهو يوجب على المفسر العلم بما كان عليه الناس فى عصر النبوة من شقاء وضلال.

خامسها : العلم بسيرة النبى وأصحابه.

ويتحدث عن مزج العلوم الأدبية والكونية وغيرها بالتفسير ويعلل هذا قائلاً : «ومعلوم أن المفسر لا يفسر لنفسه، إنما يفسر للناس، فكان من الواجب أن يساير أفكارهم، ويشرح ألفاظ القرآن فى الظواهر الطبيعية والعلمية، وسنن الله الكونية، وقوانين الاجتماع والسياسة، وقواعد الاقتصاد والأخلاق، وسائر التشريعات الشخصية والمدنية والجنائية والحربية، نقول : يجب على المفسر أن يشرح ألفاظ القرآن فى ذلك كله، وهو يشبهه، بالطريقة العلمية المألوفة لهم، وبالأفكار الغالبة عليهم الملائمة لأذواقهم»[1].

وتلك النظرة إلى التفسير تطور ناتج عن تأثره برأى الإمام السابق وبآراء طنطاوى جوهرى الذى أشار إليه فى كتابه.

---

[1] الزرقانى : مناهل العرفان، ج٢، ص ٩٩.

وفى المبحث الثالث عشر يتحدث فى ترجمة القرآن وحكمها تفصيلاً ويتناول أهمية المبحث ومعنى الترجمة لغة واصطلاحًا وشروط الترجمة والمترجم والغرض من ترجمة القرآن وحكمها :

١- ترجمة القرآن بمعنى تبليغ ألفاظه وحكمها حينئذ أنها جائزة شرعًا.

٢- ترجمة القرآن بمعنى تفسيره بلغته العربية، وهو جائز.

٣- ترجمة القرآن بمعنى تفسيره بلغة أجنبية يقول : «وإذا كان تفسير القرآن بيانًا لمراد الله بقدر الطاقة البشرية، فهو بيان يستوى فيه ما كان بلغة العرب وما ليس بلغة العرب، لأن كلاً منهما مقدور للبشر، وكلاً منهما يحتاجه البشر، بيد أنه لابد من أمرين : أن يستوفى هذا النوع شروط التفسير باعتباره تفسيرًا، وأن يستوفى شروط الترجمة باعتبارها نقلاً لما يمكن من معانى اللفظ العربى بلغة غير عربية»[1].

ويبدو أن حاجة العصر قد أدت بالزرقانى إلى تناول هذا المبحث فى علوم القرآن وإضافته إلى مباحثه.

---

[1] الزرقانى : مناهل العرفان، ج٢، ص ١٣٣.

المبحث الثانى

النبــأ العظيــم

نظرات جديدة فى القرآن

محمد عبد الله دراز

يبدأ كتابه بالحديث عن المعنى اللغوى والاشتقاقى لكلمتى القرآن والكتاب وعن سر هذه التسمية يقول : «وفى تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه فى موضعين لا فى موضع واحد، أعنى أنه يجب حفظه فى الصدور والسطور جميعًا»[1].

وعن تحديد القرآن بالمعنى المنطقى يقول : «ولما كان القرآن بهذا المعنى الأسمى جزئيًا حقيقيًا؛ كان من المتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص، وذلك شأن كل الجزئيات الحقيقية لا يمكن تحديدها بهذا الوجه».

وعن بيان مصدر القرآن يرى أن محمد تلقاه من جبريل وعلمه بعد ذلك :

١- الوعى والحفظ.

٢- الحكاية والتبليغ.

٣- البيان والتفسير.

٤- التطبيق والتنفيذ.

ويدلل على أن الرسول لم يأت بالقرآن من تلقاء نفسه بحوادث منها :

أ- حديث الإفك وإبطاء الوحى.

ب- كان يرى رأيًا فيخطئه الوحى كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾[2].

---

[1] محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم، ط دار العلم، الطبعة الرابعة، ١٩٧٧م، ص ١٣.

[2] سورة التحريم : آية (١).

ويقول : «ولقد كان يجيئه الأمر أحيانًا بالقول المجمل أو الأمر المشكل الذى لا يستبين هو ولا أصحابه تأويله حتى ينزل الله عليهم بيانه بعد»[١].

ويؤكد على أن القرآن من عند الله فيقول : «ففى القرآن جانب كبير من المعانى النقلية البحتة التى لا مجال فيها للذكاء والاستنباط، ولا سبيل إلى علمها لمن غاب عنها إلا بالدراسة والتلقى والتعلم، كما أن تفاصيل الأمم السابقة لم يكن للنبى علم بها»[٢].

وعن ظاهرة الوحى وما أثير حولها من شبهات يعلق قائلاً : «ثم نرى المباينة التامة والمناقضة الكلية بينها وبين تلك الأعراض المرضية، والنوبات العصبية، التى تصفر فيها الوجوه وتبرد الأطراف وتصطك الأسنان، وتنكشف العورات ويحتجب نور العقل، ويخيم ظلام الجهل، لأنها كانت لما علمت مبعث نمو فى قوة البدن وإشراق فى اللون، وارتفاع فى درجة الحرارة، وكانت إلى جانب ذلك مبعث نور لا ظلمة، ومصدر علم لا جهالة»[٣].

وهو هنا يرد على شبهات المستشرقين إزاء ظاهرة الوحى ودعاويهم الكاذبة. ويبدو واضحًا أن مناقشة مثل هذه القضايا أدت بالرجل إلى الرد عليهم فى كتابه.

ويتحدث عن القرآن ومعجزته اللغوية ويتحدث عن أسلوب القرآن وجماله التوقيعى فى توزيع الحركات والسكنات والجمال التنسيقى فى رصف حروف وتأليفها. ويوضح الخصائص البيانية للقرآن وأن به القصد فى اللفظ والوفاء بالمعنى وبه خطاب العامة والخاصة وبه إقناع العقل وإمتاع العاطفة.

يقول : «قلنا إن القرآن الكريم يستثمر دائمًا برفق أقل ما يمكن من اللفظ فى توليد أكثر ما يمكن من المعانى. أجل، تلك ظاهرة بارزة فيه كله يستوى فيها، مواضع إجماله التى يسميها الناس مقام الإيجاز، ومواضع تفضيله التى يسمونها مقام الإطناب، وذلك نسميه إيجازًا كله لأننا نراه فى كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد، ولا يميل إلى الإسراف

---

[١] محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم، ص ٢٨.

[٢] محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم، ص ٣٦.

[٣] محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم، ص ٧٢.

ميلاً ما ونرى أن مراميه فى كلا المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر والحلى بأقل من ألفاظه ولا ما يساويها»[١].

وهو بهذا يقر أن القرآن كله إيجاز، ويقر أيضًا أن القرآن ليس فيه كلمة مقحمة ولا حرف زائد زيادة معنوية.

وهو يدعو إلى النظر لكل سورة من كتاب الله إذ لا يكتمل تزين السورة إلا بعد تمام نزولها، يقول : «إن السياسة الرشيدة فى دراسة النسق القرآنى تقضى بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدم الناظر إلى البحث فى الصلات الموضوعية بين جزء جزء منه إلا بعد أن يحكم النظر فى السورة كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها»[٢].

وهو يرفض طريقة الباحثين فى علم المناسبة فيقول : «وبهذا نعرف مبلغ الخطأ الذى يتعرض له الناظرون فى المناسبات بين الآيات حين يعكفون على بحث تلك الصلات الجزئية بينها بنظر قريب إلى القضيتين أو القضايا المتجاورة، غاضين أبصارهم عن هذا النظام الكلى الذى وضعت عليه السورة فى جملتها»[٣].

وعن عيوب دراسة القدماء للمناسبة يقول : «وكلمة أخرى وهى أن يعلم أن الصلة بين الجزء والجزء لا تعنى اتحادهما أو تماثلهما أو تداخلهما أو ما إلى ذلك من الصلات الجنسية حسب، كما ظنه بعض الباحثين فى المناسبات، فجعل فريقًا منهم يذهب إلى محاولة هذا النوع من الاتصال مذاهب من التكلف والتعسف وفريقًا آخر لم يجد هذه الصلة من وجه قريب أسرع إلى القول بأن فى الموضوع اقتضابًا محضًا، جريًا على عادة العرب فى الاقتضاب إلا أن هذا الرأى بشعبتيه لأوغل فى الخط أم سابقه، وأن الأخذ به على علاته من القرآن لغفلة شديدة عن مستوى البلاغة التى تميز بها القرآن عن سائر الكلام»[٤].

---

[١] محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم، ص ١٢٧ : ١٣٠.

[٢] محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم، ص ١٥٨.

[٣] محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم، ص ١٥٩.

[٤] محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم، ص ١٦٠.

ويعرض لسورة البقرة والمعانى التى تضمهـا، فيقسـمها إلى مقدمـة وأربعـة مقـاصد وخاتمة :

١- المقدمة والتعريف بالقرآن ودعوة الناس إلى اعتناق الإسلام.

٢- دعوة أهل الكتاب لترك باطلهم.

٣- غرض شرائع الدين.

٤- الوازع والنازع الدينى الذى يبحث على ملازمة الشرائع.

٥- الخاتمة التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة وبيان ما يرجى لهم.

ويحلل ما سبق ويبين عدد آيات كل نوع، وتلك نظرة جديدة فى دراسة العلاقـات بين الآيات وطريقة من طرق المناسبة مخالفة للقدماء فى نظرتهم ويبدو أن سورة البقـرة هـى أول ما طالع الكاتب، وكان من المرجو أن يعطـى مثـالاً آخـر لسـور القـرآن وبيـان نظرتـه للمعانى المختلفة التى ينتظمها القرآن فى كل سورة من سوره.

المبحث الثالث

مباحث في علوم القرآن

صبحي الصالح

يتحدث عن القرآن ومواد اشتقاق أسمائه، فيذكر القرآن والكتاب والفرقان والذكر والتنزيل ويقول : «وهذه الأسماء هي الشائعة المشهورة، غير أن بعضهم بالغ في تعداد ألقاب القرآن، حتى ذكر منها الزركشي خمسة وخمسين نقلاً عن القاضي شيذلة، ولا ريب أنه خلط بين التسمية والوصف»[1].

ويتحدث عن ظاهرة الوحي في القرآن واختلافها مع مفهوم قاموس الكتاب المقدس يقول : «ولقد يكون مؤسفًا لنا أن نقع في قاموس الكتاب المقدس على تفسير للوحي يختلف اختلافًا جوهريًا عن تفسيره الجامع الموحد، إذ الوحي في هذا القاموس هو حلول روح الله في روح الكتّاب الملهمين لإطلاعهم على الحقائق الروحية والأخبار الغيبية من غير أن يفقد هؤلاء الكتاب بالوحي شيئًا من شخصياتهم، فلكل منهم نمطه في التأليف وأسلوبه في التعبير»[2].

ويعرض لصورتي الوحي اللتين كانتا تنزلان على الرسول، ويؤكد بنماذج من القرآن أن الرسول إنسان ضعيف بين يدي ربه يستهديه ويستغفره ويصدع لأوامره ويتلقى العتاب ويعرض لأمثلة انقطاع الوحي وحاجة الرسول إليه ويقول : «فقد آثرنا أن نعالج ظاهرة الوحي المعجز بمثل ما عالجها به القرآن من التأثير المقنع، فلجأنا إلى الزاوية النفسية، ودرسنا من خلالها الفرق العظيم بين ذات الخالق وشخصية المخلوق، وبين صنعة الخالق وصنعة المخلوق، وتجنبنا التعقيد والجدل العقيم، وحاولنا ألا نقرب حقائق الغيب العليا بما يعرفه الناس عن "التنويم المغناطيسي" وتسجيل الأصوات على الأشرطة وإذاعتها أو نقلها عن طريق الهاتف واللاسلكي، وظننا أن لا جدوى من هذه الأشياء، وأنها ليست هي طريق الإيمان»[3].

---

[1] صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن، ط دار العلم، الطبعة الرابعة - بيروت، ص ٢١.

[2] صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن، ص ٢٥.

[3] صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن، ص ٤٧.

وعن تنجيم القرآن وأسراره يرفض الرأى القائل : إن للقرآن تنزلات ثلاثة يقول : «ولسنا نميل إلى الرأى القائل : إن للقرآن تنزلات ثلاثة، الأول: إلى اللوح المحفوظ، والثانى: إلى بيت العزة فى السماء الدنيا، والثالث: تفريقه منجمًا بحسب الحوادث، وإن كانت أسانيد هذا الرأى كلها صحيحة، لأن هذه التنزلات المذكورة من عالم الغيب الذى لا يؤخذ فيه إلا بما تواتر يقينًا فى الكتاب والسنة، فصحة الأسانيد فى هذا القول لا تكفى وحدها لوجوب اعتقاده، فكيف وقد نطق القرآن بخلافه ؟!»[١] .

ويشير إلى اعتراض المشركين الذين ودوا لو نزل كله مرة واحدة، وعن أسرار نزوله منجمًا يذكر حكمتين الأولى : هى تجارب الوحى مع الرسول لتثبيت فؤاده بما يتجدد نزوله مع القرآن وتيسير حفظه، والحكمة الثانية هى تجاوبه مع المؤمنين، وذلك رعاية لحال المخاطبين وتلبية لحاجات مجتمعهم الجديد وعدم مفاجأتهم بتشريع جديد.

ويتحدث عن جمع القرآن وحفظه فى عهد الصحابة والخلفاء الراشدين ودور عثمان فى نسخ المصاحف وتطور المصحف العثمانى والأحرف السبعة.

وعن أسباب النزول يشير إلى خطأ تاريخى وقع فيه الواحدى فيقول : «يقرأ الواحدى مثلاً قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢] ، فلا يستنتج منه أنه وعيد عام مطلق للذين يستهينون بالمعابد، ويعطلون الشعائر، وينتهكون الحرمات، ويسعون فى خراب بيوت الله، بل يقع فى خطأ تاريخى فاحش لو كان متعلقًا بشخصه هو لهان أمره، ولكنه يحمله حملاً على نص فى كتاب الله، فمن عجب أن الواحدى لم يتحرج هنا من أن يذكر رأى قتادة الذى قال : إن الآية نزلت فى بختنصر البابلى وأصحابه، فقد غزوا اليهود، وخربوا بيت المقدس، وأعانهم على ذلك النصارى من الزوم، فيذكر اتحاد النصارى مع بختنصر على تخريب بيت المقدس مع أن حادثة بختنصر هذه وقعت قبل ميلاد المسيح بست مائة وثلاث وثلاثين سنة»[٣].

---

[١] صبحى الصالح : مباحث فى علوم القرآ، ص ٥١.

[٢] سورة البقرة : آية ١١٤.

[٣] صبحى الصالح : مباحث فى علوم القرآن، ص ١٣٧.

ويذكر هذا الرأى ابن جرير، ويرى صبحى الصالح أن الآية تحمل على قسم نزل ابتداء من غير أسباب بدلاً من التخبط فى أسباب النزول.

وعن المكي والمدنى والاختلاف فى تفسير لفظة العمر وتخرصات المستشرقين يقول: «لا مفر إذن من مجابهة أولئك المستشرقين، مغالطيهم ومتجاهليهم، بأن الله بعث نبيه حقًا على رأس الأربعين، من غير استناد إلى تفسير "العمر" فى الآية، ومن غير تأثر بعقائد الساميين فى هذا الرقم العجيب، بل اعتمادًا على ما نطقت به الروايات الصحيحة المشهورة التى كادت تبلغ حد التواتر»[١].

وعن حاجة هذا العلم إلى التمحيص والتحقيق يقول : «ولعلنا لا نرتاب إذا وضعنا العلوم القرآنية موضع الموازنة، فى أن العلم بالمكى والمدنى أحوجها إلى تمحيص الروايات، وتحقيق النصوص، والتحاكم إلى التاريخ الصحيح»[٢].

وذلك لأنه يشمل كل سور القرآن وآياته وبحوث هذا العلم أشتاتًا، فهو ترتيب زمانى ومكانى، وتبويب موضوعى، وتعيين شخصى، ويشير إلى محاولات المستشرقين فى ترتيب القرآن ترتيبًا زمنيًا ويرى أن ترجمة بلاشير أدق. يقول : «وتظل ترجمة بلاشير للقرآن فى نظرنا أدق الترجمات للروح العلمى الذى يسودها، لا يغض من قيمتها إلا الترتيب الزمنى للسور القرآنية بطريقة يعترف بلاشير نفسه بأنها لا تخلو من تعسف فى إطلاق الأحكام»[٣].

ويشير إلى المرحلة المكية والمدنية وخصائص كل منها وسور مكية ويحللها وتلك طريقة من طرق التفسير امتاز بها الكتاب، وكذلك إشارته إلى السور المدنية، ويقول : «أما نحن فلا نرتاب فى أن الرواية الصحيحة هى الطريقة الوحيدة إلى ترتيب القرآن أمثل ترتيب زمنى وأصلحه وأدقه» ومن الممكن الاعتماد على النص ذاته، بالإضافة إلى الرواية ليزداد الوثوق بالتحديد التاريخى والزمنى فى معرفة المكى والمدنى دون التخبط فى نقل الروايات.

---

[١] صبحى الصالح : مباحث فى علوم القرآ، ص ١٦٦.

[٢] صبحى الصالح : مباحث فى علوم القرآن، ص ١٦٧.

[٣] صبحى الصالح : مباحث فى علوم القرآن، ص ١٧٧.

وعن فواتح السور وأسرارها يتخير رأى محمد رشيد رضا مـن أن التنبيـه كـان أولاً وللمشركين ثم لأهل الكتاب فى المدينة، يقول: «ومن المعلوم أن هذه السور كلها مكية إلا البقرة وآل عمران. فأما المكية فلدعوة المشركين إلى إثبات النبوة والوحى، وأمـا الزهـراوان المدنيتان فلمجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن»[١].

ولم يغفل الحديث عن القراءات والقراء السبعة، والناسـخ والمنسـوخ كـان موضحًا بكتابه إذا عرض النسخ لغة واصطلاحًا وبين ضروبه وفرق بين النسـخ والمخصـوص، وعـن الرسم القرآنى وما أثير حوله يرى أن يكتب بالاصطلاحات الشـائعة، وهـذا لا يعنـى إلغـاء الرسم العثمانى القديـم، ومـن الممكـن كتابـة الألفـاظ المخالفـة فـى ذيـل كـل صفحـة مـن صفحات المصحف.

وعن المحكم والمتشابه يعرض آراء القدماء يعرضها ويذكر فائدتها.

وعن التفسير يوضح نشأته وأن النبى أول مفسـر ثـم الصحابـة والتـابعين والتفسـير المأثور ورجاله والتفسير بالرأى وشروطه وتفاسير الفرق الإسلامية، وعن التفسير فى العصر الحديث يقول : «وأقلهـا نصيبًـا مـن النجـاح -بـلا ريـب- "الجواهـر فـى تفسـير القـرآن" لطنطاوى جوهرى، فإن فى تفسيره كل شىء ماعدا التفسير»[٢].

وعن تفسير المنار يرى أنه يوفق بين أقوال السلف ومقتضيات العصر الحاضر.

وعن سيد قطب فى تفسيره "ظلال القـرآن" يـرى أنـه لمحـات موفقـة إلا أن غرضـه تبسيط المبادئ القرآنية للنشء.

ويعـرض للحديـث عـن القـرآن يفسـر بعضـه بعضًـا، وفيـه ينـاقش قضايـا أصوليـة كالمنطوق والمفهوم والعام والخاص والمجمل والمبين والنص والظاهر.

وعـن إعجـاز القـرآن يذكـر جهـود الجـاحظ وعبـد القـاهر الجرجـانى والرمـانى والباقلانى وفى العصر الحديث محمد عبده ومحمـد رشـيد رضـا ومصطفـى صـادق الرافعـى وسيد قطب.

---

[١] صبحى الصالح : مباحث فى علوم القرآن، ص ٢٤٥.

[٢] صبحى الصالح : مباحث فى علوم القرآن، ص ٢٩٧.

يقول : «وإنما كان حرص الرافعي على الأصل اللغوى فى الإعجاز، والتزامه له وعنايته به، لأنه كان آخذًا نفسه بالكشف عن أسرار النظم الموسيقى فى القرآن»[١].

ويقول عن سيد قطب : «وقد نحا سيد قطب فى دراسته للقرآن منحى آخر، فلم تكن مفردات القرآن وحدها شاغلة له بموسيقاها، ولا تراكيب القرآن وحدها بتناسقها وترابطها مستأثرة باهتمامه، وإنما كان نظره مركزًا فى الأداة المفضلة للتعبير فى كتاب الله، فقد وجدها فى التصوير وراح يتحدث عنها بأسلوب شعرى يستهوى النفوس ويهديها بحق إلى جمال القرآن».

ويعرض لمباحث السيوطى فى تشبيه القرآن واستعارته، والمجاز والكناية.

وعن الإعجاز فى نغم القرآن يقول : «إن هذا القرآن يمتاز بأسلوب إيقاعى غنى بالموسيقى مملوء بالنغم، حتى يكون من الخطأ الشديد فى هذا الباب أن نفاضل فيه بين سورة وأخرى، أو نوازن بين مقطع وآخر، لكننا حين نومئ إلى تفرد سورة منه بنسق خاص؛ إنما نقرر ظاهرة أسلوبية بارزة نؤيدها بالدليل، وندعمها بالشاهد، مؤكدين أن القرآن نسيج واحد فى بلاغته وسحر بيانه»[٢].

---

[١] صبحى الصالح : مباحث فى علوم القرآن، ص ٣١٩.

[٢] صبحى الصالح : مباحث فى علوم القرآن، ص ٣٣٤.

المبحث الرابع

دراسات فى القرآن

السيد أحمد خليل

يبدأ بحديثه عن المفسر المتأدب وشروط ثقافته يقول : «فالمفسر لابد أن تتوفر فيه طاقات كبيرة تعينه على الرؤية، ونفاذ البصيرة والقدرة على إعادة الخلق الأدبى فى صورة أبين وأوسع، فإذا كان صاحب النص يكتفى بالإشارة اللامحة والبيان الموجز؛ فإن المفسر يكشف عن الأسباب والعلل التى أدت به إلى هذا الموقف»[١].

والقول فى ثقافة المفسر فى رأيه يحدد العمل التفسيرى ويكون عملاً يرتكز على أسس ثابتة.

وعن النص الذى يتحدث عن ثقافة مفسره يرى أنه مميز عن النصوص عامة بعدة أشياء :

أولها : أنه صادر عن الغيب.

ثانيها : أنه نص يوجه الحياة الإنسانية كلها.

ثالثها : أنه مخالف للألوان الأدبية التى عرفتها العرب.

رابعها : أنه اتخذ أسلوبًا خاصًا لعرض الفكرة، فلم يلتزم بالترتيب الموضوعى أو النوعى.

ولفهم هذا النص على المفسر أن يكون على بينة بالتاريخ الذى يتصل بهذا النص من دراسة المجتمعات الإسلامية فى عصورها الأولى.

ويقول : «كذلك نستطيع أن نعلل لظهور منهج تفسيرى يسمى أصحابه بأصحاب المعانى لأنهم رضوا أنفسهم عن فهم النص فهمًا لغويًا بعيدًا عن الرواية، ولكنهم مع ذلك لا ينسون النظرة التاريخية»[٢].

---

[١] السيد أحمد خليل : دراسات فى القرآن، ط دار المعارف، ص ١٥.

[٢] السيد أحمد خليل : دراسات فى القرآن، ص ٢٠.

فالمرحلة الأولى للمفسر علمه باللغة، ولكى يكون المفسر ثابت القدم، عليه معرفة تاريخ النص وقراءاته، وكيف تمت رحلته إلى البلاد المفتوحة. ويشير هنا فى إيجاز إلى المكى والمدنى والناسخ والمنسوخ وعن التفريق بين المكى والمدنى، يوضح أنه يعتمد على التاريخ الزمنى وأسلوب القرآن نفسه.

ويطول به الحديث عن لغة القرآن؛ إذ يقسم الكلام فيه إلى أربع نقاط :

أولاً : الحديث عن نشأة اللغة.

ثانيًا : الحديث عن العربية ومراحل تطورها، ثالثًا : القراءات، رابعًا : الدلالة ويشير إلى أن القرآن يمثل مرحلة من مراحل التدرج فى حياة هذه اللغة يقول : فالقرآن الكريم إذن يمثل ناحيتين، هما الناحية الواقعية التى يحياها المجتمع العربى فى صحرائه ثم هذه الناحية المثالية التى ينبغى أن تكون هدفًا ومقصدًا»[1].

وأدى نزول القرآن إلى :

أ- تغير مفاهيم كثيرة من الألفاظ.

ب- أبطل كثيرًا من الألفاظ التى كان يستعملها الجاهليون.

ج- هون القرآن من استعمال ألفاظ لها دلالتها الدينية.

وبذلك تحولت حياة اللغة إلى لغة فكر وإصلاح وشمل التطور جوانب اللغة وأصولها من اللفظة المفردة إلى التركيب.

ويخلص إلى أن هناك لغتين إحداهما عامية والأخرى عالية، وهى لغة الشعر والقرآن التى وصلتنا صحيحة السند، ويشير إلى السماع والقياس فى اللغة وعند الأصوليين.

ويشير إلى مشكلة اللحن، ويرى أن القرآن لا يقاس بالقواعد لأنه مرحلة جديدة فى مراحل اللغة.

ويشير أيضًا إلى مشكلة المعنى ومشكلة اللفظ والمعنى فى توضيح ومناقشة لما أثير حولهما من جدال.

---

[1] السيد أحمد خليل : دراسات فى القرآن، ص ٣٤.

ثم يوضح دور النحو فى التفسير القرآنى وجهود النحاة فى تيسير قراءة القرآن وجهودهم فى كتب المعانى.

ويتطرق إلى الحديث عن جمع القرآن ودور عثمان واختلاف القراءات والمجاز.

ويعقد فصلاً عن التفسير نشأته واتجاه وتطوره يشير إلى المعنى اللغوى لكلمة النص ثم المحكم والمتشابه ورأى الراغب فى معنى كلمة التفسير والتأويل.

ثم يتحدث عن حاجة المجتمع إلى التفسير ورأى ابن خلدون فى هذا ونشأة التفسير الأثرى واعتماده على الرواية والنقد ودخول الإسرائيليات يقول : «وقد وقف ابن جرير من الإسرائيليات موقفًا ناقدًا فى أغلب المواقف، وإن كان لم يقرب المرويات المتصلة بالتاريخ»[١].

وأما ابن كثير والبقاعى، فقد وقفا من الإسرائيليات موقفًا حاسمًا. ويرى أن الأحداث السياسية والترجمة كانتا لهما أثرًا فى تدرج حياة التفسير والمنهج الأثرى أول المناهج لأنه يمثل التوقيفية المطلقة فى فهم النص، ويمثل تدرج نظرية المعرفة كما أنه يمثل النظرة التاريخية أصدق تمثيل.

وعن المنهج العقلى والمعتزلة يقول : «فالمعتزلة كانوا علماء اتجهوا إلى الحديث ودراسته كما اتجهوا إلى دراسة الفكر اليونانى والتأثر به والانتفاع بما فيه مما يصح الفكر، ويقوّم المنهج، ويدعو إلى المناقشة والحجاج ابتغاء الوصول إلى الحق. ولا خلاف عندهم بين حكم النقل وحكم العقل، وهو نفس الاتجاه الذى نادى به الغزالى»[٢].

ويرى جولدتسيهر أن ضياع تفاسير المعتزلة يرجع لانصراف الناس عنها، ولكن لا يوافقه على هذا الرأى ويقول : «وهو تعليل لا يسلم له، ذلك أن منهج المعتزلة -وبخاصة فيما بقى من آثارهم العلمية- ليس فيه هذا التعقيد الذى يزعمه جولدتسيهر، وربما انصرف الناس عنها لما يبدو بينهم وبين عامة أهل السنة من خلاف حول بعض الجزئيات فى الاعتقاد»[٣] .

---

[١] السيد أحمد خليل : دراسات فى القرآن، ص ١١٥.

[٢] السيد أحمد خليل : دراسات فى القرآن، ص ١١٩.

[٣] السيد أحمد خليل : دراسات فى القرآن، ص ١١٩.

ويوضح موقف أهل السنة من هذا التفسير الاعتزالى، ويتحدث عن المنهج الثالث وهو الرمزى، والذى انفرد به المتصوفة.

وهو يعتمد على منهج فى المعرفة قوامه الوجد أو الذوق، فالمعرفة عندهم من ذات الإنسان لا من شىء خارج عنه، والتفسير الصوفى يختلف عن الإشارى، يقول : «فالتفسير الرمزى يبعد عن الدلالة ويجافيها فى أغلب الأحيان، أما التفسير الإشارى؛ فإنه وثيق الصلة بالنص مشدود إليه، وقد يدخل فى عداد التفسير الإشارى ذلك النوع المسمى بالتمثيل وأول من جهر به المعتزلة»[١] .

و لم يغفل أن يشير إلى المنهج التمثيلى فى القرآن.

وقبل حديثه عن التفسير فى العصر الحديث يجمل العرض لأصول التفسير بعامة ومتى نشأ : وأول مصنف وضع لقواعد التفسير رسالة الشافعى وبعدها المفسر الراغب الأصفهانى يقول : «فقد تداعى المفسرون إلى وضع قواعد عامة لتفسير القرآن، وكان أول من جد فى هذه المحاولة الراغب الأصفهانى فى مقدمة تفسيره»[٢] .

وهو يعلى من شأن الراغب وعمله يقول : «ولو أن هؤلاء المفسرين أدركوا طبيعة عمل الراغب فى المفردات، وفى مقدمة تفسيره لكان لتفسيراتهم شأن آخر»[٣] .

وعن الزركشى يقول : «غير أن ما يذكره الزركشى لا يكاد يتجاوز تحديد العلوم والثقافات التى تعين المفسر على دقة عمله، وتضمن له السلامة فى استنباط المعانى من النص دون أن يعرض عملية التفسير نفسها وكيف تتم»[٤] .

وكتاب البرهان للزركشى كان غرضه منذ البداية تحديد هذه العلوم وتوضيحها دون أن يكون الغرض منه توضيح طريقة التفسير والرجل قد عرض العلوم عرضًا كافيًا وكلها علوم توضح ثقافات المفسر.

---

[١] السيد أحمد خليل : دراسات فى القرآن، ص ١٢٨.

[٢] السيد أحمد خليل : دراسات فى القرآن، ص ١٣٢.

[٣] السيد أحمد خليل : دراسات فى القرآن، ص ١٣٣.

[٤] السيد أحمد خليل : دراسات فى القرآن، ص ١٣٣.

وعن دور الإمام محمد عبده فى التجديد يشير إلى دعوته وأصولها وهى :

١- الدعوة إلى درس البيان العربى من مصادره الأولى.

٢- دراسة أصول الاجتماع الإنسانى.

٣- تقوية المنهج التمثيلى.

وعن الشيخ طنطاوى جوهرى يقول : «فإنه أسرف فى التمثيل، وأمعن فيه، وبالغ فى الأخذ به وتطبيقه حتى حمّل النص القرآنى أصول العلوم والمعارف كالكيمياء والفيزياء، والرياضيات، والفلك، والطب، والروحانيات، وليس هذا المنزع جديدًا عند طنطاوى جوهرى»[1] فقد وجد عند فيلسوف يهودى سكندرى هو فيلون.

وعن أمين الخولى ودوره فى التفسير يقول : «ولا نكاد نظفر بجديد عنده يختلف عما دعا إليه شلاير ماشر من هذه الأصول التى ذكرناها نقلاً عن دائرة معارف الديانات والأخلاق، غير أنه دعا إلى دراسة النص القرآنى موضوعات بحيث تجمع الآيات المتعلقة بموضوع واحد ثم تدرس وتفسر مع ملاحظة الحسن القرآنى فى استعمال المادة الواحدة ومع دعوته إلى ملاحظة التفسير التاريخى فما ترك السالفون من تفاسير مرتبة ترتيبًا زمنيًا»[2].

والرجل يعنى من شأن اللغة والبيان فى كتابه حتى إن أبحاثه تطرقت لعدة موضوعات فى وقت واحد، إلا أنه يضم آراء وملاحظات لها قيمتها خاصة فيما يتعلق بالمستشرقين. وكان الأجدر أن يقسم الأبواب إلى فصول ويتحدث داخلها عن الجزئيات التى تناولها.

وخلاصة القول، فالعلوم التى يجب على المفسر معرفتها نجملها فيما يلى :

١- علم اللغة والنحو والصرف والاشتقاق.

٢- علوم البلاغة.

٣- علم القراءات.

---

(١) السيد أحمد خليل : دراسات فى القرآن، ص ١٤٢.

(٢) السيد أحمد خليل : دراسات فى القرآن، ص ١٤٠.

٤- علم أصول الدين.

٥- الأحاديث، وخاصة التى تتعرض لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

٦- علم الموهبة.

٧- السيرة النبوية.

٨- الإلمام بمسلمات العلوم الإنسانية والطبيعية.

٩- العلم بالأديان السابقة كالتوراة والإنجيل، وخاصة تفاسير القصص المسرودة فى كتبهم فقد روى أبو داود فى السنن : «حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا ابن أبى الزناد، عن أبيه، عن خارجة قال : قال زيد بن ثابت : أمرنى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فتعلمت له كتاب يهود، وقال : «إنى والله ما آمن يهود على كتابى» فتعلمته، فلم يمر بى إلا نصف شهر حتى حذفته، فكنت أكتب له إذا كتب، وأقرأ له إذا كتب إليه»[1].

المفسر فى هذا العصر يواجه اللغويين والأدباء والعلماء والمستشرقين، ويجب أن يكون مقنعًا لكل هؤلاء دون أن يطغى جانبًا فى ثقافته على الآخر ودون أن ينسى المفسر أنه أمام نص تشريعى لإصلاح أحوال العباد الدينية والدنيوية، فمفسر القرآن يجب إعداده على أنه مفسر وليس دارسًا للتفسير.

---

[1] أبى داود : سنن أبى داود كتاب العلم باب رواية حديث أهل الكتاب، ط السعادة، الطبعة الثانية، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م، ج٤، ص ٤٣٣.

الخــاتمــة

١-للمفسر ثقافة عامة -لا غنى عنها- كالعلوم اللغوية والعلوم الشرعية والعلم بسيرة الرسول والعلم بلغات العرب ولهجاتهم والعلم بمفردات القرآن.

٢-وبالإضافة إلى الثقافة العامة، توجد ثقافة خاصة بكل بيئة من بيئات التفسير كثقافة المرويات وثقافة الاعتزال وثقافة الشيعة وثقافة التصوف.

٣-مقدمات التفاسير مادة غنية يحتاجها المفسر.

٤-تشهد المقدمات على دقة المفسرين والتزامهم بالثقافة التى اشترطوها لمن يتصدى لكتاب الله.

٥-تصنيف علوم القرآن إلى قضايا وكتب مفردة دليل على نمو كل فرع من هذه العلوم وتطوره.

٦-المصنفات غير الكاملة تمهيد لكتاب الزركشى.

٧-الزركشى صاحب أول مصنف كامل لعلوم القرآن التى يحتاجها المفسر.

٨-البرهان أشبه بدائرة معارف مركزة، وخاصة بعلوم القرآن جمعها الزركشى واستقى مادتها من عصره، ومن العلماء السابقين والكتب السابقة عليه.

٩-الزركشى ممثل لثقافة عصره ولمرحلة هامة، وهى مرحلة نضوج هذا العلم.

١٠-للزركشى أثر واضح فى الإمام السيوطى، إذ بنى أغلب مادة كتابه الإتقان على ما ورد فى البرهان.

١١-البعد عن منهج الزركشى والانسياق وراء النظريات العلمية الحديثة مصدر للأخطاء فى التفاسير.

١٢-أضاف المحدثون جوانب جديدة لعلوم القرآن كترجمة القرآن وعلاقة القرآن بالكتب السماوية.

١٣- لم تمل المؤلفات فى علوم القرآن فى العصر الحديث إلى الجانب الموسوعى ولا يوجد كتاب على غرار البرهان أو الإتقان.

١٤-المعرفة اللغوية وحدها ليست كافية لأن يصلح الإنسان مفسرًا، فما يحاول بعض الناس كتابته من شروح لغوية لا تعد تفسيرًا جامعًا للقرآن.

١٥-مفسر العصر الحديث أمام مهمة صعبة ودقيقة، تكمن صعوبتها فى حصوله على كم من المعارف يتناسب والعصر الحاضر، وتظهر دقتها فى أنه يتحدث عن كتاب سماوى تشريعى خاص بحياة البشرية.

١٦-على مفسر القرآن الذى يواجه اللغويين والعلماء والأدباء والمستشرقين وأهل الكتاب أن يكون جامعًا لثقافات مستوعبة لجميع الاتجاهات.

١٧-لا توجد جامعة تخرج مفسرًا للقرآن، بل تخرج دارسًا للتفسير، بالإضافة إلى أنه لا توجد جمعية أو رابطة لمفسرى القرآن الكريم.

١٨-يجب أن تشدد الرقابة على كل من يتصدى للتفسير دون أن يمتلك الأدوات الخاصة لهذا العمل.

١٩-يجب أن نعتبر أن لفظ مفسر لقب علمى لا يحظى بها إلا من يقدم ما يثبت مقدرته على فهم كتاب الله، ولا يتصدى للتفسير إلا من حصل على هذه الدرجة أو أثبت جدارته فى التفسير.

المصادر والمراجع

أحمد إبراهيم مهنا :

١- تبويب آى القرآن الكريم من الناحية الموضوعية، ط الشعب.

أحمد الشرباصى :

٢- قصة التفسير، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، رقم الإيداع ٥٩٥١ / ١٩٨٥.

أحمد محمد طاحون وأحمد صلاح جمجوم :

٣- مع القرآن الكريم، ط المعرفة، رقم الإيداع ٢٢٣٤ / ٨٨.

أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم :

٤- معجم القراءات القرآنية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، الطبعة الأولى.

آرثر جفرى :

٥- مقدمتان فى علوم القرآن، ط الخانجى، ١٩٥٤م.

الألوسى : شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى ت ١٢٧٠هـ.

٦- روح المعانى، ط دار القومية العربية.

الباقلانى : محمد بن الطيب أبو بكر الباقلانى ت ٤٠٣هـ:

٧- إعجاز القرآن، ط دار الجيل، بيروت.

البخارى : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزية ت ٢٥٦هـ :

٨- صحيح البخارى، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، ط الإيمان، المنصورة.

البغوى : أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى ت ٥١٦هـ :

٩- معالم التنزيل، ط محروسة المنبع، بلدية إسكندرية تحت رقم ٥٣٤ب.

البيضاوى : ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر البيضاوى ت ٦٨٥هـ :

١٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط الأهرام.

ابن تيمية : أحمد بن تيمية :

١١- مقدمة فى أصول التفسير، تحقيق محمد محمود محمد نصار، ط دار الجيل، رقم الإيداع ٥٠٢٩ / ٨٨.

جاد الحق على جاد الحق :

١٢- من أحكام القرآن وعلومه، هدية بمجلة الأزهر، شوال ١٤١٠هـ.

الجصاص : أبو بكر أحمد بن على الرازى الجصاص الحنفى ت ٣٧٠هـ :

١٣- أحكام القرآن، ط مطبعة الأوقاف، ١٣٣٥هـ.

جودة محمد محمد المهدى :

١٤- ثمار الجنان فى أفنان علوم القرآن، ط دار الرسالة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، رقم الإيداع ٢٠٤٨ / ٨٣ الطبعة الأولى.

ابن الجوى : أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى ت ٥٩٧هـ :

١٥- فنون الأفنان فى عجائب علوم القرآن، تحقيق محمد إبراهيم سليم، ط مكتبة ابن سيناء، القاهرة، رقم الإيداع ٧٠٧٠ / ٨٨.

ابن حزم : محمد بن أحمد بن حزم بن تمام بن مصعب بن عمرو بن عمير بن محمد بن مسلمة الأنصارى يكنى أبا عبد الله ت ٣٢٠هـ :

١٦- الناسخ والمنسوخ، ط دار الكتاب - بيروت.

الحسينى أبو فرحة :

١٧- مأدبة الله دراسات فى علوم القرآن، ط السعادة ١٤٠٠ / ١٩٨٠م، رقم الإيداع ١٩٦٩م / ٨١ الطبعة الثانية.

أبو حيان : محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسى ت ٧٤٥هـ :

١٨- التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط، ط النصر الحديثة - الرياض.

الخازن : علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن ت ٧٢٥هـ :

١٩- لباب التأويل فى معان التنزيل، بلدية الإسكندرية تحت رقم ١٢٧٤٩ج.

خالد عبد الرحمن العك :

٢٠- الفرقان والقرآن، ط الحكمة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الطبعة الثانية.

الدانى : أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى ت ٤٤٤هـ :

٢١- المحكم فى نقط المصحف، تحقيق عزة حسن، ط المطبعة الهاشمية، دمشق ١٣٧٩ / ١٩٦٠م رقم الإيداع ١ / ٢٠٠٠ / ٦ / ١٩٦٠.

أبى داوود : سليمان بن الأشعث السجستانى ت ٢٧٥هـ :

٢٢- سنن أبى داود، ط السعادة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م الطبعة الثانية.

الدهلوى : ولى الدين الدهلوى :

٢٣- الفوز الكبير فى أصول التفسير عربه من الفارسية سليمان الحسينى، ط دار الصحوة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

الرازى : محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرازى ت ٦٠٦هـ :

٢٤- مناقب الإمام الشافعى، ط دار الجيل - بيروت.

الراغب : أبو القاسم الحسينى بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ت ٥٠٢هـ :

٢٥- مفردات فى غريب القرآن، ط مصطفى الحلبى.

٢٦- مقدمة التفسير بهامش تنزيه القرآن عن المطاعن لأبى الحسن عبد الجبار المتوفى ٤١٥هـ، ط الجمالية مصر ١٣٢٩هـ الطبعة الأولى.

الزركشى : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ت ٧٩٤هـ :

٢٧- البرهان فى علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار التراث، القاهرة.

٢٨- خبايا الزوايا، تحقيق عبد القادر العانى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م الطبعة الأولى.

الزمخشرى : محمود بن عمر الزمخشرى ت ٥٣٨هـ :

٢٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، ط الاستقامة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م الطبعة الثانية.

السجستانى : أبو بكر محمد بن عزيز السجستانى ٣٣٠هـ :

٣٠- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، تحقيق مصطفى عنانى، ط مطبعة الرحمانية مصر ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م الطبعة الثانية.

السخاوى : أبو الحسين علي بن محمد عبد الصمد علم الدين السخاوى ت ٦٤٣هـ:

٣١- جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق على حسين البواب، ط مكتبة التراث، مكة المكرمة.

ابن سلامة : أبو القاسم هبة الله بن سلامة ت ٤١٠هـ :

٣٢- الناسخ والمنسوخ مطبوع بهامش أسباب النزول للواحدى، ط المطبعة الهندية، ١٣١٥هـ.

سلامة محمد :

٣٣- ترتيب نصوص آى الذكر الحكيم فى أبواب الدين القويم، "ترتيب زيبا"، ط المطبعة الأهلية، طنطا.

السيد أحمد خليل :

٣٤- دراسات فى القرآن، ط دار المعارف، رقم الإيداع ٥٨٨٢٤ / ١٩٧١م.

سيد قطب :

٣٥- التصوير الفنى، ط دار الشعب.

السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر السيوطى ت ٩١١هـ :

٣٦- الإتقان فى علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط التراث.

٣٧- إتمام الدراية لقراء النقاية بهامش مفتاح العلوم، ط التقدم - مصر.

شعبان محمد إسماعيل :

٣٨- نظرية النسخ فى الشرائع السماوية، ط مطابع الدجوى، رقم الإيداع ٣٠٥٨/ ١٩٧٧.

الشهرستانى : أبو الفتح بن عبد الكريم أحمد ت ٥٤٨هـ :

٣٩ - الملل والنحل، ط دار الفكر - بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

الشوكانى : محمد بن على بن محمد الشوكانى ت ١٢٥٥هـ :

٤٠- الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى العلمانى، ط السنة المحمدية ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م، الطبعة الأولى.

٤١- فتح القدير، تحقيق سيد إبراهيم، ط دار الحديث.

صبحى الصالح :

٤٢- مباحث فى علوم القرآن، ط دار العلم - بيروت، الطبعة الرابعة.

الطبرسى : أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى ت ٥٤٨هـ :

٤٣- مجمع البيان فى تفسير القرآن، ط الحياة - بيروت، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م.

الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ت ٣١٠هـ :

٤٤- جامع البيان عن تأويل آى القرآن "تفسير الطبرى" ط دار الغد العربى ١٩٩٤م.

عبد الحميد إبراهيم سرحان :

٤٥- الوحى والقرآن، ط الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

عبد الرحمن على حواس :

٤٦- بديع البيان فى علوم القرآن، ط الأمانة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م رقم الإيداع ٤٠٢٨ / ١٩٨٥.

عبد الرحمن مهدى :

٤٧- مباحث فى القرآن الكريم والحديث، ط محسن، رقم الإيداع ٨٠٥٠ / ٨٧.

عبد الغفور محمود مصطفى جعفر :

٤٨- بحوث فى علوم القرآن الكريم، ط دار التوفيق النموذجية، ١٩٨٥م، رقم الإيداع ٤٧٣٧ / ٨٥ الطبعة الأولى.

عبد الفتاح أبو سنة :

٤٩- علوم القرآن، ط دار الشروق، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، الطبعة الأولى.

عبد الفتاح إسماعيل شلبى :

٥٠ - رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات ط ١٣٨ / ١٩٦٠.

عبد الفتاح القاضى :

٥١- أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين، ط دار المصحف، رقم الإيداع ٢٨٧٥ / ٧٤، الطبعة الأولى.

٥٢- من علوم القرآن، ط الفجالة، رقم الإيداع ٤٨٩٢ / ١٩٧٢.

ابن العربى : أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن العربى ت ٥٤٣هـ :

٥٣- الناسخ والمنسوخ، ط مكتبة الثقافة ١٤١٣هـ / ١٩٩٧م.

العكبرى : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبرى ت ٦١٦هـ :

٥٤- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن، تحقيق إبراهيم عطوة، ط مصطفى البابى ١٣٨٩ / ١٩٦٩.

على فكرى :

٥٥- القرآن الكريم ينبوع العلوم والعرفان، ط إحياء الكتب العربية، ١٩٤٧.

الفارسى : أبو على الحسن أحمد الفارسى ت ٣٧٧هـ :

٥٦- الحجة فى علل القراءات السبع، تحقيق على النجدى وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبى، ط الهيئة العامة للكتاب.

فؤاد على رضا :

٥٧- من علوم القرآن، ط مكتبة مدبولى، القاهرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، الطبعة الأولى.

القاسمى : محمد جمال الدين القاسمى :

٥٨- تفسير القاسمى، ط دار إحياء الكتب، ١٩٥٧م، الطبعة الأولى.

القرطبى : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ت ٧٦١هـ :

٥٩- الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبى" ط دار الغد العربى، ١٩٨٨م.

القصبى محمود زلط :

٦٠ - مباحث فى علوم القرآن، ط دار القلم ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، الطبعة الثانية.

الكرمانى : محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى ت ٥٠٥هـ :

٦١- البرهان فى توجيه متشابه القرآن، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط دار الكتب العلمية - بيروت.

ابن مجاهد : أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ت ٣٢٤هـ :

٦٢- كتاب السبعة فى القراءات، تحقيق شوقى ضيف، ط دار المعارف، رقم الإيداع ١٩٨٠/٤٠/٥.

محمد إبراهيم الحفناوى :

٦٣- دراسات فى القرآن، ط دار الحديث.

محمد بكر إسماعيل :

٦٤- دراسات فى علوم القرآن، ط دار المنار، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، الطبعة الأولى.

محمد جميل أحمد غازى :

٦٥- أسماء القرآن فى القرآن، رقم الإيداع ٣١٤٩ / ١٩٧٥.

محمد حسين الذهبى :

٦٦- الوحى والقرآن الكريم، ط مكتبة وهبة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، الطبعة الأولى.

٦٧- التفسير والمفسرون، ط دار الكتاب المصرى ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م، الطبعة الثانية.

محمد خلف ا لله أحمد :

٦٨- ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن، ط دار المعارف - مصر.

محمد رشيد رضا :

٦٩- تفسير المنار، ط المنار ١٣٢٥هـ، الطبعة الأولى.

٧٠- الوحى المحمدى، ط المنار، ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م.

محمد صادق قمحاوى :

٧١- قاموس غريب القرآن، ط محمد على صبيح، رقم الإيداع ٢٩٤٤ / ١٩٨٠.

محمد صبيح :

٧٢- القرآن، ط دار القاهرة، نوفمبر ١٩٥٧م.

محمد عبد العظيم الزرقانى :

٧٣- مناهل العرفان فى علوم القرآن، ط دار إحياء الكتب، فيصل عيسى البابى.

محمد عبد ا لله دراز :

٧٤- النبأ العظيم، ط دار القلم ١٩٧٧م، رقم الإيداع ٢٣٩١/ ١٩٧٧م، الطبعة الرابعة.

محمد عبد المنعم النمر :

٧٥- علوم القرآن الكريم، ط دار الكتاب المصرى، القاهرة، رقم الإيداع ٤٤٦٤هـ الرقم الدولى ٧-١٨٨-٢٨٦-١٩٩٧.

محمد عزة دروز :

٧٦- التفسير الحديث، ط عيسى البابى ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م.

محمد كامل عبد الرحيم :

٧٧- موضوعات آيات القرآن الكريم، ط عالم الكتب ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، رقم الإيداع ٢٦٥٧ / ١٩٧٧م، الطبعة الأولى.

محمد محمد سالم :

٧٨- الإرشادات الجلية من طريق الشاطبية، ط الفجالة، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

محمد محمد المدنى وآخرون :

٧٩- القرآن نظرة عصرية، ط المؤسسة العربية - بيروت.

محمود خليل الحصرى :

٨٠- مع القرآن الكريم، ط الشعب.

محمود شلتوت :

٨١- تفسير القرآن العظيم، ط دار القلم.

محمود عبد الحليم الرفاعى :

٨٢- البيان المبين فى علوم كتاب الله رب العالمين، هدية مجلة الأزهر - جمادى الآخرة، ١٤١١هـ.

المراغى : أحمد مصطفى المراغى :

٨٣- تفسير المراغى، ط مصطفى البابى ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦ الطبعة الأولى.

مصطفى الصاوى الجوينى :

٨٤- الدراسات الإسلامية، ط منشأة المعارف.

٨٥- منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن، ط دار المعارف، ١٩٥٩م.

ابن منظور : جمال الدين محمد بن الإمام جلال الدين العز مكرم بن الشيخ نجيب الدين المعروف بابن منظور الأفريقى المصرى :

٨٦- لسان العرب، ط بولاق ١٣٠٢هـ الطبعة الأولى.

النحاس : أبو جعفر محمد بن إسماعيل الصفار ت ٣٣٨هـ :

٨٧- الناسخ والمنسوخ، القاهرة ١٢٣٢هـ.

ابن النديم : أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم ت ٣٨٥هـ :

٨٨- الفهرست، ط الرحمانية، مصر ١٣٤٨هـ.

نور الدين عتر :

٨٩- علوم القرآن الكريم، ط الصباح ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، الطبعة السادسة.

النيسابورى : نظام الدين الحسين محمد بن الحسين القمى النيسابورى ت ٧٢٨هـ :

٩٠- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، ط مصطفى البابى، الطبعة الأولى.

الهروى : أحمد بن محمد بن أبى عبيد العبدى المؤدب الهروى القاشانى ت ٤١٠هـ :

٩١- الغريبين، تحقيق محمود محمد الطناحى، ط الأهرام التجارية، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، رقم الإيداع ٤٦٢ / ١٩٧٠م.

الواحدى : أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على الواحدى النيسابورى الشافعى ٤٦٨هـ :

٩١- أسباب النزول، تحقيق أيمن صالح شعبان، ط دار الحديث - القاهرة.

يوسف خليف :

٩٢- دراسات فى القرآن والحديث، ط دار غريب للطباعة.

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	**١**
الفصل الأول : ثقافة المفسر قبل الزركشى	**٤**
المبحث الأول : الثقافة العامة للمفسر	٥
المبحث الثانى : الثقافة الخاصة للمفسر	١٠
المبحث الثالث : أدوات التفسير المفردة	٢٢
الفصل الثانى : الزركشى وكتابه البرهان فى علوم القرآن	**٥٥**
المبحث الأول : ترجمة الإمام الزركشى	٥٦
المبحث الثانى : التعريف بكتاب البرهان	٦٢
المبحث الثالث : ثقافة المفسر عند الزركشى	٦٧
الفصل الثالث : أثر الإمام الزركشى	**١٤١**
المبحث الأول : أثره فى الإمام السيوطى ومن يليه	١٤٢
المبحث الثانى : كتب التفسير	١٦٢
الفصل الرابع : ثقافة المفسر عند المحدثين	**١٧٥**
المبحث الأول : مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى	١٧٩
المبحث الثانى : النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز	١٨٣
المبحث الثالث : مباحث فى علوم القرآن لصبحى الصالح	١٨٧
المبحث الرابع : دراسات فى القرآن للسيد أحمد خليل	١٩٢
الخاتمة	**١٩٨**
المصادر والمراجع	**٢٠١**